بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

الحِرَف والصّناعات في الأندلس
منذ الفتحَ الإسلامي حتى سقوط غرناطة

إعداد

جهاد غالب مصطفى الزغول

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ
بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

كانون الثاني/١٩٩٤

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٤/ ١/ ١٩٩٤م. واجيزت

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة /المشرف — رئيساً

الأستاذ الدكتور حسن عبد القادر — عضواً

الأستاذ الدكتور صالح درادكه — عضواً

الأستاذ الدكتور محمد خريسات — عضواً

الإهداء:

إلى والديّ اللذين عملا على تحريري من عبودية الجهل.

واشتعلا شمعتين وقادتين أنارتا طريقي...

إلى جميع إخوتي وأخواتي الذين حبسوا ضحكاتهم لكي يوفروا لي الهدوء

إلى أخي أسامة الذي كابد الغربة من أجلي

إلى كل القلوب المؤمنة بالعلم... والإيمان...

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل العلمي المتواضع

آملاً أن أكون قد وفيتهم بعض حقهم علي...

جهاد

شكر وتقدير

يسرني كثيراً أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل إلى استاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة الذي لم يأل جهداً في توجيهي ونصحي وارشادي والأخذ بيدي إلى الطريق القويم. فقد أفدت من توجيهاته وآرائه السديدة التي كنت اجتنيها ثمراً ناضجاً كلما جئته مسترشداً مستهدياً برأيه.

وعرفاني بالجميل يحتم علي أن أتوجه بالشكر أيضاً لأساتذتي في قسم التاريخ، فالفضل لهم أولاً وأخيراً. كما أنني أشكر كلًا من الأخ الفاضل إبراهيم عبد الجواد الذي شجعني على السير قدماً في البحث والتنقيب، وأخي وصديقي يوسف أحمد بني ياسين الذي يعد رمزاًللأخوة، إذ كان يشاركني الهم كلما اعترضتني مشكلة في البحث والدراسة، ويخفف عني، ويحثني على الصبر والمثابرة.

وختاماً فإني أشكر كل من كانت له يد في إخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود، محتسبا الشكر الأعظم عند الله، والله ولي التوفيق.

الباحث

الرموز المستخدمة في الهوامش وفي قائمة المصادر والمراجع

ج: جزء

د. ت: دون تاريخ

هـ: هجري

ط: طبعة

م: ميلادي

مج: مجلد

مخ: مخطوط

ع: العدد

ص: الصفحة

ق: القسم، القرن

ت: توفي

*: استخدمت للتعريف ببعض المصطلحات

المحتويات

الموضوع	الصفحه
قرار لجنة المناقشه	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
الرموز المستخدمة في الهوامش وقائمة المصادر والمراجع	د
المحتويات	هـ
الملخّص	ط
المقدمة	١
- تحليل لاهم المصادر والمراجع	٢
تمهيد	
أ - تعريف الحرفة والصناعة	١٣
ب - تنوع الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي	١٥
الباب الاول: المواد الأولية الداخلية في الصناعات الاندلسية ومناطق توزيعها وانتشارها.	
الفصل الاول: المواد الأولية من اصل نباتي وحيواني	١٩
١ - المحاصيل الزراعية	١٩
أ - الحبوب	١٩
ب - الاشجار والنباتات المثمرة	٢٣
ج - النباتات العطرية والطبية والافاويه	٤٠
٢ - الغابات	٤٢
٣ - الثروة الحيوانية	٤٦
٤ - الثروة المائية	٥١
الفصل الثاني: المواد الأولية من اصل معدني وصخري	
١ - المناجم والمواد المعدنية	٥٤
٢ - مقاطع الرخام والحجر	٦٨

الباب الثاني: أنواع الحرف والصناعات الاندلسية

- تمهيد ٧٢

- الفصل الاول: الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية

١ - الصناعات النسيجية ٧٦

أ - المنسوجات الحريرية ٧٦

ب - المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية ٨١

ج - البسط والسجاد ٨٧

د - الطراز ٩٠

٢ - الصناعات الجلدية ٩٤

٣ - النجاره وأعمال الخشب ١٠٠

الفصل الثاني: صناعة السفن والصناعات المعدنيه

١ - السفن والاساطيل الحربية ١٠٦

٢ - الذهب والفضه ١١٣

٣ - النحاس والصفر والبرونز ١٢٤

٤ - الحدادة واعمال الحديد ١٢٧

- الفصل الثالث: الصناعات الكيماوية :

١ - صناعة الاصباغ ١٣٠

٢ - صناعة الورق ١٣٢

٣ - الزيوت والصابون ١٣٩

٤ - الخزف ١٤١

٥ - الزجاج ١٤٥

- الفصل الرابع: الصناعات الغذائية :

١ - طحن الحبوب ١٤٨

٢ - السكر ١٥١

٣ - الخمور ١٥٣

٤ - الطباخة ١٥٥

- الفصل الخامس: صناعات أخرى

١ - الأسلحة ١٦٣

٢ - سك النقود ١٧٣

٣ - العاج ١٨٥

٤ - الرخام ١٩٠

الباب الثالث: الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات:

- الفصل الأول: شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية ١٩٣

١ - العرب ١٩٣

٢ - البربر ١٩٤

٣ - أهل البلاد الأصليون ١٩٥

٤ - الموالي ١٩٥

٥ - الصقالبة ١٩٦

٦ - اليهود ١٩٧

٧ - موالي اليهود ١٩٨

٨ - المرأة الأندلسية ١٩٨

- الفصل الثاني: الوضع الاجتماعي لأهل الحرف والصناعات

١ - التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها ٢٠٠

٢ - التعصب للحرفة والاعتزاز بها ٢٠٢

٣ - اعداد العاملين في الحرف والصناعات ٢٠٥

٤ - أجور العاملين في الحرف والصناعات ٢٠٦

٥ - لباس أهل الحرف ٢٠٧

- الفصل الثالث: علاقة الدولة بأصحاب الحرف والصناعات

١ - تنظيم الأسواق على أساس التخصص الحرفي ٢٠٨

٢ - الأسواق الجامعة ٢١٢

٣ - التنظيمات الحرفية ٢١٣

٤ - الإشراف والرقابة على الأسواق ٢١٨
الخاتمة ٢٣٢
الخرائط ٢٣٦
المصادر والمراجع ٢٣٧
ملخص باللغة الانجليزية ٢٥٩

الملخّص

الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م

إعداد

جهاد غالب مصطفى الزغول

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

بحثت هذه الدراسة الموسومة بـ"الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م" جانباً مهماً من جوانب الحياة الاقتصادية ذات العلاقة المباشرة بحياة المجتمع الأندلسي، وهدفت إلى توضيح أهمية الحرف والصناعات في حياته، ودورها في تقوية الاقتصاد وإشاعة الرخاء والاستقرار بين أفراد ذلك المجتمع.

وقد تناولت الدراسة المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية ومناطق توزيعها وانتشارها، وهي: المحاصيل الزراعية، والغابات، والثروة الحيوانية والمائية، والمواد المعدنية، ومقاطع الرخام والحجر، وتبين للباحث أن الأندلسيين أحسنوا استغلالها واستثمارها في مختلف أنواع الصناعات.

وتناولت الدراسة بالتفصيل تطور الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي منذ الفتح حتى سقوط غرناطة، فقد عالجت صناعة المنسوجات التي تضمنت المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية، وصناعة الفراء والطراز، والبسط والسجاد.

كما تناولت الصناعات الجلدية، وصناعة النجارة وأعمال الخشب، وصناعة السفن والأساطيل الحربية، وصناعة المعادن من ذهب وفضة ونحاس وصفر وبرونز، إضافة لصناعة الحدادة وأعمال الحديد. وبحثت أيضاً في مجال الصناعات الغذائية، والصناعات الكيماوية على اختلاف أنواعها كصناعة الأصباغ، والورق، والزجاج، والزيوت والصابون، والخزف. وبحثت الدراسة في صناعة الأسلحة وسك النقود والعاج والرخام وبينت مدى اهتمام الأندلسيين بهذه الصناعات.

وعـالجت الدراسة الحالة الاجتمـاعية لشرائح العاملين في الحـرف والصنـاعات، فقد كـون هـؤلاء تنظيمـات أشبه ما تكـون بالنقـابات في الوقـت الحـاضر، وقـد لعبت تلك التنظيمـات دوراً بارزاً في هـذا المجـال، إضافة للتسمي بالحـرف والصنـاعات والإنتساب إليهـا ووراثة الحرفة والتعصب لها، والاعتزاز بها، كما بحثت في أعـداد العاملين بالحرف والصناعات، وأجورهم، ولباسهم. وأكدت الدراسة على نظرة المجتمـع الإيجابية للعاملين في الحرف والصناعات، وبينت مستوى معيشتهم.

وبحثـت في علاقـة الدولة بأصحـاب الحرف والصناعات مـن حيـث اهتمامها بانشاء الأسـواق وتنظيمها ومراعاة التخصـص الحرفي في ذلك، وقد اتضـح أن التخصص الحرفي كـان على درجة كبيرة من الإتقـان والرقي، حتى أنه يظهر بين أصحـاب الحرفة الواحدة، كمـا عالجت موضوع الأسواق الجـامعة، والتنظيمات الحرفية وبينـت أنها كانت في غاية الدقة والإتقان.

ومـن جهة أخرى أوجدت الـدولة جهازاً خاصاً للإشراف والـرقابة على الأسـواق أطلـق عليه اسم "الحسبة"، وكـان يرأسه موظف خاص يدعى "المحتسـب"، وقد خصصنا جانباً من هذه الدراسة للحديث عن مهامه وواجباته ودوره في تنظيم الأسـواق وملاحقة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات.

المقدمة:

فتح المسلمون الأندلس عام ٩٢هـ/٧١١م، واستقروا فيها نحو ثمانية قرون. وشملت الأندلس الهضبة العظيمة التي يتكون منها الجزء الأكبر من شبه جزيرة ايبيريا (هضبة الميزيتا)، وأجزاء من هذه الهضبة ينفصل بعضها عن بعض بأودية عديدة، وتجري فيها أنهار كثيرة بعضها يصب غرباً في المحيط الأطلسي كنهر الوادي الكبير، وبعضها يصب في البحر الأبيض المتوسط مثل نهر الإبرو.

أما مناخ الأندلس ففي جملته معتدل الحرارة صيفاً وشتاء، وهي غزيرة الأمطار، كثيرة المياه، خصبة التربة، متنوعة المعادن. وقد كان لهذه الميزات أثر بارز في توجيه حضارتها.

والحضارة الإسلامية في الأندلس، كانت - في كثير من جوانبها - امتداداً للحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وكانت أيضاً الأساس القوي الذي بنى عليه الأوروبيون حضارتهم، والمنطلق الذى بدأوا منه لتطوير علومهم وصناعاتهم.

الحضارة الإسلامية في الأندلس شغلت المؤرخين والباحثين والدارسين، ولكن اهتمامهم بجوانبها المختلفة لم يكن متساوياً، بل إن بعض هذه الجوانب لم يحظ إلا باليسير من الدراسات، وحتى هذه الدراسات على قلتها لم تكن متخصصة في جانب محدد تختاره، وتسلط عليه الأضواءلتسبر غوره، وتكشف دقائقه، وتظهر خفاياه.

لقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلس، والحضارة الإسلامية فيها، وما يشمل ذلك من نواحي سياسية وعسكرية واجتماعية، وأدبية. وأما الدراسات الاقتصادية فكانت نادرة، مما حرم المكتبة العربية من هذا النوع من هذه الدراسات الهامة، وجعلها مفتقرة إليه، وقد دفعني ذلك إلى تجشم الصعاب، وتجاوز العقبات، بتوجيه أستاذي الدكتور محمد عبده حتامله، للقيام بدراسة علمية متخصصة تتناول جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية في الأندلس ألا وهو الجانب الاقتصادي وتجتزىء الدراسة من هذا الموضوع الواسع: (الحرف والصناعات فى الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة.[٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م]، لتبحثها بدقة وعمق، وخاصة أن الحرف والصناعات كان لها دور مهم في حياة المجتمع الأندلسي، ولعبت دوراً مميزاً في تنشيط الاقتصاد، وإشاعة الرخاء والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكنهم من السير قدماً نحو التقدم والازدهار.

لقد عالجت هذه الدراسة موضوع الحرف والصناعات في الأندلس على مدى ثمانية قرون، إذ لم يكن ممكنا حصر هذا الموضوع في إطار زمني محدود أو مكاني محدد، لأن المعلومات قليلة ومتناثرة في بطون المصادر والمراجع على اختلاف أنواعها.

ومن أجل إعطاء الصورة الواضحة لموضوع البحث، كان لابد للباحث من تتبع نشأة وتطور كل صناعة منذ فتح الأندلس حتى سقوط غرناطة، أينما توافرت المادة العلمية، وكان عليه لهذه الغاية أن يطلع على جميع المصادر المتوافرة، المتعلقة بتاريخ الأندلس وحضارتها، وقد بذل الباحث ما وسعه الجهد في هذا المجال، واطلع على المصادر العديدة سواء المخطوطة منها أوالمطبوعة، كما اطلع على كثير من المراجع والدوريات المتخصصة، وحاول تتبع كل معلومة في مظانها، وبعد أن تجمع لديه ما اعتقد أنه يفي بالغرض، ويحقق المطلوب، عكف على إعداد هذه الرسالة، لوضع مضمونها في إطاره.

تحليل أهم المصادر والمراجع:

وسأقدم فيما يلي تحليلاً لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، موضحاً مدى الإفادة منها:

أولاً: كتب التاريخ:

* كتاب "المقتبس" لابن حيان، أبي مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ/٩٨٧-١٠٨٦م): يعد هذا الكتاب من أهم المصادر الأندلسية التي أفدت منها في هذه الدراسة، إذ زودني بإشارات اقتصادية قيمة عند حديثي عن صناعة المنسوجات القطنية والكتانية، وصناعة الطراز، وصناعة السفن والأساطيل الحربية، وصناعة الذهب والفضة. ومما تفرد به ابن حيان في كتابة هذا أنه قدم معلومات عن دار السكة التي أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في مدينة قرطبة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، كما أشار إلى حرص الخليفة على ضرب العملة من خالص الذهب والفضة، وحمايتها من الغش والتدليس، وذكر أسماء بعض الأشخاص الذين أسندت إليهم مهمة الإشراف على دار السكة في عهد الناصر وخلفه الحكم المستنصر. كما أفادت الدراسة من إشارة ابن حيان إلى بعض أسواق قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقد

استقى ابن حيان معلوماته عن معاصرين للأحداث، منهم: أحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م). وعيسى بن أحمد الرازي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، ومعاويه بن هشام، وصاعد البغدادي وغيرهم. ومما يعطى معلوماته قيمة تاريخية واقتصادية كبيرة أنه تميز بصواب نظرته وطريقة تحليله وأصالة رأيه وعدالة نقده ونزاهة حكمه، وهو يتحرى الدقة والأمانة فيما ينقل. وقد بلغت دقته في رواياته أنه لا يكتفي بتعيين يوم الحادثة التي يذكرها، بل يذكر الساعة، كما يعطي أحياناً التاريخ الهجري ومقابله الميلادي.

* كتاب المنّ بالإمامة، لأبن صاحب الصلاة، أبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م): ويتناول هذا الكتاب جانباً مهما من تاريخ الدولة الموحدية. وهذا الكتاب لم يصل إلينا كاملاً، ولا يعرف منه حتى الآن غير سفر من الجزء الثاني يعالج الفترة الواقعة ما بين سنة (٥٥٤ - ٥٦٩هـ/ ١١٥٩ - ١١٧٣م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قد استفاد من عمله الرسمي في الدولة الموحدية، وذكر معلومات كثيرة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، معتمداً في ذلك كله على مشاهداته وروايات المشاركين بالأحداث، بالإضافة إلى الرسائل والوثائق الرسمية التي أورد منها قدراً كبيراً. وقد أفادنا كثيراً في معرفة بعض الجوانب المتعلقة بالحرف والصناعات، من مثل صناعة تسفير الكتب والمصاحف، وصناعة المنابر الخشبية ومدى اتقان الأندلسيين لهذه الصناعة، وصناعة السفن والأساطيل الحربية، مع الإشارة إلى بعض أنواع السفن ومراكز صناعتها. كما ذكر بعض أنواع الأسلحة المستعملة في عصر الموحدين. وانفرد ابن صاحب الصلاة في الإشارة إلى الأرحاء الهوائية المستخدمة لطحن الأقوات في مدينة جبل طارق، كما أورد بعض المعلومات عن لباس أهل الحرف والصناعات، وعن اهتمام الدولة الموحدية بشؤون الأسواق وتنظيمها على أساس التخصص الحرفي.

* كتاب تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لابن الخطيب، لسان الدين بن محمد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٦م): يبحث هذا الكتاب في تاريخ الأمراء والخلفاء بالأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١٣٨-١٧٣هـ/٧٥٥-٧٨٩م) وحتى عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر (٧٥٥ - ٧٦٠هـ / ١٣٥٤ - ١٣٥٨م)، كما يتناول التعريف ببعض ملوك النصارى الإسبان. وقد قدم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية وخاصة ما يتعلق منها بالصناعات

العسكرية في عصر الخلافة، كصناعة الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات، وصناعة الأخبية (الخيام) الكتانية، وما كان ينتج منها في كل عام، وصناعة السفن الحربية، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها، مع الإشارة إلى أهم مراكز انتاجها وهي: قرطبة والزهراء والزاهرة ومدينة سالم. وانفرد ابن الخطيب بما قدمه من معلومات عن إنتاج معامل السلاح، فذكر أن دار التراسين كانت تنتج في كل عام ثلاثة عشر ألف ترس، واثني عشر ألف قوس، وفي كل شهر عشرين ألفاً من أصناف النبال. وقد استمد ابن الخطيب معلوماته التي أوردها من روايات ابن حيان.

* كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم المسمى بـ "بيوتاتفاس الكبرى"، لمؤلف مجهول. ويتضمن هذا الكتاب معلومات تاريخية وحضارية قيمة لا نكاد نجدها في مصدر آخر، إذ يتحدث مؤلفه عن ثلاثة وثمانين بيتاً من مشاهير بيوتات فاس، أولها بيت بني فذة، وآخرها بيت بني المسونيين. أما أهميته بالنسبة لهذه الدراسة فبرزت عند حديثه عن بيت بني شيبون إذ نجد المؤلف يتحفنا باستطراد فريد في بابه، وهو جمعه لعناصر السكان في المجتمع الأندلسي، من عرب وبربر وموال، ويهود، إضافة إلى أهل البلاد الأصليين (الإسبان)، وما كان لكل عنصر من حرف وصناعات وأعمال، سواء أ.....كانت أعمالاً حرة أم رسمية في نطاق الدولة، مما أثرى هذه الدراسة بمعلومات فريدة من نوعها.

ومن المصادر التاريخية الأخرى التي أفادت الدراسة:

* كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لمحيي الدين بن محمد بن عبد الواحد بن علي المراكشي (عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي). وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس منذ فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الولاة، والوزراء والقضاة، والشعراء وأعيان الكتاب. ويتضمن الكتاب معلومات جغرافية واقتصادية واجتماعية قيمة، ويعالج المؤلف الأحداث بصورة مختصرة، غير أن أخباره عن الموحدين قد اتسمت بشيء من التفصيل، مما يجعله مصدراً أساسياً لا يمكن أن يستغني عنه باحث في تلك الحقبة من تاريخ المغرب والأندلس، وخاصة إذا ما عرفنا أن المراكشي قد اعتمد في رواياته عن الدولة الموحدية على ملاحظاته ومشاهداته الشخصية. بينما ارتكز في معلوماته السابقة على كثير من المؤرخين المعاصرين للأحداث مثل ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، وابن أبي الفياض، (ت

٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، وابن حيان (ت ٤٦٩هـ /١٠٧٦م)، والحميدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وغيرهم. وقد زودنا بمعلومات قيمة عن معادن الأندلس ومناطق انتشارها، وعن حرف المرأة الأندلسية وصناعة الوراقة.

* كما أفادت الدراسة من كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م). وقد ذكر فيه أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، متبعاً في ذلك منهج تسلسل الأحداث على أساس السنين. وتبدو أهمية الكتاب من اقتباسات مؤلفه الكثيرة عن روايات معاصرة للأحداث، إذ أشار في مقدمة كتابه إلى اعتماده على عدد كبير من المؤرخين الذين سبقوه، أمثال عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)، والطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وعريب بن سعد (ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٩م)، والبكري (ت ٤٨٧ / ١٠٩٤م)، وابن حيان، كما أكثر من النقل عن الرازي، وعن ابن صاحب الصلاة. وقد استفادت الدراسة منه عند الحديث عن صناعة الطراز، وصناعة سك النقود، وصناعة الذهب والفضة، وصناعة النحاس، ومنتجات دار الصناعة في قرطبة، وصناعة السفن والأسلحة، وصناعة الرخام، وأجور العاملين في الحرف والصناعات، وتنظيم الأسواق الأندلسية.

* كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي). وهو يتناول تاريخ المغرب منذ تأسيس مدينة فاس إلى أواخر القرن الثامن الهجري. وقد أمدنا بمعلومات تاريخية واقتصادية قيمة عن عصري المرابطين والموحدين في الأندلس، وخاصة فيما يتعلق منها بصناعة المنابر والمقصورات الخشبية، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها مع الإشارة إلى بعض مراكز انتاجها، اضافة لصناعة الأرحاء الهوائية.

ثانيا: كتب الجغرافية:

وهي من أهم المصادر التي لا يمكن للباحث في التاريخ، وعلى الأخص التاريخ الاقتصادي الاستغناء عنها، نظراً لما تقدمه من معلومات جغرافية واقتصادية ذات فائدة علمية كبيرة، فهذه المصادر أمدتنا بمعلومات قيمة عن مواقع المدن الأندلسية، وما اشتهرت به كل مدينة من حاصلات زراعية، وغابات، وثروات حيوانية ومائية، ومعادن.

كما أمدتنا بمعلومات مهمة عن مقاطع الحجر والرخام، وعن تنوع الصناعات والحرف الأندلسية وتعددها، وما كان لكل مدينة من صناعات خاصة بها. ويمكن للقارىء أن يلحظ ذلك من خلال تتبعه لصفحات هذه الدراسة، حيث أفدت كثيراً من المصادر الجغرافية في البابين الأول والثاني.

ومن أهم هذه المصادر كتاب صورة الأرض، لابن حوقل النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) الذي زار الأندلس في أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، أبي عبد الله محمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م). وقد قدم المصدران معلومات متميزة عن عصر الخلافة.

وأفادت الدراسة من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، لأحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي (٣٩٣-٤٧٨هـ / ١٠٠٢-١٠٨٥م). وهو كتاب جغرافي تاريخي، يتضمن معلومات اقتصادية على جانب كبير من الأهمية، أفاد منها البحث في جوانب عديدة، وتكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه اعتمد على العديد من المؤرخين الذين سبقوه مثل أحمد بن محمد الرازي، وعيسى بن أحمد الرازي.

وقدم كتاب جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) معلومات مهمة ومميزة عن بعض المواد الأولية الداخلة في الصناعات ومناطق توزيعها وانتشارها في الأراضي الأندلسية، كما قدم معلومات جيدة عن صناعة الأصباغ، وأهم المراكز التي اشتهرت بإنتاجها.

وأفادت الدراسة كثيراً من كتاب الجعرافية، لمؤلفه الزهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، ومن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمؤلفه الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد الحسني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٩٤م). وقد اهتم كلا المصدرين اهتماماً بالغاً بمظاهر النشاط الاقتصادي بالأندلس، وبخاصة في عصري المرابطين والموحدين. وتميز الإدريسي بصورة خاصة بدقة ما أورده من معلومات عن المحاصيل الزراعية والمعادن والغابات والصناعات، وذلك بفضل زيارته للأندلس، وتجواله في بعض جهاتها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

كما أفادت من كتاب "فرحة الأنفس" لابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي). ويتناول الكتاب جغرافية الأندلس

وتقسيمها الإداري إلى كور، يذكر في كل منها ما تشمله من مدن وحصون وقرى، وما تتميز به من خصائص، والمسافة بين المدن، وما اشتهرت به كل منها من منتجات زراعية ومعادن وصناعات، ويفصل القول عن قرطبة ومسجدها الجامع ومقصورته ومحرابه ومنبره. ويتحدث عن بناء مدينة الزهراء وما حوته قصورها من مظاهر الأبهة والترف، ثم يتطرق إلى تحديد الأندلس، ويأتي على ذكر جبالها وأنهارها وما اشتهرت به من المعادن والأشجار ومقاطع الرخام والأحجار الكريمة بصورة عامة. ويعتمد ابن غالب على مصادر متقدمة مثل: أحمد بن محمد الرازي، وعبد الله بن عبد الحكم بن النظام، وأحمد بن أبي الفياض، وابن حيان، ولذا كان من أهم المصادر التي أفادت البحث في جوانب عديدة.

وقدم كتاب الجغرافيا لابن سعيد، على بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) بعض المعلومات عن صناعة الحرير الموشى بالذهب في كل من مالقة والمرية ومرسية، وبعض المعلومات عن صادرات الأندلس ووارداتها، وبالإضافة إلى مشاهدات ابن سعيد عن الأندلس فقد أفاد من مصادر سبقته مثل البكري وابن اليشع وغيرهما.

كما اعتمدت الدراسة على جملة من مصادر الجغرافية الأخرى وأهمها كتاب تقويم البلدان، لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، وكتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، محمد عبد المنعم، (توفي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، وكتاب أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك، للسباهي، محمد بن علي زادة (ت ٩٩٧هـ/١٥٨٨م). وقد وجد الباحث أن هذه المصادر اعتمدت فيما أوردته من معلومات على مصادر جغرافية سابقة، فانحصر دورها في تكرار المصادر السابقة.

ثالثا: الكتب الأدبية:

تعد الكتب الأدبية من المصادر المهمة في توضيح بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فقد عنى مؤلفو هذه الكتب بمناحي الحياة المختلفة، في حين طغت الاهتمامات السياسية على المؤرخين. ومن بين المصادر الأدبية العديدة التي اعتمدت عليها الدراسة:

كتاب لحن العوام، لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩). وكتاب المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م). وهذان الكتابان صحبا البحث عبر صفحاته، وقد اختص الأول منهما بالقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وأتمه الثاني حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وبينا ملامح المجتمع الأندلسي خلال هذه الفتره فزودانا بمعلومات وافية عن مجالات العمل التي كان يتعاطاها كل من الرجل والمرأة في البيئة الأندلسية على اختلاف فئاتهم الاجتماعية، إذ التصق كثير من أسماء هذه الحرف بأسماء بعض العوائل الأندلسية. وحفل الكتابان بألفاظ دلتنا على أنواع الملابس وأدوات الزينة وأصناف الحلي والعطور والأصباغ والمنسوجات، كما أن فيهما إشارات إلى الصناعات البحرية كالسفن التجارية والأساطيل الحربية، وأنواع المأكولات المتعددة.

وكتاب روضة المحاسن وعمدة المحاسن "ديوان أبي بكر يحي بن محمد المعروف بالجزار السرقسطى وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصر"، صنعه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) وقد زاوج ابن مطروح في صناعته لكتابه بين ديوان الجزار السرقسطي (توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجرى) الموسوم بـ "روضة المحاسن" وكتابه الآخر بادرة العصر. والجزار عاش في سرقسطة أثناء حكم بني هود لها، وكان فقير الحال يعمل بالقصابة. وديوانه المذكور عبارة عن رسالة ذكر فيها مثالب الفرائين إذ رد به على أبي الحسن علي بن عبد الرحمن البرجي (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) الذي كان يتجر بالفراء، فساق الجزار حججه وأقواله في رسالته هذه، وهي ذات قيمة عالية للبحث، إذ بينت لنا بعض الحرف والصناعات الشائعة في عصره. وأوضح الكتاب كذلك اعتزاز وافتخار الحرفيين بحرفهم وتعصبهم لها، كاعتزاز الجزار السرقسطي هذا بالقصابة إذ رد على وزير ابن هود حسداي بن شبروط الذي عاب عليه حرفة القصابة بقصيدة بين فيها فضل القصابة على الحجابة.

وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م). وهو كتاب تعاقبت أسرة آل سعيد القاطنة في قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) على إتمامه، إذ وضع نواته محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحجاري بعنوان "المسهب في غرائب المغرب"، وقدمه هدية للأمير عبد الملك بن سعيد، ودون فيه تاريخ الأدب الأندلسي حتى سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، وقد أخرج علي صيغته النهائية سنة (٦٤٧هـ ١٢٤٩م) بعد

أن أضاف إليه الشيء الكثير. وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات متنوعة عن المنسوجات الحريرية والصوفية. والصناعات الغذائية، وصناعة الخمور وصناعة السفن والأسلحة، وأكد ابن سعيد أن صناعة الزجاج قد استنبطها عباس بن فرناس (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) من الحجارة. ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها بالإضافة إلى الحجاري، أحمد الرازي، وابن فرج الجياني (٣٤٤هـ/٩٩٥م)

وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م). ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية التي تتحدث عن الأندلس في عهد دولة بني الأحمر وخاصة عن غرناطة، إذ أمدنا حول غرناطة فيما يخدم البحث بمعلومات مهمة عن المواد الخام التي تمتلكها وعن صناعاتها المختلفة كالمنسوجات الصوفية والصناعات الذهبية والفضية، والعملة المتداولة بين الناس في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، والكتابات المنقوشة عليها. وأكد ابن الخطيب على سبق الأندلسيين في اكتشافهم الآلات النارية التي استعملوها أثناء حروبهم مع النصارى الإسبان، والتي أفزعتهم، كما أكدت على ذلك الحوليات الإسبانية التي تؤرخ للفترة نفسها.

وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بالمقّري (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م). نسبة إلى مقّرة موطن أسرته القديم، وهي من أعمال قسنطينة، ولقد ولد المقري في تلمسان سنة (٩٨٦هـ / ١٥٧٨م)، ثم رحل إلى المشرق سنة (١٠٢٧هـ / ١٦١٧م) وزار مصر والحجاز ودمشق، والتقى بجلة علمائها، وألقى الدروس عن الأندلس وتاريخها ورجالاتها. وفي دمشق شجعه صديقه المولى أحمد بن شاهين أن يضع كتاباً للتعريف بوزيرها ابن الخطيب، وعاد إلى القاهرة ووضع الكتاب، ولكنه عاد ومهد لكتابه بذكر الأندلس وتاريخها ومحاسنها وذكرياتها. ويعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة حول الأندلس وتاريخها وجغرافيتها وآدابها، وهو من أقيم المصادر العربية عن تاريخ الأندلس وحضارتها. وقد رافق هذا الكتاب معظم صفحات الرسالة، إذ أنه من المصادر القليلة التي غطت تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى السقوط، ويحوي من المعلومات الاقتصادية الكثيفة ما أفاد البحث في شتى مناحيه. وتكمن أهمية الكتاب في تعدد مصادره وتنوعها، وحفظه للعديد من المصادر التي لا زالت مفقودة حتى اليوم.

رابعاً: كتب الفقه:

وقدمت كتب الفقه معلومات اقتصادية ذات قيمة علمية عالية، كان لها الأثر البالغ في إثراء بعض جوانب هذه الدراسة. وكانت هذه الكتب على ضربين:

الأول: كتب الفتاوى، ومن أهمها: كتاب الوثائق والسجلات، لابن العطار محمد ابن أحمد الأموي (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وكتاب فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد القرطبي المالكي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م). ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي خدمت البحث، إذ قدم لنا نصاً يصف فيه كيفية بناء الأرحاء الأندلسية، ومقاييس أحجارها وأخشابها، ومادة دواليبها، كما قدم لنا معلومات مهمة عن بعض أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين، وعن صناعة الأصباغ وأسعارها.

وأفدت كثيراً من كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقة والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحي الونشريسي (ت ٩١٤ هـ/١٥٠٨م)، إذ زودني بإشارات مفيدة عن ضرب النقود في عصر ملوك الطوائف، وعن المصنوعات النحاسية في عهد المرابطين، وقدم إشارة مفيدة عن صناعة الورق واستخدامه في الأندلس في عهد دولة بني الأحمر.

الثاني: كتب الحسبة، ومن أهمها:

كتاب "أحكام السوق"، ليحي بن عمر الكناني الأندلسي (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م)، وكتاب السقطي: "في آداب الحسبة"، ورسالة ابن عبدون "في القضاء والحسبة" ورسالة ابن عبد الرؤوف "في آداب الحسبة والمحتسب" ورسالة الجرسيفي "في الحسبة".(١) وقد أمدتني هذه المصادر بمعلومات قيمة عن مظاهر النشاط الاقتصادي، وأفدت منها كثيراً في الحديث عن الصناعات الغذائية، وصناعة الخزف والزجاج، وصناعة الورق والأصباغ، وفي الحديث عن الحرف التي مارستها المرأة الأندلسية، وعن تنظيم أسواق المدن الأندلسية ومراعاة التخصص الحرفي في ذلك. وزودتنا ببعض المعلومات عن التنظيم الإداري للحرف والصناعات تبين منها أنها كانت في غاية الدقة والإتقان، إذ نجد في كل حرفة ما يسمى بـ "الأمين" و "العريف"، وبحثت هذه المصادر في الرقابة والإشراف على الأسواق، وأفادت الدراسة بمعلومات على درجة كبيرة من الأهمية خاصة ما يتعلق منها بالمحتسب، وما يجب أن يتوافر فيه من خصائص وصفات تؤهله للقيام بعمله على خير

وجه، بالاضافة إلى مهام المحتسب وواجباته ودوره في مراقبة الأسواق وضبط عمليات الغش والتدليس التي كانت تمارس من أهل الحرف. كما زودتنا بمعلومات عن أعوان المحتسب الذين كانوا يساعدونه في عملية ضبط الأسواق، وملاحقة المخالفين من أهل الحرف والصنائع المختلفة.

خامساً: كتب التراجم

لقد تعددت كتب التراجم في الأندلس وخصوصاً ما يتعلق منها بتراجم العلماء الذين عاشوا فيها، وزودتنا هذه الكتب بمعلومات اقتصادية، ولكنها كانت يسيرة، فهي مجرد إشارات للعلماء الذين التصقت بهم أسماء حرفهم، وعدا عن هذا فقد جاءت هذه الإشارات عرضاً في بعض التراجم كذكر الأسواق وأمكنتها. وأفادتنا في تبيان شرائح المجتمع الأندلسي المختلفة والتي من ضمنها أهل الحرف والصناعات، وركزت هذه الكتب على الورق وصناعته ومن عمل وراقا. وأهم هذه المصادر:

- كتاب تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م).
- كتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، للحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م).
- كتاب الصلة لابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ/١١٨٢م)
- كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، أحمد بن يحيى (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م).
- كتاب الحلة السيراء، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).
- كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، للمراكشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م).
- كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، لابن الزبير، أبي جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م).

---

(١) يتميز ابن عبدون والسقطي بالاهتمام بالجانب العملي، في حين تهتم بقية المصادر بالجانب النظري.

الدراسات الحديثة

إن الدراسات الحديثة في موضوع البحث نادرة، إذ لم تحظ النواحي الاقتصادية وخاصة المتعلقة منها بالحرف والصناعات بدراسة مستقلة كاملة تعالج جميع فترات الحكم الإسلامي للأندلس، وانما جاءت هذه الدراسات على أشكال متعددة:

فمنها ما كانت مقتصرة على فترة محدودة حيث عجزت عن إعطاء صورة متكاملة عن الوضع الاقتصادي العام في الأندلس، ومن هذه الدراسات:

عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ومحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها (٣٤٤-٤٨٤هـ/٩٥٥-١٠٩١م)، وكذلك

S.M. IMAMUDDIN,The Economic History of Spain Under the Umayyads, 711-1031. A.C

وقد استفدت من كل منها في مجاله وحسب الفترة التي عالجها. ومنها ما كان بحثاً عاماً في حضارة الأندلس دون تفصيل وتوضيح دقيق للنشاط الاقتصادي كدراسة محمد عبده حتاملة: ملامح حضارية في الأندلس، وعبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة العرب في الأندلس، وجاك . س. ريسلر: الحضارة العربية، وجاءت هذه الدراسات لتبحث في حضارة المسلمين بشكل عام دون التركيز على جانب معين، وما استفدناه منها جاء عاماً ومختصراً.

ومنها ما كان يبحث في منطقة جغرافية معينة كدراسة عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ودراسة أحمد فكري:قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، ودراسة يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، ومحمد شبانة: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة. وقد زودتنا هذه الدراسات بمعلومات عن الصناعات المختلفة، وذلك حسب تخصصها بمدينة معينة او عصر معين.

وعدا عن هذه الدراسات فقد أفادنا ليفي بروفنسال في كتابه: سلسلة عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ومحمود شبيب هياجنه في رسالته: الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين. إضافة إلى العديد من المراجع والمقالات التي وردت في نهاية الدراسة.

تمهيد:

أ - تعريف الحرفة والصناعة.

الحرفة في اللغة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، يقال هو يحرف لعياله ويحترف، بمعنى يكتسب من هاهنا وها هنا(١). وقيل: الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي؛ أي معاملي(٢). وحرفة الرجل ضيعته، أو صنعته، وحرف لأهله واحترف، بمعنى كسب وطلب واحتال، وقيل: الاحتراف: هو الاكتساب أياً كان.(٣)

أما الحرفة في المعنى الأصطلاحي، فهي: الطّعمَة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب. وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة، لأنه ينحرف إليها، يقولون: صنعه فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، وقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني"(٤).

فالحرفة إذاً تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة الكسب ووسيلة المعاش.

والصناعة مأخوذة من الفعل: صنع، وقال ابن سيدة: صنع الشيء يصنعه صنعاً فهو مصنوع، وصنيع. واستصنعت الأمر - دعوت إلى صنعه، والصناعة ما تستصنع من أمر، وقد صنعته فهو صناعتي؛ اي اتخذته صناعة(٥).

والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة(٦)، ورجل صنيع اليدين؛ وصنع اليدين أي صانع حاذق بعمل اليدين. وامرأة صناع اليدين؛ أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين(٧)، والصُنّاع (جمع صانع): هم الذين يصنعون أو (يعملون) بأيديهم(٨)

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٥، ص ١٦، ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص ٤٣.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٣٤٣، ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٤٤، الخزاعي، تخريج الدلالات، ص٧٧٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٤٤؛ الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٧٧٥.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٢٣، ص ١٣٣-١٣٤، جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٥٠٥.

(٥) ابن سيدة، المخصص، مج٣، السفر١٢، ص ٢٥٧.

(٦) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص ١٢٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص ٢٠٩؛ الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٧٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢١، ص ٣٦٤.

(٧) الجوهري، الصحاح، ج٣، ١٢٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص٢٠٩؛ الخزاعي، تخريج الدلالات، ص٧٧٦.

(٨) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢، ص ٣٨؛ ابن سيدة، المخصص، مج٣، س ١٢، ص ٢٥٧.

أما الصنعة فهي ما ينتج من عمل الصانع، كالسيف والسكين من عمل الحداد، والخزانة والصندوق من عمل النجار.

فالصناعة بالمعنى الاصطلاحي: "عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، كالطحانة والخبازة والطباخة، أو في صفته كالنجارة والحدادة والصياغة. وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته"(١) ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الأنسان ؛ فالحرفة هي " الطُّعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب" و"الاحتراف هو الاكتساب اياً كان"(٢)، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان و يتصرف للكسب، حتى تشمل التجارة، والزراعة، وتعليم العلوم، والسمسرة، والطبابة، والقبالة، والصيدلة، والطباخة في الأسواق، والتجارة، والخياطة، والصباغة، والدباغة، والوراقة، والحدادة، والصياغة، والبناء(٣). أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثرفائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، واخشاب ومعادن وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والحرير والكتان في صناعة المنسوجات، واستغلال الأخشاب في صناعة السفن، وأعمال النجارة. واستغلال المعادن في صناعات الحدادة والصياغة وغيرها. وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم " الحرف الصناعية"، وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق مفهوم الحرفة.

ونجد في مصادرنا ما يشير إلى ذلك، فهذا المجيلدي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) يشير إلى "أهل الحرف والصنائع"، ويذكر منهم: الدبّاغ، والسمسار، والخراز*، والبناء، والكاتب، والصائغ، والشراط*، والخياط، والبرام، والصفار*، والقوّاس، والخرّاط*، والفخّار، والحائك، والنجّار والرمّاح، والحدّاد.(٤) ويشير في موضع آخر إلى أهل الحرف ويذكر منهم الخراز والحداد(٥)

---

(١) ظاهر خير الله الشويري، الحرفة وتوابعها.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص ٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٣. ص ١٣٣.

* الخراز: محترف صناعة الخرازة، وهي صناعة الجلد والأحذية، المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٩٣.

الشرّاط: صانع شريط الدوم المستعمل لربط البضائع، والجمع: الشراطون، عبد القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس.

* الصفار: صانع الصُّفر، والنحاس الأحمر من الصفر والفلز، والصفر جنس يجمع النحاس واللاطون. والفلز: النحاس الأبيض. ابن سيدة، المخصص مج٣، س ٥، ص ٢٥.

* الخراط:محترف خرط الأعوادوالأخشاب وحرفته متممة للنجارة، زمامة،أسماءالحرف المعروفة في مدينة فاس،ص١١١.

(٣) الشويري، الحرفة وتوابعها، ص ٥٧.

(٤) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير ص ٨٣.

(٥) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٥٥.

وكـذلك نجـد اشارات تذكـر أهـل (الصنـاعات والحـرف)(١)، و(أهـل الصنـائع والحـرف)(٢)، و(أصحـاب الصنـائع والمهـن)(٣) و(أهـل الصنـائع)(٤)، و(أرباب الصنـائع)(٥)، و(أصحـاب الصنـاعات)(٦). وهـذه الإشارات تشعـرنا بوجود فـارق بين الحرفة والصناعة.

ب: تنوع الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي:

تعتبر الحرف والصناعات من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمـع الإسلامي، لذلك أولاهـا المفكـرون المسلمون جانبـاً مـن اهتمامهم وعنايتهم، وحاولـوا تصنيفهـا وتبيـان أنواعهـا وفـق أسـس متعددة ومختلفـة، وهـذا مـا نجده في (رسـائل إخوان الصفـا) (ق ٤هـ/١٠م)، وفي كتـاب (إحيـاء علـوم الـدين) للغـزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، وفي كتـاب (الإشـارة إلى محـاسن التجـارة) للـدمشقي (ت بعـد ٥٧٠هـ/١١٧٤م) وفي (مقـدمة ابن خلدون) (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

أمـا (رسـائل إخوان الصفا)(٧)، فقـد وجهـت عناية خاصة إلى العمـل والى الصنـاع، وأثنـت في رسالة خاصة على الصناع، وأشارت الى شرف الصنـائع(٨) ووصفت من لا صنـاعة لـه بأنه "لا يتعلم الصنـاعة لكبر نفسـه مثل أولاد الملـوك... (أو) لـزهده وورعه ورضـاه بقليـل من أمورالدنيا، وإقباله على طلب الآخرة مثل الأنبيـاء عليهـم السلام... (أو) لكسلـه وثقـل طبيعتـه عـن الحـركة، ويرضـى بالـذل والهـوان في طلـب المعيشـة كالمكدّين والسؤّ ال ...(أو) من أجل مهانته، واسترخاء طبيعتــه، وقلة فهمه، مثل النساء وأمثالهن من الرجال"(٩).

---

(١) الغزالي. إحياء علوم الدين، ج٢، ص ٨٣.

(٢) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٦١.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٥، ص ١٣.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩.

(٦) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠، ٤٩.

(٧) إخوان الصفـا: جمعيـة سرية بدأت فعـالياتها في البصـرة أو بغداد. وانتشـرت في مختلـف البلـدان، وكانت تشتغـل ضـد الخلافة العباسية وتسعى للتهـذيب العـام، جاعلة ذلك وسيلة لإحداث ثورة سيـاسية دينيـة عـامة، ولهـذا الغـرض ألفـوا رسـائلهم المشهـورة ب (رسـائل إخوان الصفـا) وعــددها بين إحدى وخمسـين وثلاث وخمسين رسـالة، وتنـاولوا فيهاكل نواحي المعـرفة التي يحتـاجها الفرد المثقـف في القـرن الرابع الهجري. انظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي.

(٨) إخوان الصفـا،رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفا،م١،ص٢٨٧،الدوري، تاريخ العـراق الاقتصادي، ص٨٦.

(٩) إخوان الصفا، رسائل، م١، ص ٢٩١. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٨٦.

ويلاحظ أن إخوان الصفا في تصنيفهم لطبقات المجتمع، قد صنفوا الناس على أساس مادي حسب عملهم ودخلهم، فالناس في نظرهم كلهم صنّاع وتجار، أغنياء وفقراء. فالصناع:هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم، يعيشون من بيع ما ينتجون. والتجار:هم الذين يتبايعون بالأخذ والإعطاء، وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على مايعطون. والاغنياء: هم الذين يملكون المواد الأولية، والمنتجات الصناعية، والفقراء هم المحتاجون إليها وطلبهم الغنى(١).

أما الحرف والصنائع،فقد صنفها إخوان الصفا وفق أسس متعددة ومختلفة. فصنفوها حسب موضوع الصناعة إلى نوعين:

أ . الصنائع الروحانية: وتشمل المهن الفكرية (العلمية).

ب . الصنائع الجسمانية: وتشمل الحرف اليدوية (العملية). وهذه صنفوها إلى:

١. صنائع يكون موضوعها بسيطاً: كالماء (مثل صناعة الملاحين، والسقائين، والروائين، والسباحين، الخ)، والتراب (مثل صناعة حفار الآبار، والأنهار، والقني، والقبور، والمعادن، الخ)، والنار (مثل النفاطين، والوقادين، والمشعلين)، والهواء (مثل الزمارين، والبواقين، والنفاخين أجمع)، والماء والتراب معاً (مثل الفخارين، والغضارين، والقدوريين وضرّابي اللبن، وكل من يبل التراب).

٢. صنائع يكون موضوعها مركباً، وهي ثلاثة أنواع: الأجسام المعدنية (مثل صناعة الحدادين، والصفّارين، والزجاجين، والصواغين)، والنباتات، والصناعات من هذا النوع إما أن تتناول أصول النبات من الأشجار والقضبان والأوراق، مثل (صناعة النجارين، والخواصين، والحصريين، والبوارين، والأقفاصيين ومن شاكلهم)، أو تتناول لحاء النبات (مثل الكتانين ومن يعمل القنّب، والكاغد ومن شاكلهم)، أو تتناول ورق الأشجار والحشائش وزهر النباتات ونورها وعروقها وقشورها. او تتناول ثمر الأشجار وحب النبات مثل (الدقاقين، والرزازين، والعصارين، وكل من يخرج الأدهان من ثمر الشجر وحب النبات). والحيوان (مثل صناعة الصيادين، ورعاة الغنم والبقر، والبياطرة الخ). أو تتناول إنتاج الحيوان (مثل صناعة القصابين، والشوائين، والدباغين، والأساكفة، والخرازين). أو مقادير الأجسام (مثل الوزانين والكيالين).

ومن الصنائع ما موضوعها أجساد الناس كصناعة الطب والمزينين، ونفوس الناس كصناعة المعلمين.(٢)

---

(١) إخوان الصفا، رسائل، ج١، ص ٢٨٥ - ٢٨٦؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٨٦.

(٢) إخوان الصفا، رسائل، ج١، ص٢٨٥-٢٨٦؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٦؛ صباح الشيخلي، الأصناف ص٢٩.

وصنف إخوان الصفا الصنائع حسب فائدتها وأهميتها للمجتمع، كما يلي:
أ . صنائع ضرورية: كالزراعة والحياكة والبناء.
ب . صنائع تابعة لها وخادمة (أي للصنائع الضرورية)، أو متممة ومكملة لها. فمثلاً صناعة الحياكة ضرورية ومهمة للانسان، إلا أنها لا تتم إلابصناعة الغزل، وصناعة الغزل لا تتم إلّا بصناعة الحلج، فصارت صناعةالغزل وصناعة الحلج تابعة وخادمة للحياكة.
ج . صنائع للجمال والزينة، كصناعة الديباج، والحرير، وصناعة العطور(١).
وصنفوا الصنائع تصنيفاً ثالثاً حسب استخدام الصناعة للنار، كصناعة الحدادين والصفارين، والزجاجين، والجرارين، والغضارين، والطباخين، والشوائين، والخبازين(٢).
وصنفوها تصنيفاً رابعاً حسب الآلات والأدوات المستعملة فيها. وخامساً حسب قيمة إنتاجها مثل صناعة الذين يعملون آلات الرصد كالأسطرلاب، فإن قطعة من الصُّفر قيمتها خمسة دراهم، إذا عمل منها اسطرلاب يساوي مائة درهم(٣).
ويشير الدكتور الدوري إلى أ همية هذه التصنيفات "لأنها تدل على نطاق الصناعات الموجودة في القرن الرابع الهجري، وعن التخصص المتقدم فيها، كما انها تلقي ضوءاً على الفكر الاقتصادي في تلك الفترة"(٤).
ومن الجدير بالذكر ان رسائل إخوان الصفا أُدخلت الأندلس في القرن (٥هـ/١١م) فيذكر ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) أثناء ترجمته للكرماني(٥) (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) بأنه جلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، ولا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله"(٦) ولاشك في أن الأندلسيين قد درسوها، وأفادوا منها في شتى مجالات الحياة.
أما الغزالي فقد قسم "الصناعات والحرف" إلى: صناعات ضرورية (مهمة)، وصناعات غير ضرورية (كمالية)، وهي ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين في

---

(١) إخوان الصفا، رسائل، ج١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٩٨.

(٢) إخوان الصفا، رسائل، ج١، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٩٩.

(٥) الكرماني: هو أبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي من أهل قرطبة، وهو أحد الراسخين في علم العدد والهندسة،رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة، وعني هناك بطلب الهندسة والطب، ثم رجع إلى الأندلس وجلب معه رسائل اخوان الصفا. توفي بسرقسطة سنه ٤٥٨هـ وقد بلغ تسعين سنة. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٨٤-٤٨٥.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٨٤-٤٨٥.

الدنيا كصناعة النقش، والصياغة، وتشييد البنيان بالجص، وصنفها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صناعات مستحبة (كالخياطة، والنجارة، والحدادة، والتجارة، والوارقة). وصناعات غير مستحبة (كالدباغة، والحجامة، والكناسه، والجزارة والدلالة، الخ)(١).

وأما الدمشقي فقد صنف الصنائع إلى:

أ . صنائع علمية، وتشمل المهن الفكرية (كالفقه والنحو والهندسة)

ب . صنائع عملية، وتشمل المهن اليدوية (كالحياكة، والفلاحة، ومشط الصوف والكتان)، وهذه يمكن أن تمارس بعد تدريب بسيط.

ج . صنائع مركبة منهما (أي علمية وعملية)، كالطب والفروسية والكتابة.(٢)

ومن ناحية صحية صنفها إلى: صنائع مضرة بالعقول والآراء، وهي التي يخالط فيها الصنّاع النساء والصبيان. وصنائع مضرة بالأدمغة والأجسام، مثل الأشياء المنتنة والسمك والغبار، كصناعة الكيال والمغربل، والأعمال الشاقة مثل حمل الأثقال.(٣) كما صنفها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صنائع شريفة، وصنائع قبيحة(٤).

وأما ابن خلدون، فقد قسم الصنائع حسب ضرورتها إلى:

صنائع بسيطة، وهي الصنائع الضرورية التي يحتاجها المجتمع الحضري والبدوي على حد سواء كالخياطة، والحدادة، والنجارة، والحياكة، والجزارة. وصنائع مركبة، وهي الصنائع الكمالية التي أوجدتها أحوال النعيم والترف، وهذه تنفرد بها المجتمعات المتقدمة والمتحضرة، فيقول ابن خلدون: "فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش"(٥).

وفي موضع آخر يقول:

"وما يستدعى لعوائد الترف وأحواله فإنما يوجد في المدن المستبعدة في العمارة، والآخذة في عوائد الترف والحضارة، مثل الزّجاج، والصائغ، والدّهان، والطباخ، والصفار، والفراش، والدّباج، وأمثال هذه، وهي متفاوته، وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة، وتستدعي أحوال الترف، تحدث صنائع لذلك النوع"(٦).

كما أشار ابن حلدون إلى (أمهات الصنائع)، وصنفها الى نوعين: صنائع ضرورية في العمران كالفلاحة، والبناء، والخياطة، والنجارة، والحياكة. وصنائع شريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة، والوراقة، والغناء، والطب. وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة لها(٧).

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص ٨٣-٨٤؛ صباح الشيخلي، الأصناف، ص ٣٠.

(٢) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٣٨، ٤١.

(٣) الدمشقي، الإشارة الى محاسن التجارة، ص ٤١ - ٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص ٩٢٣-٩٢٤، الشيخلي، الأصناف، ص ٣٠.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص ٨٨٤ - ٨٨٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٣١.

الباب الأول

المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية
ومناطق توزيعها وانتشارها

الفصل الأول
المواد الأولية من أصل نباتي وحيواني

١ - المحاصيل الزراعية:

أ . الحبوب:

أولى الأندلسيون زراعة الحبوب جانباً كبيراً من اهتمامهم وعنايتهم، نظراً لأهمية هذا المحصول وضرورته في الحياة اليومية، إذ يستفاد من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والأرز وسائر أنواع الحبوب في مجالات الصناعة الغذائية التي لا غنى للإنسان عنها. كما أن للقمح والشعير أهمية خاصة، باعتبارهما من المحاصيل الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد الدولة، إذ كانت تشكل مورداً مهماً من موارد الأندلس المالية(١).

وقد انتشرت زراعة الحبوب في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية. فاشتهرت قرطبة(٢) (Cordoba) وجيّان(٣) (Jaen) بزراعة القمح والشعير وسائر أنواع الحبوب. وكثرت زراعة الحبوب في أرجونة(٤) (Arjona), حيث وصفها المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) بـ "بلد الحبوب"(٥). وفي غرناطة والمناطق التابعة لها(٦)، وفي سهول الكنبانية(٧) والبراجلات(٨)، إذ ذكر ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م) أنهما "بحر من بحار الحنطة ومعدن من معادن الحبوب المفضلة"(٩).

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٤-١٢٧. البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٥، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٦، هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٤٢.

(٢) كما اشتهرت زراعة القمح والشعير في بعض الأقاليم التابعة لقرطبة، ومثال ذلك إقليم المدور، القصب، لورة، الصدف، بني مسرة، منيانة، كرتش، القتل أو (القشتل) الهزهاز، الملاحة، الشعراء، وإقليم أولية السهلة. العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٤-١٢٧؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٥؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٩-١٨١.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٥، ص ٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٤) أرجونة: بلد من ناحية جيان بالأندلس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٤٤.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٣.

(٦) في فحص غرناطة مثلاً، كان يزرع القمح والشعير والذرة العربية، وأصناف القطاني التي تشمل: العدس والكرسنة والفول والحمص. انظر: القزويني، آثار البلاد، ٥٠٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، الحلل الموشية، ٩١.

(٧) الكنبانية: كلمة مشتقة من كلمة Campo القشتالية، ومعناها هنا البسيط أو السهل من الأرض، وتقع شمال غرب غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٩٦؛ ويشير الإدريسي إلى إقليم الكنبانية، الذي يضم المدن التالية: قرطبة، الزهراء، إستجّه، بيانة، قبرة، واليشانة، بالإضافة إلى جملة حصون وقرى. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٣٦.

(٨) البراجلات: جمع برجيلة وهو تعريف للكلمة الإسبانية Parcela, أي قطعة من الأرض، وتقع البراجلات شمال شرق غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٩٦.

(٩) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٢.

وكثرت غلات القمح والشعير في مدينة أُبَّذة(١) (Ubeda) , وأُنْدَة(٢) (Onda)وبرشلونة(٣) (Barcelona) .

ومن المناطق التي اشتهرت بزراعة القمح مدينة شُبْرُب (Segorbe) من أعمال بلنسية(٤). والمُنَكّب،(٥) (Almunecar) , ومُرْسِية(٦) (Murcia) , التي تميز قمحها بكثرة الناتج من الحبة الواحدة، حيث ذكر الزهري أنها تنبت مائة سنبلة، وفي كل سنبلة ثمانون حبة ومائة حبة طيبة(٧).

واشتهرت طُلَيْطُلة(٨) (Toledo) بزراعة الحنطة المتميزة بجودتها، كما اشتهرت بحفظها لفترات طويلة(٩)، فحنطتها "لا تتغير ولا تسوس على مر السنين، يتوارثها الخلف عن السلف"(١٠). كما اشتهرت سرقسطة(١١) (Zaragoza) بحفظ القمح والفول والحمص وسائر أنواع الحبوب لفترات طويلة دون أن تصاب بالتسوس(١٢). وتوحي هذه الإشارة بأن زراعة الفول والحمص قد انفردت بهما سرقسطة، ولكن هذا لا يعني عدم زراعتهما في مناطق الأندلس الأخرى(١٣)، إذ إن كتب الفلاحة الأندلسية تشير إلى زراعة القمح والشعير والحمص والفول والعدس، واللوبيا، والذرة، وغيرها من أنواع الحبوب، وأصناف القطاني في الأندلس حيث التربة المناسبة والمناخ الملائم(١٤).

---

(١) أبذة: تقع شرق بياسة وتبعد عنها سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة بالقرب من نهر الوادي الكبير. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١.

(٢) أندة: من أعمال كورة بلنسية، تقع شرق قرطبة وتدمير. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) تقع في الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الأندلسية، بينها وبين طرّكونة خمسون ميلاً. الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٤.

(٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥.

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٠.

والمنكب: بلد على ساحل جزيرة الأندلس، من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً انظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ١٣٢٤.

(٦) مرسية: من أعمال تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط. (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ/ ٨٢١ – ٨٥٢م)، ياقوت الحموي، معجم ا لبلدان، ج ٥، ص ١٠٧.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٠.

(٨) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، تقع على شاطىء نهر تاجه، ويتصل عملها بعمل وادي الحجارة، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس. اخذها النصارى سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م)، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٩٢.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٠؛ الزهري، الجعرافية، ص ٨٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٨.

(١٠) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٨٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

(١١) سرقسطة: تقع في شرق الأندلس، وتعرف بالمدينة البيضاء، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، وقيل سميت بذلك لكثرة جصّها وجيّارها. وأخذ النصارى سرقسطه من أيدي المسلمين سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م)، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦ – ٩٧.

(١٢) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ المقّري، نفح الطيب، ج١، ص ١٩٧.

(١٣) حتامله، ملامح حضارية، ص ١٨٩.

(١٤) ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص ١٠٩-١١٤، ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص ١٤، ابن العوام، الفلاحة، ص ٩٤-٩٦.

كما انتشرت زراعة الحنطة والشعير في مدينة قرمونة(١)(Carmona) وحصن بيانة(٢) (Baena). وحصن سهيل*(٣) (Fuengirola), وشريش(٤) (Jerezde la Frontera) وشنترة(٥) (Cintra), وطرّكونة(٦) (Tarragone), وتُطيلة(٧)(Tudela), ووادي الحجارة(٨) (Gudalajara), وتدمير(Tudmir) التي تقع شرقي قرطبة(٩)، وإستجة(١٠) (Ecija), ومدينة المرية (Almeria) التي يختزن بها الشعير لفترة طويلة دون أن يتسوس(١١). كما أن سنقير، وهو مكان قريب من المرية، اشتهر بزراعة القمح الفائق الجودة، الذي تنبت الحبة الواحدة منه مائة وثمانين سنبلة، وفي كل سنبلة ثمانون حبة(١٢).

---

(١) قرمونة: مدينة بالأندلس، تقع شرق إشبيلية وغرب قرطبة. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٢؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٨٣.

(٢) بيانة: قصبة كورة قبرة، وهي كبيرة حصينة، يكتنفها أشجار وأنهار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٧؛

(٣) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج٢، ص ٢٨٥.

* حصن سهيل، من أعمال مالقة، وهو عمل عظيم كثير الضياع، وفيه جبل سهيل، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه، المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) شريش: من كورة شذونة بالأندلس، تقع على مقربة من البحر، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٣.

(٥) شنترة: من مدن غرب الأندلس، تابعة لمدينة الأشبونة، وتقع على مقربة من البحر. ومن خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان بعد (٤٠) يوماً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٤.

(٦) طركونة: مدينة أولية، تقع على شاطىء البحر المتوسط، بين مدينة طرطوشة وبرشلونة، انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

(٧) تطيلة، مدينة من المدن الشمالية الإسبانية، تقع على وادي الإبرو على بعد ٧٨ كيلومتراً، شمال غرب سرقسطة. انظر: ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٩٩، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٦٤.

(٨) وادي الحجارة: مدينة بالأندلس، تقع شمال شرق مدريد، وكانت تعرف بمدينة الفرج. ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٧٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

(٩) العذري، ترصيع الاخبار، ص ٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤.

(١٠) إستجة: اسم لكورة بالأندلس من أعمال رية، تقع على نهر غرناطة المسمى شنيل أو (سنجل)، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٤.

(١١) الزهري، الجعرافية، ص ١٠١.

(١٢) الزهري، المصدر نفسه، ص ١٠٠؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٤٤.

وكثرت زراعـــة القمـــح والشعير في شنترين(١) (Santarem) ، وأورية(٢) (Orense) ، وإلبيرة(٣) (Elivira) ، ومـدينة لورقة(٤) (Lorca) التي امتـازت بخصـوبة أرضهـا وطيـب مزروعاتهـا ووفـرة إنتاجها من الحبـوب(٥). واشتهـرت مـدينة يبورة(٦) ومنطقة فحص بلاطة(٧) بزراعة الحنطة الجيدة.

أمـا زراعة الأرز(٨) فقد انتشـرت في المناطق الجنوبية والشـرقية من الأندلس(٩). ويشار إلى مدينة بلنسية(١٠) (Valencia) ، التي اشتهرت بإنتاج الأرز بكميات كبيرة، حتى أنها كانت تصدره إلى جميع بلاد الأندلس(١١).

---

(١) شنترين: تقع على نهر تاجه، بالقرب من مدينة الأشبونة. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١؛ القزويني ، آثار البلاد، ص ٥٤٢.

(٢) أورية: مـدينة بالأندلـس، وهـي قصبـة كـورة جيان، وقيل: من قرى دانية بالأندلـس، البغـدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٣٠؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٦.

(٣) إلبيرة: كورة كبيرة من كور الأندلس، تقع جنوب شرق قرطبة، ومن أشهر مدنها مدينة غرناطة: انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١١١؛

(٤) لـــورقة: مـــدينة كبيرة بالأندلـــس، وهـــي قـــاعدة كـــورة تدمير. القـــزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(٥) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٤٥.

(٦) يبـورة: تقـع شـرق بطليـوس على بعـد مـرحلتين منهـا. الإدريـسي، نزهـة المشتـاق، ج ٥، ص ٥٤٤.

(٧) فحص بلاطة: يقع بين مدينة لشبونة وشنترين. ويذكر الإدريسي أن الحنطة تزرع في هذا الفحص فتقيم في الأرض أربعين يومـاً فتحصـد، وأن الكيـل الـواحد منهـا يعطي مـائة كيل. الإدريـسي، نزهـة المشتـاق، ج ٥، ص ٥٤٩-٥٥٠.

(٨) أدخل المسلمون زراعة الأرز إلى الأندلس بعد الفتح الاسلامي، ومنها انتقلت زراعته إلى بقية بلاد أوروبا. أنور الرفاعي، الاسلام في حضارته ونظمه، ص ٢٩٤.

(٩) أحمد بدر، الحضارة العربية الاسلامية، ص ٢٩.

(١٠) بلنسيـة: مـن مـدن شرق الأندلس، تقـع شـرقي مرسية وقرطبة وغربي طـرطوشة. انظـر: ابن غـالـب، فرحة الأنفـس، ص ٢٨٥؛ البغـدادي، مـراصـد الاطلاع، ج ١، ص ٢٢٠؛ أبو الفـداء، تقـويم البلـدان، ص ١٧٩.

(١١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٧.

(ب) الأشجار والنباتات المثمرة:

١ . الزيتون

زرعت مناطق شاسعة من الأراضي الأندلسية باشجار الزيتون، واشتهرت منطقة جبل الشرف(١) (Ajarafe) التي تقع غربي إشبيلية(٢) (Sevilla), والمتميزة بتربتها الخصبة، وفوائدها الجمة، ومساحتها الواسعة(٣)، بزراعة اشجار الزيتون بكثرة، حتى أن المسافر كان يمشي في ظلها مسافة أربعين ميلاً طولاً واثني عشر ميلاً عرضا. وتمتد هذه المنطقة من مدينة إشبيلية إلى مدينة لبلة(٤) (Niebla)ة(٥).

وقد أشار البكري إلى كثافة أشجار الزيتون التي تغطي جبل الشرف لدرجة أنه لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه(٦).

واشتهر زيتون جبل الشرف بأنه "كثير الريع عند العصر، لا يتغير على طول الدهر"(٧)، لذا كان أهل إشبيلية يتاجرون بالزيت، حيث كان الفائض منه يصدر إلى بلدان المشرق والمغرب(٨).

---

(١) جبل الشرف: تل تراب أحمر يشرف على مدينة إشبيلية، ويوصف بأنه شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً وعرضه من الشرق إلى الغرب اثنا عشر ميلاً. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥. البكري، جغرافية الأندلس ص١١٥. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١. الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥١.

(٢) تقع إشبيلية شرق لبلة وغرب قرطبة، وهي عروس بلاد الأندلس، اشتهرت بحفظ الزيتون تحت الارض لفترة طويلة. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢. المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤١. ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩.

(٤) الإدريسي،نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١؛ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢١.المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٩.

(٥) لبلة: من مدن غرب الأندلس. تبعد عن المحيط الأطلسي ستة أميال.انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ١١٥؛ انظر: ابن العوام، الفلاحة، ص ٢٣٤؛ الحميري، صفة جزيرةالأندلس، ص٢١.

(٧) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، المقدمة ص (ب)؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩؛ الباكوي، تلخيص الآثار ص ١١٦.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤١؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها ص ٥١؛

وكثرت زراعة أشجار الزيتون في قرطبة(١) (Cordoba)، وشوذر(٢) (Jodar)، التي تبعد ثمانية عشر ميلاً عن قرطبة، ومارتش(٣) (Martos)، وحصن بلكونة(٤) (Porcuna)، وحصن بُبشتر(٥) (Bobastro)، وقرسيس(٦)، ووادي الرمان(٧)، وبيغو(٨) (Priego)، ومنتيشة(٩) (Mentesa)، ومنية نصر(١٠) ومورور (Moron) والمناطق التابعة لها(١١).

واشتهرت قبرة (Cabra) وأعمالها(١٢)، وشريش(١٣)، ولبلة والمناطق التابعة لها(١٤)، بكثرة أشجار الزيتون.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) شوذر: حصن يقع شرقي جيان، وقبالة بياسة، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩.

(٣) مارتش: تبعد خمسة عشر ميلاً عن قرطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٣،٢٣٥.

(٤) حصن بلكونة، يبعد أربعين ميلاً عن قرطبة. المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٥) حصن ببشتر: يبعد ثمانين ميلاً عن قرطبة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٦) قرسيس: مدينة سهلية، تبعد ستين ميلاً عن قرطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.

(٧) وادي الرمان: منطقة سهلية كثيرة التين والاعناب والزيتون، تبعد أربعين ميلاً عن قرطبة، المصدر نفسه. ص ٢٣٤.

(٨) بيغو: بلدة بالأندلس من أعمال جيان كثيرة المياه والزيتون والفواكه. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣٢.

(٩) منتيشة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان، وقيل إنها من قرى شاطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٧-٢٠٨.

(١٠) منية نصر: قرية بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٧.

(١١) مورور: من مدن قرطبة بين الغرب والجنوب، تبعد عن قرطبة ستين ميلا. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣.

(١٢) قبرة: تقع جنوب قرطبة، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. انظر. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٣.

(١٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢.

(١٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٤٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٣٣٩.

وانتشرت زراعة الزيتون في بجانة(١) (Pechina) , وإلبيرة(٢)، وغرناطة(٣) ووادي آش(٤) (Guadix) , وبلشانة(٥)، وحصن بيّانة(٦)، وبسطة(٧)، (Baza) , وأركش (Arcos) التي تقع على وادي لكة(٨). كما انتشرت زراعة الزيتون في قمارش (Comares) التي تقع شمال شرق مالقة(٩)، وفي المرية(١٠)، وطبرنيش، التي تقع شرق المرية(١١)، وتدمير(١٢)، وألش(١٣) (Elche) , وقربليان(١٤)(Crevillente) , ودانية(١٥) (Denia) , وحصن مربيطر(١٦) (Murviedro) , الذي يقع قرب طُرطُوشة(١٧) (Tortosa) , وإقليم سرقسطة(١٨)، وحصن يلوية(١٩)، وفحص البلوط(٢٠) (Los pedroches) , وإفراغة(٢١) (Fraga) , وقسطيلة(٢٢)، وإقليم الزيتون(٢٣). ولورقة التي اشتهرت بتصديره إلى سائر البلاد(٢٤).ويلاحظ أن زراعة الزيتون تركزت في المناطق الجنوبية والشرقية من الأندلس.

---

(١) بجانة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة، خربت وانتقل أهلها إلى المرية. انظر: العذري، ترصيع الاخبار، ص ٨٧؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١٦٣؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٤٧؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٦١.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، مج ١، ص ١١٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٩١.

(٤) وادي آش: مدينة بالاندلس، قريبة من غرناطة، انظر، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

(٥) بلشانة: حصن كبير عامر يحيط به شجر الزيتون، يبعد عن حصن أشونة الذي يقع جنوب إستجة عشرين ميلاً. الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٧.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٧؛

(٧) بسطة: من أعمال جيان، تقع بالقرب من وادي آش. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ص ٤٢٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ٤٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٩) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص ٢٨٧؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٧٩.

(١٠) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٣؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩١.

(١١) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩١.

(١٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥ ، ٨.

(١٣) ألش: مدينة بالأندلس، من أعمال تدمير، القزويني، آثار البلاد، ص٥١٣؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص١١١.

(١٤) قربليان: مدينة بالأندلس، بينها وبين أريولة عشرون ميلاً. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ١٥١.

(١٥) دانية: مدينة كبيرة شرق الأندلس، وهي مشتقة من: دنايدنو: إذا قرب. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٣.

(١٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٠ - ١٨١.

(١٧) طرطوشة: تقع على ساحل البحر المتوسط، شرق بلنسية وقرطبة، انظر: ابن غالب فرحة الأنفس، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(١٨) العذري، توصيع الأخبار، ص ٥٦.

(١٩) حصن يلوية: من أعمال مدينة وشقة، التي تقع شرقي سرقسطة. العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٥ - ٥٦.

(٢٠) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف أوريط، ويقع شمال قرطبة، ينسب إليه القاضي منذر بن سعيد البلوطي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٤٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٠- ١٤١.

(٢١) إفراغة: مدينة بالأندلس من أعمال ماردة، البغدادي، مراصد الاطلاع، ص ٩٩.

(٢٢) قسطيلة: تبعد ثلاثة عشر ميلاً عن أرجونة، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٣.

(٢٣) إقليم الزيتون: يضم المناطق التالية: جاقة، لاردة، مكناسة، وإفراغة، انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٣٨.

(٢٤) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٢، ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٥٦.

٢. التوت ودودة القز

تعد شجرة التوت من أهم الغلات الزراعية، ذات الفائدة الاقتصادية الكبيرة، إذ يستفاد منها في تربية دودة القز، التي تستخرج من شرانقها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية.

وقد كثرت زراعة التوت في منطقة بيغو(١) (Priego) وأشكوني(٢). واشتهرت مناطق حصن شنش(٣) ووادي آش(٤) وفنيانة(٥) (Finana) , بزراعة أشجار التوت وانتاج الحرير. كما اشتهرت بذلك مرسية حتى أن أكثر ما في بساتينها "شجر التوت المعد لعلف الحرير"(٦)، ومنها كان الحرير يصدر إلى غرناطة(٧).

وتعد مدينة جيان من أشهر المدن الاندلسية في إنتاج الحرير(٨)، حتى أنها كانت تعرف بـ "جيان الحرير" لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بتربية دودة الحرير(٩). وقد كان يتبعها أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها تربي هذه الدودة(١٠).

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٥.

(٢) أشكوني: بالأندلس من أعمال تدمير. ويذكر الحميري أن شجر التوت ينبت في أرضها من غير غراسة ولا اعتمال. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢.

(٣) حصن شنش: يقع على بعد مرحلة من المرية. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٢٥؛ المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٦٤.

(٤) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٩٥؛

(٥) فنيانة: قرية بقرب وادي آش من الأندلس. ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٤٣.

(٦) المكناسي، الإكسير في فكاك الاسير، ص ١٦٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٨) ابن رشد، فتاوى، ج١، ٣٢٩-٣٣٠، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٢١؛ السباهي، أوضح المسالك، خ، ص ٤٣/ب.

(٩) الشقندي، فضائل الاندلس وأهلها، ص ٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٥١؛ المقري، نفح الطيب، مج ٣، ص ٢١٧.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٨؛ انظر: أبن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٦؛

واشتهـرت إلبيرة والمناطق التـابعة لها بإنتاج الحريرالجيـد "الـذي ينتشر في البلاد ويعـم الآفاق"(١). ويكثر الحرير في منطقـة جبل شلير(٢) والقـرى المتصلـة به(٣). وفي برجة (Borja) التي تقـع شمـال غـرب المرية(٤). وفي دلاية(٥) (Dalias) , والمـــرية(٦)، وأندرش(٧) (Andarax) , ومـالقـة (Malaga) وأعمـــالهـا(٨)، وغـرناطة(٩)، وبسطـة(١٠) كمـا توصف سهول الكنبانية، والبراجلات(١١)، وإقليم بشرة بني حسان وشبالش(١٢) بأنها معدن من معادن الحرير.

---

(١) الإصطخـري، مسالك الممالك ص ٤٤؛ العـذري، ترصيع الأخبار، ص٩٣؛ الحميري، الـروض المعطار، ص٢٤.

(٢) جبل شلير: يقع جنوبي غرناطة بالقرب من البحر المتوسط، ويتصل بالجزيرة الخضـراء. وتغطيه الثلوج شتاءً وصيفاً، لذا يعرف بـ "جبل الثلج". انظـر: البكري، جغرافية الأندلس، ص ٨٤ - ٨٥؛ الـزهري، الجعرافية، ص ٩٣

(٣) البكـــري، جغـــرافية الاندلـــس وأوروبا، ص ٨٤ - ٨٥. الحميري، صفـــة جزيرة الأندلـــس، ص ١١٢.

(٤) ابن الخطيـب، ريحانة الكتـاب، ج ٢، ص ٢٨٩؛ ابن الخطيـب، مشاهــدات لسـان الـدين، ص ٨١ - ٨٢.

(٥) دلاية: قـرية أندلسية صغيرة تقع على مقربة من غربي المرية، أنظر: ابن الخطيـب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٦) الـزهري، الجعـرافية، ص ١٠٢؛ ابن سعيـد، الجغـرافيا، ص١٤٠، المقـري، نفـح الطيـب، ج١، ص ١٦٢-١٦٣.

(٧) أندرش: بلـدة أندلسـية صغيرة من أعمـال المرية، تقع على النهـر الأحمـر على مقـربة من البحر المتوسط، وتشتهـر في التـاريخ بأنها كانت مقام ابي عبـد اللـه محمد آخر ملوك الأندلـس، وبلاطـه الصغير عقـب سقوط غـرناطة. انظـر: ابن الخطيب، ريحانة الكتـاب، ج ٢، ص ٢٩٤؛ ابن الخطيـــب، مشـاهدات لسـان الدين. ص ٨٨.

(٨) الزهري، الجعرافية، ص٩٣؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٥؛ القلقشنـدي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢.

(٩) ابن الخطيـب، الاحاطة، ج ١، ص ١١٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٩١؛ المكنـاسي، الاكسير في فكاك الأسير، ص ١٦٠ - ١٨٢.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٥.

(١١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٢.

(١٢) اقليم بشرة بني حسان: من أقاليم غرناطة، ويضم المناطق التالية: حصـن برجة والعذراء، والقليعة، وحصن شبـالش، ودلاية. انظـر: ابن الخطيب، اللمحـة البدرية، ص ٢٩؛ ابن الخطيـب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٨.

٣. القطن والكتان

كانت النباتات والأعشاب التي تدخل في صناعة الأقمشة والمنسوجات، تزرع في الأندلس على نطاق واسع، كالقطن والكتان، والزعفران، والعصفر، والكمون والكزبرة والفوه والحناء(١).

أما زراعة القطن(٢) فقد اشتهرت في مدينة إشبيلية التي تقع على نهر الوادي الكبير(٣) (Guadl Quivir) حيث التربة الخصبة والمياه الوفيره. وامتاز إنتاجها من القطن بالوفرة والجودة العالية(٤)، وكان الفائض منه يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب(٥).

وكثرت زراعة القطن في كورة(٦) رندة(٧) (Ronda) , ومنطقة وادي آش(٨).

---

(١) كولان، الأندلس.

(٢) أدخل العرب زراعة القطن إلى الأندلس بعد الفتح من المشرق الاسلامي، ومنها انتقلت زراعته إلى المناطق المجاورة. حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ٢١٧، الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص٢٩٤.

(٣) نهر الوادي الكبير: يعرف باسماء متعددة منها: "نهر بيطي". "ونهر قرطبة". "ونهر اشبيلية". "وتوفير". ينبع من جبال شقورة ويصب في المحيط الأطلسي، ويبلغ طوله من منبعه إلى مصبه (٣١٠) أميال. ومن أشهر المدن الواقعة عليه: مدينة قرطبة، وإشبيلية الواقعة على ضفته الشرقية، والتي تبعد مسافة خمسين ميلاً عن مصبه. انظر: أورسيوس، تاريخ العالم، ص ٧٦، ص١٢١٧، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦١؛ الزهري، الجعرافية، ص ٩٧-٩٨.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

(٥) كان القطن يصدر إلى إفريقية، والقيروان، وسجلماسة. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

(٦) الكورة: هي عبارة عن الصقع أو الناحية، وتطلق أيضاً على المدينة. ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٧١.

(٧) رندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٧٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج١، ص٣٢٩.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

أمـا زراعة الكتان(١) فقد كثرت في منطقة إلبيرة وأعمالهـا(٢)، وكان كتانها رفيعاً متميزاً بجـودته(٣). وامتازت منطقة فحص إلبيرة بانتاج الكتـان الجيد، الذي كان يصدر إلى أقـاصي بلاد المسلمين(٤). واشتهـرت منطقة جبل شلير والقـرى المتصلـة بها بزراعة "الكتان الذي يفضل كتان الفيوم"(٥).

ومـن المـدن الأندلسيـة الأخرى التي اشتهـرت بزراعـة الكتـان: مـدينة لاردة(٦) (Lerida) التي كـانت تصـدره إلى جميـع الثغور الاندلسية(٧). ومـدينة شُنْتَرُوب مـن أعمـال بلنسيـة(٨)، وباجة(٩) (Beja)، وأندرش(١٠) وبجـانة(١١)، ووادي آش(١٢) والمـرية التي وصفها ابن الخطيـب بأنها "بلد الكتان"(١٣) ومـدينة فِـرّيش الواقعة شمال غرب قرطبة(١٤).

---

(١) تحدث أبو الخير الأندلسي مسهباً عن كيفية زراعة الكتان في الأندلس، انظـر: أبو الخير الأندلسي، كتاب في الفلاحة، ص ١٣٩-١٤١.

(٢) يشير ابن سعيـد هنـا إلى مملكة إلبيرة التي تقـع بين مملكتي قـرطبة والمرية، ومملكتي جيـان ومـالقة. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٩١؛

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤.

(٥) البكـــري، جغـــرافية الأندلـــس وأوربا، ص ٨٥؛ الحميري، صفـــة جزيرة الأندلـــس، ص ١١٢.

(٦) لاردة: مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، وتتصل أعمالها بأعمال طركونة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧.

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥.

(٩) باجة: تقـع غرب قرطبة وجنوب شرقي الأشبـونة. انظر: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٢٥؛ القـزويني، آثار البلاد، ص ١٥٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٩.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ٣٢.

(١١) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٤٧.

(١٢) الرشاطي، اقتباس الأنوار ص ٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٩٥.

(١٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٣.

(١٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٥.

٤ • الزعفران والعصفر

وتميزت الأندلس بزراعة الزغفران والعصفر(١). وهما من النباتات التي تدخل في صناعة الأصباغ(٢). فاشتهرت طليطلة بزراعة الزعفران الفائق الجودة(٣) "الذي يعم البلاد ويتجهز به إلى الأفاق"(٤).

وكثرت غلات الزعفران(٥) في منطقة وادي الحجارة التي تقع شرقي طليطلة، ومنها كان يصدر إلى سائر الجهات الاندلسية(٦). وبلنسية التي يزكو بها ويجود(٧). وأُبّده(٨) (Ubeda). حيث تكثر مياه الري لسقيه. وفي بيّاسة(٩) (Baeza) كان يزرع الزعفران ومنها يصدر براً وبحراً إلى الخارج(١٠). ويكثر الزعفران في مدينة باغة (Priego) من أعمال غرناطة(١١).

---

(١) ابن بصال، الفلاحة، ص ١١٦؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٤، ١٩٩.

(٢) الدينوري، كتاب النبات، (الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس)، ص ١٦٧-١٧٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣١٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩-٤٠.

(٤) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا، ص ٨٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٣؛ المقري، نفح الطيب. ج ١، ص ١٤٣.

(٥) للزعفران استعمالات أخرى، فهو يدخل في تحضير العقاقير الطبية المفيدة في علاج خفقان القلب والتهاب الطحال، كما يستخدم في علاج مرض الظلمة الذي يؤدي إلى ضعف الأبصار ليلاً. انظر: هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٧٩.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥١٣؛

(٨) أبده: مدينة أندلسية بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وهي مجاورة لبياسة، لكنها لا تقع على نهر الوادي الكبير. انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢ ص ٧٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٧؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الاندلس، ص ١٧٩.

(٩) بياسة: مدينة أندلسية من أعمال جيان، تقع على نهر الوداي الكبير، قرب إشبيلية. استولى عليها النصارى، سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م). انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢١؛ السباهي، أوضح المسالك، خ، ص٣٥/ب.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق ، ج ٥، ص ٥٦٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٧١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٥.

(١١) كانت باغة تصدر الزعفران خارج الأندلس. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٢٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢،

أما بسطة فقد اختص أهلها "بمعالجة الزعفران"(١)، فكانت تنتج منه ما يكفي لسد حاجة مسلمي الأندلس(٢)

وكانت زراعة العصفر(٣) تجود في كورة إلبيرة(٤)، وكورة لبلة(٥)، وإشبيلية التي تميزت بإنتاج العصفر المفضل على غيره، وكان الفائض منه يصدر إلى سائر الأقطار(٦).

ومن النباتات الأخرى التي تدخل في صناعة الأصباغ: الفوّه(٧) والبقّم(٨) اللذان يستخلص من بذرهما وعروقهما اللون الأحمر الذي تصبغ به الثياب(٩). والنيلج الذي يستخرج منه اللون الأزرق(١٠).

٥ - قصب السكر

عرفت الأندلس زراعة قصب السكر (الطّبرزد)(١١) في المناطق الساحلية، وبالقرب

---

(١) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٣١؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج٢، ص ٢٥١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٤.

(٣) العصفر: وهو القرطم الذي يصبغ به، وهو نوعان بري، وريفي، وهذا الأخير يزرع في البساتين. انظر الدينوري، النبات، ج٣، ص ١٦٧-١٧١؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ١١٠.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١٠؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥؛

(٦) العذري، ترصيع الاخبار، ص ٩٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩.

(٧) الفوه: نبات دقيق في رأسه حب شديد الحمرة كثير الماء، تطبخ عروقه ويصبغ بمائها. والفوه أصناف بعضها ما نواره أصفر، وبعضها ما نواره أبيض. والذي تصبغ به الثياب هو الذي يزرع في البساتين، انظر: الدينوري، كتاب النبات، ق ٢، ص ١٩٤.

(٨) البقم: شجر ضخم أحمر يصبغ بطبيخه، ورقه مثل ورق اللوز، أماالسيقان والأغصان، فهي ذات لون أحمر. الدينوري، النبات (ليدن - ١٩٥٣)، ص ٥٢.

(٩) الزبيدي، لحن العوام، ص ٦٣، ١٠٧، ابن هشام اللغمي، المدخل، ج٢، ٣٣٠، الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٧٧.

(١٠) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٤٣؛ الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٧٧.

(١١) الزبيدي، لحن العوام، ص ١٤٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٤٩.

من شواطىء الأنهار، حيث الأرض الرملية الرطبة، والمياه الغـزيرة، والحرارة العالية. إذ إن المناطق الباردة لا تناسبه(١).

وتعـد مدينة المنكب من أوسـع المناطق الأندلسية زراعـة لقصـب السـكر. حتى أنها تعتبر مركزاً مهماً لتصديره إلى مختلف البلدان(٢).

وتجـود زراعـة قصب السـكـر في منـاطق شَلْوبين(٣) (شلـوبينية Salo Brena) وإشبيليـة(٤) وإلبيرة(٥)، وسهـول غـرناطة (الكنبـانية والبراجلات)(٦)، والمـرية(٧)، وشَمْجَلَة(٨).

ومـن الملاحظ أن زراعة قصـب السكر تركزت في المناطـق الجنـوبية من الأندلس.

---

(١) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص ٦٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الخطيب، مشـاهدات لسان الدين، ص ٨٠؛ القلقشنـدي، صبح الأعشـى، ص ٢١١؛ الـونشريسي، المعيار المعرب ج١٠، ص ٢٩٨-٢٩٩، حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٠.

(٣) شلـوبينية قرية على شاطئ البحر المتوسط بينها وبين المنكب عشرة أميـال. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١١١.

(٤) كـان قصـب السكـر يزرع جنوبي مدينـة إشبيليـة في بساتين تعرف بجنات المصلى، انظـر: العـذري، ترصيـع الأخبـار، ص ٩٦؛ ابن غـالـب، فـرحة الأنفـس، ص ٢٩٣؛ الحميري ، صفـة جزيرة الأندلـس ص ٢١.

(٥) ابن غالب، فرحه الأنفس، ص ٢٨٣؛ القزويني. آثار البلاد، ص ٥٠٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٩٨

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٩٦.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٥.

(٨) شمجلة: مدينة بالأندلس من أعمال ريَّة، ويقال لها شمجيلة، وهي قرية قـريبة من البحر المتوسط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٦١.

٦ - التين

اشتهرت الأندلس بزراعة التين بكثرة وخاصة فى منطقةمالقة، التي ينسب إليها التين الريّي(١)، وهو من أجود أنواع التين وأطيبها طعما ومذاقا(٢). وتعد مالقة وأعمالها من أوسع المناطق الأندلسية زراعة لأشجار التين، حتى إن المنطقة الساحلية الواقعة بين حصن سهيل وبليش - من أعمال مالقة- كلها كانت مغروسة بأشجاره(٣). لذا فقد اشتهرت مالقة بتجارة التين، فكان يصدر منها إلى مصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند والصين، وذلك لجودته وحلاوته(٤).

كما اشتهرت منطقة جبل الشرف التابعة لإشبيلية بزراعة التين القوطي والشعري، وهما صنفان تميزت بهما إشبيلية عن بقية المناطق الأندلسية(٥). وكان التين يحمل منها إلى سبتة وسلا وغيرهما من بلاد المغرب(٦).

وانتشرت زراعة التين بكثرة في بلنسية التي بلغت أنواعه فيها ستين نوعاً لا يشبه بعضها بعضاً لا في الطعم و لا في اللون(٧). وفي أندة من أعمال بلنسية(٨)، ودانية(٩)، ولقنت(١٠) (Alicante) ، ومرسية(١١)،وتدمير(١٢)، وأشكوني(١٣)، وسرقسطة التي اشتهرت بحفظ التين اليابس(١٤).

---

(١) نسبة إلى ريُّه، وهي كورة من كور الأندلس، جنوبي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب، وكانت مالقة تابعة لها.انظر:الإدريسي،نزهة المشتاق،ج٥،ص ٥٧٠ - ٥٧١ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥ ، ص٤٣.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٥؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٧.

(٣) يذكر الشقندي أن المسافة بين حصن سهيل وبليش تقدر بثلاثة أيام. انظر الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٧-٥٨؛ المقري،نفح الطيب، مج٣، ص٢١٩.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٥؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٧٦، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦٧٩؛ السباهي، أوضح المسالك، خ، ص ٨٧/أ.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ٥١ - ٥٢.

(٦) ابن رشد، فتاوى، ج ٣، ص ١٤٥٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص ١١٩

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ ، ص ٢٦٤.

(٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣٤؛الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٦.

(١٠) لقنت: مدينة صغيرة عامرة، تقع على ساحل الأندلس الشرقي، بينها و بين دانية سبعون ميلا. انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٧٤.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣.

(١٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨

(١٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢

(١٤) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٩٧.

وكثرت زراعة التين في الشنيدة(١)، ووادي الرمان، وبيغو، ومارتش و بياسة(٢)، وغرناطة(٣)، وقمارش(٤)، ومَرْبلّة (Marbella)و(٥)، وبلّش (Velez)و(٦). وهي من أكثر بلدان الأندلس تينا(٧). وفي شريش(٨)، والجزيرة الخضراء(٩) (Algeciras) ، وحصن قسطلة(١٠)، و شنتمرية(١١) (Santamaria) ، و طليطلة(١٢)، وإقليم الشنشين الذي يضم مدينة شلب، ومنه يصدر التين إلى أقطار المغرب(١٣).

ومن الجدير بالذكر أن الخمور في الأندلس كانت تصنع من ثمار التين والعنب(١٤).

٧- العنب

و العنب كثرت زراعته في أبدة من أعمال جيان، حتى أنه لكثرته فيها يكاد " لا يباع و لا يشترى" (١٥). وفي مالقة التي تتميز أعنابها بكبر الحبة و حلاوة الطعم(١٦). وأشار ابن بطوطة الذي زار الأندلس في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى كثرة أعنابها بقوله: "إن العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير"(١٧).

---

(١) الشنيدة: من المدن التابعة لقرطبة ، على بعد يومين منها. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٠٩.
(٤) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين،ص ٧٩؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٨.
(٥) مربلة: تقع غربي مالقة على بعد أربعين ميلا، وجنوبي ببشتر. الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج٥ ، ص ٥٧٠.
(٦) بلش : تقع غرب مدينة المنكب. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١١.
(٧) القلقشندي، صبح الأعشى. ج ٥، ص ٢١١.
(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٢
(٩) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، أعمالها متصلة باعمال شذونة، تقع شرقي شذونة وجنوبي قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٣.
(١٠) حصن قسطلة: يقع شمالي شلطيش على بعد ثمانية عشر ميلا. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٢.
(١١) شنتمرية: وهي شنتمرية الغرب ، مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة، تقع على ساحل المحيط الاطلسي. الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٤- ١١٥.
(١٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٩.
(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٣.
(١٤) المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢١٤.
(١٥) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٦؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣ ، ص ٢١٧.
(١٦) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٥٥.
(١٧) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦٧٩

وانتشرت زراعة العنب بكثرة في قرطبة،والجفر (١)، والشنيدة، ووادي الرمان، وقرسيس (٢)، وإشبيلية التي كانت تصدره إلى بلاد المغرب (٣)، وغرناطة التي كان أهلها يدخرون العنب " سليما من الفساد إلى ثلثي العام"(٤)، وقمارش(٥). وتعد بلش من أكثر بلدان الأندلس عنبا(٦).

كما اشتهرت شاط(٧) ، وباغة(٨)، وبرجة(٩)، والمرية(١٠)، وبجانة (١١)، ووادي آش(١٢)، بزراعة الأعناب بكثرة.

ومن المناطق الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بأعنابها: دانية(١٣)، وألش(١٤)، ولقنت (١٥) ، وحصن مربيطر(١٦)، ومرسية(١٧)، وسرقسطة(١٨) ، وجزيرة يابسة(١٩)، وشنتمرية(٢٠) ، ولبلة(٢١)، وقورية (٢٢)(Coria) , ولورقة(٢٣).

---

(١) الجفر: تقع على بعد عشرة أميال من مدينة جيان ، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٤

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧ ، ص ١١٩.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٧٩؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢١١.

(٧) شاط: قرية تقع على ساحل البحر المتوسط ، وتبعد عن مدينة المنكب اثني عشر ميلا. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٤ - ٥٦٥.

(٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٥٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٧

(٩) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ، ص ٨١؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٠٨٩.

(١٠) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٣؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٩١

(١١) المصدر نفسه ص ٤٧؛ القلقشندي ،صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١١

(١٢) الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

(١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٤٣٤

(١٤) القزويني، آثار البلاد ، ص ٥١٣

(١٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٥،ص ٥٥٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ ، ج ٢، ص ٣٣؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٠.

(١٦) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨١.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٨٣

(١٨) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج١ ، ١٩٧

(١٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨.

(٢٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٥

(٢١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١ ، ص ٣٣٩.

(٢٢) قورية. تقع بالقرب من مدينة ماردة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤

(٢٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦؛ القزويني، آثار البلاد ، ص ٥٥٦.

٨ - التفاح

وزرعت أشجار التفاح بكثرة في غرناطة (١) ، التي اشتهرت بحفظه(٢). وفي حصن جليانة(Juliana) من أعمال وادي آش . وينسب إليه التفاح الجلياني الذي يمتاز بالنقاء، وكبر الحجم ، وحلاوة الطعم، وذكاء الرائحة(٣).

كما انتشرت زراعة التفاح في منطقة جبل شلير(٤)، وتدمير(٥)، و أشكوني(٦) ، ووشقة(٧) (Huesca) ولورقة(٨) ، وسرقسطة(٩)، التي تميزت بوفرة إنتاجهامن التفاح ، فانعكس ذلك على أسعاره، حتى أنه كان يباع بأرخص الأثمان(١٠)، لذا فإنهم كانوا يتخذونه سماداً للأرض كما يذكر الحميري(١١).

واشتهرت شلب (١٢) (Silves) و قلمرية(١٣)(Coimbra) والأشبونة(١٤) (لشبونة Lisbonne) بكثرة أشجار التفاح.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠

(٣) المقري، نفح الطيب ، مج ١ ، ص ١٤٩.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ٩٣ .

(٥) العذري، ترصيع الأخبار ، ص ٨

(٦) الحميري، صفةجزيرة الأندلس، ص ٢٢.

(٧) وشقة: تقع شرقي سرقسطة، على بعد خمسين ميلا. العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٤.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٢

(٩) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ المقري، نفح الطيب ،مج ١،ص ١٩٧.

(١٠) يشير إلى ذلك الحميري فيقول " وربما بيع فيها وسق التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة في غيرها " . هذا مع العلم ان الوسق يساوي (٦٠) صاعا. انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس. ص ٩٧؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٥٨.

(١١) الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٧

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٦؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص ١٣٠.

(١٣) قلمرية: من بلاد برتقال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وتبعد عن (المحيط الاطلسي) اثنى عشر ميلا. المصدر نفسه ، ص ١٦٤.

(١٤) أشبونة: تقع غربي باجة، على ساحل المحيط الاطلسي، ويذكر الزهري: أن تفاح مدينة لشبونة كتفاح أرمينية، دور التفاحة منه ثلاثة أشبار وأقل وأكثر" الزهري، الجعرافية، ص ٨٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦ .

٩ - الرمان

انتشرت زراعة الرمان في مالقة، التي وصف رمانها بأنه "لا نظير له في الدنيا" (١). وفي غرناطة ، التي اشتهرت بجفظه(٢) ، وطليطلة التي تميزت بزراعة عدة أنواع منه(٣) ، و أشكوني (٤) ، ولورقة(٥)، وتدمير(٦)، ومنطقة وادي الرمان، التي تقع على بعد أربعين ميلا من قرطبة(٧).

وقد اشتهرت الأندلس بزراعة عدة أنواع من الرمان كان من بينها، الأمليسي (٨)، والمرسي (٩)، و الشعري، والقسطيسي، والعدسي، والشحي، والخرابنسي، والترجيسي (١٠)، والسفري(١١). ويعد هذا الأخير من أشهر أنواع الرمان وأكثرها انتشاراً في الأندلس. ويمتاز هذا النوع بعذوبة الطعم، وغزارة الماء، وحسن الصوره، ورقة النواة. و لا يفوتنا هنا أن نذكر بأن قشور الرمان كانت تستعمل في صناعة الأصباغ(١٢).

---

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار. ص ٦٧٩

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ،ص٤٠

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢٠

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار ، ص ٢، ٨.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.

(٨) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص ٢١٦

(٩) ابن بطوطة،تحفة النظار، ٦٧٩

(١٠) ابن العوام، الفلاحة، ص ٢٧٣.

(١١) الرمان السفري: نسبة إلى سفر بن عبدالله، وكان من رجال عبدالرحمن الداخل. وكان عبدالرحمن قد وجه هدية إلى عمته بالشام من الأندلس . فوجهت إليه من طرائف الشام وفواكهه، فكان فيما وجهت له رمان شام، فلم يصل للأندلس إلا و قد فسد، فأعطى عبدالرحمن رجاله من تلك الهدية، وقسم عليهم من ذلك الرمان، فأخذه سفر بن عبدالله فغرسه فنبت فأخذه الناس من عنده وزرعوه ونسبوه إليه. انظر: ابن هشام اللخمي، المدخل، مج ٢، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(١٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤١؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٧

١٠ - الكمَّثرى والقراسيا والموز

تميزت مناطق شرق الأندلس بزراعة الكمثرى، حيث كانت تزرع في تدمير(١)، وبلنسية(٢)، وأشكوني(٣)، ووشقة (٤)، وركلة (٥) (Ricla) ، ولورقة(٦). كما زرعت في شنترة (٧)، و الأشبونة(٨) من مناطق غرب الأندلس.

أما القراسيا (القراصيا) ، فقد زرعت في سهول وجبال بلنسية(٩)، التي اشتهرت بزراعة الأنواع الجيدة منها(١٠). وفي قلمرية(١١)، وسرقسطة التى اشتهرت بحفظها(١٢). كما عرفت غرناطة زراعة القراصيا البعلبكية(١٣) التي تمتاز بجمال منظرها و حلاوة مذاقها(١٤).

أما الموز فقد انتشرت زراعته في سواحل الأندلس الدافئة(١٥)، وساحل إلبيرة(١٦)،

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٠،٢

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١ ، ص ١١١

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢٢؛

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٥

(٥) ركلة: مدينة بالأندلس، قرب سرقسطة وقلعة أيوب. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٨ - ٧٩.

(٦) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(٧) المصدر نفسه ص ١١٣.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١٠- ١١١.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ ، ص ٤٩٠.

(١٠) يذكر الزهري: أن فيها كثيرا من حب الملوك (القراسيا). الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد. الزهري. الجعرافية، ص ١٠٢.

(١١) الحميري،الروض المعطار ، ص ١٦٤.

(١٢) المقري، نفح الطيب ، مج ١ ، ص١٩٧.

(١٣) القراصيا البعلبكية:الإشارة هنا إلى بعلبك الشام، وتدل على أن العرب نقلوها من الشام إلى الأندلس ، حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٨٨.

(١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩. (١٥) المقري، نفح الطيب، مج١ ، ص ٢٠٠

(١٦) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار ، ص ١١٩.

وغـرناطة(١)، وشلوبينية(٢)، والمـرية(٣) ، وشمجلة(٤)، والمنكـب التي لا يوجد الموز إلا بها كما يذكر القلقشندي(٥).

١١- أنواع أخرى

وانتشـرت زراعـة الخوخ والقسطـل في غـرناطة(٦)، ومنطقـة جبـل شلير(٧) كمـا اشتهـرت سـرقسطة بحفـظ الخـوخ والإجاص(٨). وتدمير بزراعــة الأنواع الجيـدة مـن السفرجل(٩). ولبلة بزراعة العناب(١٠).

ومـــن الأشجـــار المثمــرة الأخرى التي انتشـــرت زراعتهـــا في الأندلـــس الجـــوز واللـوز(١١)،حيث كثرت زراعتهما في غرناطة(١٢)، وإلبيرة(١٣) ، وحصـن فريرة(١٤)، ودانيـــة(١٥) ، التي اشتهـــرت بتصـــدير اللـــوز إلى بلاد المغـــرب والمشـــرق(١٦).

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٥٦.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١١.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٥

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١

(٥) ربما يقصد بذلك الأنواع الجيدةمن الموز. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١١

(٦) القلقشندي،صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ٩٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج ١ ، ص ١٩٧.

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢

(١٠) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١١.

(١١) المقري، نفح الطيب، ج١ ، ص ٢٠٠

(١٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤٣.

(١٣) ابن غالب، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤

(١٤) حصـن فريرة:حصن مجاور لجبل شُلَّير ، ينسب إليه الجوز ، وذلك أن به مـن الجـوز شيئا ينفرك من غير رض و لا يعدله في طعمه جوز. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٦٧.

(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج ٢، ص ٤٣٤.

(١٦) أبو الفـــداء، تقـويم البلـــدان ، ص ١٧٥؛ القلقشنـــدي ، صبـــح الأعشـــى، ج ٥ ، ص ٢١٢ .

اما أشجار النخيل فقد زرعت في قرطبة(١) وجيان(٢)، والجزيرة الخضراء(٣)، والمرية(٤) وأورية(٥)، وفِرّيش(٦). بينما يذكر القزويني أن النخيل لم تنجح زراعته في جميع بلاد الأندلس إلا في مدينة ألش التى تقع بالقرب من تدمير(٧).

هذا، ويستفاد من ورق النخيل (الخوص) في صناعة السلال والحصر وما شاكلها(٨).

ج . النباتات العطرية والطبية والأفاويه

وزرع الأندلسيون النباتات العطرية والطبية والأفاويه، في مناطق متعددة من الأراضي الأندلسية، مثل: الورد الذكي العطر في جبل شَقُورة (٩) ، لذا كانت شقورة من المناطق المختصة في صناعة العطور بالأندلس (١٠). والنرجس، والورد وأصناف الأزهار في مدينة قبرة وجبل شيبة المجاور لها(١١). و البنفسج في شنترة(١٢) والأشبونة(١٣)، وجبال قرطبة التي ينبت فيها كذلك الورد والسوسن(١٤). وأصناف الرياحين في غرناطة(١٥) . وعود اليلنجوج(الألنجوج) (١٦) في ناحية دلاية، وهو العود الذى لا يقل ذكاءً وعطراً عن العود الهندى(١٧). وأنواع الرياحين والمشمومات

---

(١) ابن سعيد، بسط الأرض ، ص ٧٤؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٦٧٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢١١

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٢.

(٤) العذري ، ترصيع الأخبار،ص ١١٧- ١١٨.

(٥) هياجنة ، الوضع الزراعي في الأندلس ، ص ١٦٦.

(٦) ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٥

(٧) القزويني، آثار البلاد، ص ٥١٣؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ج١، ص١١١

(٨) ابن هشام اللخمي، المدخل ،ج٢، ص ٣٣١.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٥.

(١٠) حتاملة، ملامح حضارية ، ص ١٩١.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(١٣) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس ، ص ١٧٧.

(١٤) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٦١، ٧٥، ١٨٥

(١٥) القزويني ،آثار البلاد، ص ٥٤٧.

(١٦) النجوج . اسم يطلق على العود الذي يتبخر به. الدينوري، النبات (ليدن - ١٩٥٣) ص ٣٩.

(١٧) البكري، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٤؛ المقري ، نفح الطيب، ج ١، ص١٤١

في مدينة بلنسية، التي أشتهرت بكثرة أشجارها وطيب ريحها، ولذا كان أهل الأندلس يدعونها(مطيّب الأندلس)(١) . وقد أشار البكري إلى جبل في ناحية أكشونبة(٢)(Ocsonoba) , و ذكر أنه كثيراً ما تفوح منه رائحة العطر إذا ما اشتعلت فيه النار(٣).

ومن أنواع الرياحين والأزهار الأخرى التي كانت تزرع في الأندلس، الآس والياسمين ، والنسرين، والنيلوفر، والترنجان،والخيري ، والحبق القرنفلي (٤)، وغيرها.

و اشتهرت الأندلس بزراعة النباتات الطبية ، وخاصة" نبات الجنطيانا" وهو عقار(٥) طبي كانت تصدره الأندلس إلى جميع الأصقاع(٦). وزرع هذا النوع من النبات في جبال غرناطة(٧)، وجبل شُلّير(٨)، ولبلة(٩).

ومن العقاقير الطبية الأخرى التى عرفتها الأندلس المر الطيب الذى اشتهرت به قلعة أيوب (Calataayub) (١٠) . و الكهرباء وهى مادة صمغية تدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية، واشتهرت بها مدينة شذونة(١١)(Sedona) .

وذكر الحميري أن في غيران شَنْت مَرتين من جبل شقورة أشقاقل كبير قوي الفعل(١٢).

وكثرت الأعشاب الطبية والعقاقير الدوائية في غرناطة ، ومنطقة جبل شلير(١٣) وقبرة(١٤).

---

(١) و المطيب عندهم : حزمة يعملونها من أنواع الرياحين و يجعلون فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات . المراكشي، المعجب، ص ٣٧٠

(٢) أكشونبة (أكشونية) : تقع غربي قرطبة بالقرب من مدينة الأشبونة. انظر : ابن غالب، فرحة الأنفس ، ص٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٢٤٠

(٣) البكري ، جغرافية الأندلس ،ص ١٢٤؛ المقري ، نفح الطيب، مج ١، ص ١٤١.

(٤) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة ، ص ١٢٠- ١٢٢ ؛ ابن بصال، الفلاحة ، ١٦٣- ١٧٠

(٥) العقار: هو اسم لكل ما يتداوى به من النبات والشجر. ابن هشام اللخمي، المدخل، مج ٢ ، ص ١٣٦

(٦) المقري، نفح الطيب ، مج ١، ص ١٤١

(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٣؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ٣٠

(٨) ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج١ ، ص ١٠٥

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠

(١٠) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر من أعمال سرقسطة ولها عدة حصون، وبالقرب منها مدينة لبلة. البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤، ص ٣٩٠؛ المقري، نفح الطيب، مج ١ ، ص ١٤١.

(١١) الكهرباء: مادة صمغية توجد عند سواحل البحر بالأندلس وخاصة عند أصول نبات الدوم، والنوع الأندلسي منه أصغر وأصلب من النوع المشرقي، وأطيب كهرباء الأرض بشذونة، البكري، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب ، مج ١ ، ص ١٤١.

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٥

(١٣) ابن الخطيب، اللمحة البدريه ، ص ٢٢؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج١ ، ص ١٠٥

(١٤) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٩.

أما الأفاويه (التوابل والبهارات) فقد زرعت على نطاق واسع في الأندلس، إذ ذكر المسعودي، أنهم زرعوا منها خمسة وعشرين صنفا، من بينها السنبل ، والقرنفل والصندل، والقرفة، والمحلب، والورس ، والقسط ، والذريرة(الذرة الصفراء)(١).

وأفضل أنواع الأفاويه هو المحلب، الذي يدخل في تحضير مادة الأشنان(٢)، وهي عبارة عن صنف من الأحماض تغسل بها الأيدي والثياب(٣)

وزرع السنبل الفائق الجودة في منطقة جبل شُلَّير(٤) الذي اشتهر بمختلف أنواع الأفاويه الهندية،(٥) وفي إقليم الفندون التابع لمدينة قرطاجنة الحلفاء(٦) (Cartagena). كما ينبت السنبل الرومي الطيب في جبل شَقُورة(٧) والقرنفل في لبلة(٨) والقسط الطيب في أندة ومارتش (٩).

كما زرعت أنواع الأفاوية في جبال غرناطة(١٠)، وجبل شيبة المجاور لمدينة قبرة(١١).

٢. <u>الغابات</u> :

تعتبر الغابات من أهم ثروات الأندلس الطبيعيه ، لكونها تشكل المصدر الرئيسي للأخشاب.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ١٩٤ - ١٩٥، المقري، نفخ الطيب، مج ١، ص ٩٩(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٦؛ المقري، نفح الطيب، مج ١ ، ص ٢٠٠.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج ٢ ، ص ١٩٧ ؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم ، ص ٥

(٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج١ ، ص ١٠٥

(٥) المقري ، نفح الطيب ، مج ١ ص ٢٠٠

(٦) قرطاجنة الحلفاء: مدينة تابعة لكورة تدمير، تبعد عن مرسية أربعين ميلا. انظر : الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥١.

(٧) المصدر نفسه ص ١٠٥

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٩

(٩) البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٧

(١٠) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٤٧

(١١) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٩

وقد تعددت الأشجار و تنوعت في الأندلس . إذ تشير كتب الفلاحة الأندلسية إلى أشجار (الصنوبر، والسرو، والبان(١)، والسبستان، والصفصاف(٢)، والعرعر(٣)، والحور، والخروب(٤) ، إضافة إلى أشجار البقس والطخش والبلوط ، التي تنتشر في مناطق مختلفة من الأراضي الأندلسية.

أما أشجار الصنوبر فقد كثرت في مناطق: القصر(٥)(Alcacer) , و شَنْتَمرِيَّة الغرب(٦)، وشلطيش (٧)(Saltes) , وقادس(٨)، وبطللس بلس(٩)، وجبل أطريجرش(١٠) ، وجزيرة يابسة(١١)، وجبال طُرطُوشَة، التي اشتهرت بإنتاج خشب الصنوبر الجيد. وهو خشب أحمر صافي البشرة ، يمتاز بالطول والعرض والقدرة على مقاومة التلف الناشيء عن التسوس(١٢). ولشهرته يشار إليه ب " خشب الصنوبر الطرطوشي "(١٣).

---

(١) البان: شجر ضخم، ليس لخشبه صلابة، وله هدب طويل أخضر شديد الخضرة، ينبت في الهضاب، وثمرته تشبه قرون اللوبيا، وفيها حب ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣) ص٤٨.

(٢) الصفصاف : وهو الخلاف ، ويسمى السّوجر ، وهو شجر ضخم، وأصنافه كثيرة، الدينوري، النبات (ليدن، ١٩٥٣) ص ١٤٢.

(٣) العرعر : شجر ضخم من شجر الجبال ، ومنه يتخذ أجود القطران . وللعرعر ورس تصبغ به الثياب. انظر: الدينوري، النبات ، ق ٢ (القاموس النباتي)، ص ١٢٨ ، ١٢٩؛ ابن هشام اللخمي ، المدخل، ص ١٩٤.

(٤) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة ، ص ٦٤، ٨٠ – ٨١؛ ابن العوام ، الفلاحة ، ص ٤٠١،٢٨٤– ٤٠٣ ؛ ابن بصال، الفلاحة ، ص ٨٤.

(٥) القصر: مدينة بالأندلس، بينها وبين شلب أربع مراحل، وهى مدينة حسنة تقع على ضفة النهر المسمى شطوبر. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص٥٤٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦١.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٥

(٧) شلطيش : جزيرة تقع على ساحل المحيط الاطلسي ،قرب مدينة لبلة. المصدر نفسه ،. ص ١١٠ – ١١١

(٨) المصدر نفسه، ص ١٤٥ .

(٩) بطللس بلس : من كورة تدمير على مقربه من لورقة . ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١١٩ ؛ ابن عاصم الغرناطي ، جنة الرضا ج ٢، ص ٢٨١.

(١٠) يذكر الزهري، أن هذا الجبل المعروف بأطريجرش، هو الفاصل بين بلاد الأندلس و بلاد الأفرنج (فرنسا) . و الذي يبدو أن المقصود به جبل البرت الفاصل بن فرنسا و شمالي إسبانيا. الزهري، الجعرافية ، ص ٨٠ .

(١١) الرشاطي ، اقتباس الأنوار، ص٨٢؛ الزهري، الجعرافيه، ص ١٢٨؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٩٠؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ، ج ٣ ، ص ١٤٧٠؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٥٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس ، ص٢٨٦؛ ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٤٩؛ القزويني، آثارالبلاد ، ص ٥٤٥.

(١٣) الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٧٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥٤.

كما اشتهرت قلصة بكثرة أشجار الصنوبر، وهذا يعني كثرة إنتاجها من الخشب، إذ يذكر الأدريسي أن الخشب يقطع بها ويلقى في الماء، ويحمل إلى دانية وبلنسية في البحر، وذلك بتسييره في النهر من قلصة إلى جزيرة شقر(١) (Jucar) إلى حصن قليبيرة(٢) (Cullera) حيث يفرغ هناك. ثم ينقل بالمراكب إلى دانية وبلنسية(٣). ومن الجدير ذكره أنه يستخرج من أشجار الصنوبر مادة الزفت، التي تستخدم في طلاء السفن لحمايتها من التلف(٤).

وكانت الأخشاب توجد بكثرة ، حيث تنتشر الغابات خاصة في مناطق: جيان وأعمالها(٥)، حتى أن مدينة نَنْتَشكة(٦) كانت تصدر الأخشاب إلى معظم أنحاء الأندلس(٧). وفي حصن قيشاطة(٨) وجبال شلب(٩).

ومن جبال اسكورة(١٠) (Sierra de Segura) وبيّاسة كان الخشب يقطع ويحمل إلى إشبيلية عبر نهر الوادي الكبير(١١) (Rio Gadalquivir)

وكانت أشجار البلوط هي الأكثر انتشارا في الأندلس، حتى أنها وصفت بـ(بلاد البلوط)(١٢).

---

(١) جريرة شقر: تقع بين شاطبة وبلنسية، وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلا ، ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢ .

(٢) حصن قليبيرة: يقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من مدينةبلنسية، وهو حصن منيع على موقع نهر شقر. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص٥٥٦.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ،خ ،ج ٢ ، ص ٣٣.

(٤) الزبيدي، لحن العوام ، ص ١٣٢؛ الدينري، النبات، ج ٣، ص ١٠٢ - ١٠٣

(٥). ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٩.

(٦) ننتشكة : من أعمال جيان. ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤.

(٧) ابن غالب: فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤.

(٨) قيشاطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٦٩؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١١٣٩.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٦ .

(١٠) جبال اسكورة: (Sierra de Segura) و هي سلسلة جبال تمتد في شرقي ناحية جيان. . المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير ، ص ٦٨.

(١١) وذلك لأن الوادي الكبير ينبع من جبال اسكورة وبياسة كما يذكر المكناسي . المصدر نفسه ، ص ٦٨

(١٢) هياجنة ، الوضع الزراعي في الأندلس ، ص ١٨٣ .

وقد انتشرت أشجار البلوط في مناطق متعدده ، من بينها: فحص البلوط(١)، وغرناطة(٢)، وجبال قرطبة(٣)، وسهول وجبال حصن بطروش(٤) الذي اهتم أهله بحفظ البلوط وخدمته، إذ إنهم كانوا يستعملونه كغذاء في أوقات الشدة والمجاعة(٥).

و كثرت أشجار البقس في جبال طرطوشة(٦) ، وأطريجرش(٧)، وأشجار الطخش ، التي كانت تستخدم أخشابها في صناعة القسي، في جبل شقورة(٨)، وجبل أطريجرش الذي اشتهر بكثرة الأخشاب ، ومنه كان يصدر خشب الطخش إلى مناطق الأندلس والمغرب(٩).

ومن الأشجار الأخرى التي انتشرت في الأندلس : شجر الميس(١٠) والحور والدردار في برجة وغرناطة(١١). والشّرول في بلنسيه(١٢). وشجر المشنان في جزيرة قادس التى اشتهرت أيضاً بشجيرة تشبه فسيل النخل، تفرز مادة صمغية تستعمل في تصميغ الزجاج(١٣).

واشتهرت شذونة بشجر المقل، الذي تصنع منه إطارات الغرابيل(١٤). وعرفت الأندلس شجر الحزم(١٥)، الذي تصنع من لحائه الحبال(١٦).

---

(١) ينسب إلى البلوط ، وفيه شجر البلوط الحلو اللذيذ الطعم . ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٩؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج ١، ص ٢٢٠ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥ ، ص ٢٠٩ .

(٣) ابن العوام ، الفلاحة ، ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٨٠

(٤) حصن بطروش: يقع شمال قرطبة، ويبعد عنها مسافة أربعين ميلا، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨٠

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٨٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٨ - ٣٩؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٥.

(٦) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦؛ ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٤٩.

(٧) الزهري الجعرافية، ص ٨٠.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٥.

(٩) الزهري، الجغرافية، ص ٨٠.

(١٠) الميس : شجر ضخم، يمتاز بالطول والعرض، تصنع منه الموائد الواسعة، والرحال. انظر. الدينوري، النبات، ق ٢ (القاموس النباتي)، ص ٢٨٦.

(١١) ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين، ص ٨١ - ٨٢؛ نبذة العصر، ص ٤١

(١٢) الزهري، الجعرافيه، ص ١٠٢

(١٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٥؛ حتاملة ، ملامح حضارية، ص١٨٨.

(١٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠١

(١٥) الحزم: شجر يشبه الدوم غير أنه أقصر وأعرض، و يتخذ من جذوعه خلايا النحل، ومن خوصه الحبال. الدينوري، النبات (ليدن - ١٩٥٣) ص١٤٤

(١٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢ ، ص ٢٦٢.

ومن نباتات الأندلس، نبات الحلفاء(١) الذي اشتهرت به قرطاجنة الحلفاء(٢)، وشذونة(٣) وطالقة (Italica) التي تقع بالقرب من مدينة إشبيلية(٤). ومدينة لقنت التي كانت تصدره إلى جميع بلاد البحر كما يذكر الإدريسي(٥).

وانتشرت نباتات السمار(٦)، و الدوم(٧)، والأسل (الدّيس)(٨)، والخيزران في الأراضي الأندلسية. وكانت هذه النباتات تنمو في بطون الأودية، وبالقرب من مجاري الأنهار، ويستفاد منها في صناعة الحصر، والحبال، والأطباق، والسلال، وما شاكلها(٩).

٣ - الثروة الحيوانية :

كان لانتشار المراعي في سفوح الجبال والأودية والمروج الأندلسية أثر كبير في نجاح تربية الحيوانات ، وخاصه تربية الأغنام والأبقار، والخيل والبغال(١٠). ولقد أولى الأندلسيون تربية الأغنام والأبقار عناية خاصة ، نظرا لأهميتها وفائدتها الاقتصادية الكبيرة ، إذ يستفاد منها في مجالات عديدة من بينها الصناعات الغذائية والجلدية والصوفية.

---

(١) حلفاء: تنبت في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأنهار. الدينوري، النبات (ليدن-١٩٥٣)، ص١٢١ .

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤-٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس. ص ١٥١ .

(٣) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠١

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢٢؛ الونشريسي، المعيار المغرب، ج ١١ ، ص ٩٧

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥ ، ٥٥٨ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ ،ج٢ ، ص ٣٣.

(٦) السمار : بكسر السين المهملة تطلقه العامة على ضرب من النبت تصنع منه الحصر. ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٧) الدوم: وهي شجرة المقل، لها خوص كخوص النخل، يقال له الطفى والأبلم. وينسج من خوصها حصر تسمى الطفى باسم الخوص . الدينوري، النبات (طبعة ليدن١٩٥٣). ص ١٦٧.

(٨) الأسل: من الأغلاث ، وهو يخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك، الا أن أطرافها محددة وليس لها خشب ، وقد يدقه الناس فيتخذون منه أرشية يستقون بها وحبالاً. و ينبت الأسل في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأنهار، وتصنع منه الحصر، الغرابيل الدينوري ، النبات (ليدن - ١٩٥٣)، ص ٣٤.

(٩) الزبيدي ، لحن العوام ، ص ٥٤؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ع٢، ص ٣٣٠-٣٣١.

(١٠) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٨٦

وازدهـرت تربية الأغنام والأبقـار في جبل الشّارات (١)، الـذي يقـع شمالي مدينة طليطلـة . وتمتـاز أغنامه وأبقـاره بالسمن ، ويضرب بها في ذلـك المثـال في جميع أقطار الأندلس، ومنه كانت تصدر إلى سائر البلاد(٢).

وتعـد مدينة قرطبة من المنـاطق المشهورة بتربية الأغنام ، والمتـاجرة بها ، إذ يذكر ابن النظـام(٣) أنه كان يدخلها من " جلائب الغنم في كل يوم أيام درور الجلائب بهـا - وهـي معلـومة - مـا بين سبعين ألـف رأس إلى مـائة الـف رأس حاشـا البقـر"(٤)

ومـن المنـاطق الأندلسـية الأخرى التي اشتهـرت بتربيـة الأغـنام والأبقـار وسـائر المـواشي: جيـان(٥)، وإشبيليـة(٦)، وشـذونة، والجـزيرة الخضـراء(٧)، ولـورقـة(٨) (Lorca) , وتدمير(٩)، (Tudmir) , وقلمـرية(١٠)، وشلـب(١١)،

---

(١) جبـل الشارات: يقع شمالي مدينة طليطلة ، ويمتد من ظهر مدينة سالم إلى أن يصـل إلى قرب مدينة قلمرية في الجهـة الغـربية من الأندلس ، انظـر: الإدريسـي، نزهة المشتاق ، ج ٥ ، ص ٥٥٢؛ ابن فضـل اللـه العمري ، مسالك الأبصار ، مخ ، ج ٢ ، ص ٢٩.

(٢) الإدريسـي، المصدر نفسـه و الصفحـة نفسهـا ؛ ابن فضـل الله العمرى، المصـدر نفسـه و الصفحـه نفسها؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢-١٣٣.

(٣) وهـو أبو بكر عبدالله بن عبد الحكيم بن نظـام الأخباري التاريخي، نقـل عنـه ابن حيان. انظر: ابن غالـب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٦.

(٤) المصدر نفسـه، الصفحة نفسها.

(٥) عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي ، ص ١٩٩.

(٦) ابن غالـب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٣؛ عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٩٩.

(٧) هياجنة، الوضع الزراعي، ص ١٩١.

(٨) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٥٦.

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢.

(١٠) الإدريسي. نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٧ .

(١١) عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي ، ص ١٩٩.

وجزيرة قادس(١)، وميورقة(٢)(Mallorca) , وقلعة رباح (Calt rava) التي تقع غربي طليطلة(٣)، ومدينة سالم(٤)(Medinaceli) التي اشتهرت بتصدير الأغنام (٥) ، وإستجة التى أغار عليها نصارى شمال إسبانيا سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) و غنموا منها حوالي خمسين ألف رأس من الغنم ، ومائتي رأس من البقر(٦)، مما يدل على كثرة أغنامها وأبقارها.

أما تربية الخيل فقد اشتهرت في لبلة(٧) ، وقرطبة وأعمالها(٨)، ودروقة (٩) (Daroca) , التي عرفت تربية الخيول وتوليدها إذ " كان يخرج منها ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل".(١٠) واختصت إشبيلية أكثر من غيرها في تربية الخيول وتوليدها(١١).

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٥.

(٢) ميورقة، ومنورقة ، ويابسة: هي أكبر جزائر الأندلس في البحر المتوسط، على ساحلها الشرقي ، مصاقبة لقطلونيا وبلنسية ، و يسميها الجغرافيون المحدثون: جزائر البليار. ابن حوقل ، صورة الأرض ق ١، ص ١١٠؛ المراكشي ، المعجب ، ص ١٥٠ ، هامش (٢).

(٣) ابن غالب فرحة الأنفس ، ص ٢٨٩؛ ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار ، ص ١٤١

(٤) مدينة سالم : مدينة كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات، تقع شرقي وادي الحجارة على بعد خمسين ميلا . انظر . الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ، ص ٥٥٣ .

(٥) هياجنة ، الوضع الزراعي في الأندلس ، ص ١٩١

(٦) ابن صاحب الصلاة ، المنّ بالإمامة، ص ٤٢٧ - ٤٢٩، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٩٨.

(٧) ابن حيان ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، ص ١١٧؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٢.

(٨) الغساني ، رحلة الوزير، ص ٢٣.

(٩) دروقة: مدينة بالأندلس ،من عمل قلعة أيوب عظيمة في سفح جبل ، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلا : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٣٥

(١٠) العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٢

(١١) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ١١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٠، هياجنة، الوضع الزرعي في الأندلس، ص ١٩٠.

واشتهرت تربية البغال في مدينة قرطبة ، وهي البغال الموصوفة بحسن شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوائمها، واشتهرت قرطبه بتصديرها والمتاجرة بها ، إذ كانت تتراوح أثمانها بين المائة والمائتين والخمسمائة دينار(١).

و اشتهرت منطقة المانشا الفاصلة بين الأندلس وقشتالة الجديدة، بتربية البغال(٢). وتميزت جزيرة ميورقة بتربية البغال ، التي تمتاز بحسن السير و السرعة والقدرة على التحمل ، واشتهرت بتصديرها إلى بلاد الأندلس(٣)

وتجدر الإشارة إلى أن الخيل والبغال،كانت تستخدم في الأغراض العسكرية كوسيلة للنقل و حمل الأسلحة و المعدات الثقيلة، كما كانت تستخدم في إدارة الأرحاء التي تطحن الحبوب (٤).

ومن حيوانات الأندلس المشهورة، التي أفاد الأندلسيون من جلودها وأوبارها وفرائها: حيوان السمّور(٥)، وكان يوجد بكثرة في جهات شلب(٦)، وتطيلة(٧)، وطرطوشة(٨)، وجزيرة بريطانية التي تميزت بتصدير جلوده إلى مدينة سرقسطة(٩)،وهي المدينة المختصه بصنعة ثياب السمور(١٠).

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج ٤، ص ٣٢٤ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٥٢ .

(٢) الغساني ، رحلة الوزير ، ص ٢٣.

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص ١١٠ .

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص

(٤) عزالدين موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص ٢٣٧؛ كولان ، الأندلس ، ص ٩٩

(٥) السمّور: هو حيوان بري عيشه من الحوت والسمك النهري، يسبح عليه في الأنهار ويغوص في طلبه، وخصيتاه هما الجندبادستر، ويتخذ من جلده فراء. انظر : ابن الحشاء ، مفيد العلوم، ص ٣٠-٣١، ١١٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣١

(٧) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩ .

(٨) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٧-١٩٨: (رواية الحجاري في المسهب)

(١٠) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ٢١٢-٢١٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٧-٢٨٨.

كما عرفت الأندلس حيوانات القَنْلية(١)، والغزلان، وحمار الوحش، والأيّل(٢)، والتيوس البرية، التي تستخدم قرونها في صناعة القسي (٣).

واهتم الأندلسيون بتربية أنواع الطيور، كالدجاج والحمام والبط والإوز بغرض أكلها والمتاجرة بها والإستفادة من زبلها في إصلاح الأرض (٤).

وانتشرت أنواع الطيور البرية التي يستفاد من لحومها وجلودها وأرياشها في مناطق الجبال و الغابات الأندلسية. كالشاذنقات البلنسية واللبلية، والبلرج واليمام، والطواويس، والفراطل، و الحجل، والنعام، والبزاة، والنسور(٥).

وكثرت البزاة في باجة(٦)، والأشبونة. وتعد بزاة الأشبونة من أحسن البزاة(٧). كما كثرت النسور في منطقة الجزيرة الخضراء. التي تعد من المناطق المشهورة بتصدير جلودها و المتاجرة بها، إذ كانت هنالك مناطق خاصة لصيد الطيور كما يذكر العذري(٨).

---

(١) القَنْلية: حيوان أدقُّ من الأرنب، و أطيب في الطعم وأحسن وبرا، وكثيرا ما يلبس فراؤها، ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى. انظر: المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٨. رواية: (ابن سعيد)

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٢٧.

(٣) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ١٠٥

(٤) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحه، ص ٧٧؛ أبو الخير الأندلسي، الفلاحة، ص ٧٢-٧٦؛ عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٢؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٩٣

(٥) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٩١،٧٧،٦٣،٦١، ١٠٥، ١١٩، ١٣٣، ١٤٥.

(٦) الزهري، الجعرافية، ص ٨٥.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١.

(٨) يذكر العذري: أنه يوجد في ساحل الجزيرة موضع معروف على البحر لصيد الطير، يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير لا يأتي في غيره، وتلك المواضع مستملكة عندهم يكتبونها في صدقات نسائهم، ويتبايعونها بالأثمان الكبار، من عندهم يجلب جلد النسر العجيب

إلى أكثر بلاد الأندلس. وتفيد هذه العبارة أن الصيد كان يمارس كحرفة يعتمد عليها بعض السكان في معيشتهم. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٧ - ١٢٨.

واعتنى الأندلسيون بتربية النحل من أجل إنتاج العسل، وذلك في مناطق إشبيلية (١)، وباجة (٢)، وأورية (٣)، وبلّيش (٤). وقنْتُوريّة (٥) (Cantoria)، وجيّان، وقرمونة (٦)، ولشبونة (الأشبونة)(٧)، وقصر أبي دانس (٨) (Alcacer do sal)، وشلب (٩)، وبرشلونة (١٠).

٤ - الثروة المائية :

تشتهر الأندلس بطول سواحلها وكثرة أنهارها (١١) ، لذا فانها كانت غنية بمنتجاتها وخاصة من الأسماك ، والعنبر، والمرجان واللؤلؤ .

١. الأسماك

كان السمك والحوت أكثر ما يصاد في سواحل الأندلس (١٢)، خاصة في مناطق المُنكَّب (١٣) ، وبزِلْيانَة (١٤) (Bezmiliana)، و شذونة (١٥)، ومربلّة (١٦)،

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٤٩٧.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٠٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٨.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٦؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين،ص ٨٦؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٥

(٦) عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٣.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١؛ القزويني. آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(٨) قصر أبي دانس: من مناطق غربي الأندلس. الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٥.

(٩) عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٣.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٢.

(١١) المقري، نفح الطيب، ج ١ ، ص ١٣١ - ١٣٢.

(١٢) ابن سعيد، بسط الأرض ، ص ٤٥.

(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق ، ج ٥، ص ٥٦٤.

(١٤) بزليانة: قرية على ساحل البحر قريبة من مالقة. يصطاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى المناطق المجاورة. الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٤.

(١٥) ويوجد في ساحلها حوت التن، الذي تميزت به عن غيرها. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠١.

(١٦) ابن الخطيب،مشاهدات لسان الدين ، ص ٧٥ .

وجزيرة شلطيش(١)، وفي الأنهار مثل نهر الإبْرُه(٢) (Ebro)، و الوادي الكبير (٣)، ووادي طرطوشه(٤) ووادي يانة(٥) (Guadiana). وكان السمك يحمل من السواحل الى المناطق الداخلية، حيث كان يباع في أسواق قرطبة(٦)، وإشبيلية(٧)، ومُنْدوجَر(٨) (Mondujar) وغيرها.

وتجدر الإشارة إلى أن اصطياد السمك كان يمارس كحرفة تشكل مصدر رزق لبعض السكان. وكان صيادو السمك يستعملون شباك الحرير والصنانير الحادة في عملية الصيد(٩).

٢. العنبر

وكان العنبر(١٠) يستخرج بكثرة من سواحل الأندلس الغربية(١١)، وقد اشتهرت به

---

(١) ومنها يحمل السمك مملحا إلى إشبيلية. المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٦٧ - ١٦٨

(٢) نهر الإبره: ينبع من جبال البرت ، ويجري من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر المتوسط بالقرب من طرطوشه، ويبلغ طوله أربعمائة ميل ونيف. ويوجد فيه صنف من السمك يقال له الترحته، وهو سمك أبيض ليس له إلا شوكة واحدة. انظر: الزهري، الجعرافية، ص ٨٢؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس، ص ٣٠٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٥.

(٣) وفيه من السمك والحيتان الغليظة كالبوريات والشوابلات. الزهري، الجعرافيه، ص ٨٨

(٤) وفيه الحوت الطيب من البوري والشوري. القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

(٥) وادي يانة (آنه): ينبع من المنطقة الواقعة غربي جبل شلير، و يصب في المحيط الاطلسي، ويبلغ طوله ثلثمائة ميل. و فيه حيتان كثيرة صفر الألوان. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٨؛ الزهري، الجعرافيه، ص ٩٧.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب. أعمال الاعلام، ص١٠٤ .

(٧) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٨

(٨) مندوجر: حصن يقع بالقرب من المرية، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨٥.

(٩) الأصفهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ٢٩٩ - ٣٠٠. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٣٧٣.

(١٠) العنبر: هو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة، إلا إذا سحقت أو أحرقت، فانه حينئذ ينبعث منها رائحة ذكية، وقيل العنبر روث بعض الحيتان البحرية، أو نبات ينبت في البحر أو نبع عين في البحر. انظر ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٩.

(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠.

مدينة شلب(١)، والأشبونة (لشبونة)(٢)، وأُكْشُونبة (أُكْشُونية)(٣) وشِنْتَرة(٤) إذ وجد في سواحلها العنبر الذي لا يقل جودةً عن العنبر الهندي.

كما وجد العنبر في ساحل شَنْتَرين(٥) وشذونة(٦)، وهو من أجود أنواع العنبر، ومنهما كان يصدر إلى قرطبة ومصر، وكانت تباع الأوقية منه في الأندلس بثلاثة مثاقيل ذهباً، وفي مصر بعشرة دنانير(٧).

٣. المرجان واللؤلؤ

أما المرجان فكان يستخرج(٨) من سواحل الأندلس الجنوبية، وخاصة من ساحل بليش(٩) والجزيرة الخضراء(١٠) "وساحل بحر البيرة" الذي يستخرج منه المرجان بكميات كبيرة، حتى أنه استخرج منه في أقل من شهر نحو ثمانين قنطاراً كما يذكر البكري(١١).

ويستخرج اللؤلؤ من نهر الوادي الكبير(١٢)، كما كان يستخرج بكثرة من ناحية مدينة برشلونة، الا أنه قليل الجودة(١٣). هذا ولا تخفى قيمة اللؤلؤ والمرجان إذ تصنع منهما القلائد والعقود التي كانت تستخدم كحلي للزينة.

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٣٨٠.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١، ٣٠٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٥ المقري، نفح الطيب مج ١، ص ١٥٢.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٤٠.

(٤) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ١١١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٣.

(٥) الإصطخري، كتاب الأقاليم، ص ٢٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص ١٣٨؛ (٦) يذكر البكري أنه يوجد ببحر شذونة أطيب العنبر العربي الوردي، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٥.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٣-١٤٤.

(٨) يشير المقدسي إلى طريقة استخراج المرجان في "إقليم المغرب" الذي يضم بلاد الأندلس، فيذكر أن المرجان عبارة عن "جبال في البحر، يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول، وربطوا في كل صليب حبلين، يأخذهما رجلان، فيرميان بالصليب. ويدير النواتي القارب، فيتعلق بالقرن (المرجان)، ثم يجذبونه، فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم، ثم يجلى في أسواق لهم ويباع جزافاً رخيصاً، ولا إشراق له قبل جليه ولا ألوان". انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩.

(٩) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.

(١١) البكري، جغرافية الاندلس، ص ١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢-١٤٣.

(١٢) ويذكر الزهري: أن "شهرته أغنت عن وصفه"؛ الزهري، الجعرافية، ص ٨٨.

(١٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢.

الفصل الثاني
المواد الأولية من أصل معدني وصخري

١ - المناجم والمواد المعدنية:

عرفت المعادن في إسبانيا منذالقدم، وكان الرومان يستخـرجون جانباً كبيراً منها، كـالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص(١). وقد قام الـرومان باستغلال المناجم بالطرق العامة التي كانت معروفة آنذاك ، كما كانت لهم طرقهم الخاصة في ذلك. وكان العمـل في المناجم شاقاً وخطراً، وقليل الأجر، لذا فقد كان العبيـد والسجناء هم الذين يعملون فيها.(٢).

وكـانت الأدوات المستخـدمـة في المنـاجم هـي تلك التي عثر عليهـا حول المنـاجم وداخلها ، كالفؤوس والمصابيح والعتلات والمعاول(٣).

وقـد استثمـرت المعـادن في إسـانيا منـذ أقـدم العصـور، إلا أنهـا أهملـت في فترة الفوضى والاضطرابات في عهد القـوط(٤) (Coths.) وبعد الفتح الإسلامي للأندلـس استغـل المسلون الثروات المعدنيـة التي كانت منتشرة في مختلـف المناطق الأندلسية أحسن استغلال، وقـد استعانوا في البـداية بخبرات السكان الأصليين حيـث استخـدموا الأيدي العاملة السابقة، وشاركوهم العمل في المناجم جنباً إلى جنب(٥).

أمـا عـن طبيعة العمل في المنـاجم، فقـد أورد الإدريسـي نصـاً أشار فيه إلى كيفية استخـراج الزئبق من حصـن أُبال(ovejo) الـذي يقع شمال مـدينة قرطبة، فـذكر أنه يعمـل فيـه أكثر من ألف رجل، قسّمـوا إلى أربع مجموعات، الأولى: تقـوم بعمليـة قطع الحجـر مـن المنجم، والثانية: تنقـل الحطـب لأعمال الصهر، والثـالثة: تضـع أواني سبك الزئبق وتصعيده، أما المجموعة الرابعة فتتولى عملية صهر المعدن في أفران خاصة أعدت لذلك(٦).

وذكر الإدريسي الذي زار المنجم في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي أن عمقـه مـن سطح الأرض إلى أسفلـه يبلغ أكثر مـن مـائتين وخمسين قـامة(٧).

---

(١) شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص ١٨٢.

(٢) S.m., Imamuddin, The Econimic History of Spain 157-187

(٣) Imamuddin ,The Econimic History of Spain.p. 158

(٤) أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه. ص ٣٠٣.

(٥) منى محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، ص ٢٠٨.

Imamudain, The Econimic History of Spain. p. 158

(٦) الإدريسـي، نزهة المشتاق،ج٥، ص ٥٨١؛ انظـر: ابن فصل الله العمري، مسـالك الأبصار،خ، ج٢، ص٣٩.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠.

كما تحسنت الطرق التقنية لمعالجة المعادن وتخليصها من الشوائب العالقة بها، ومن ذلك ماروي عن الطريقة التي استعملها أهل الأندلس بمنطقة حصن المعدن لتخليص معدن النحاس، وكانت الطريقة المتبعة في السابق أن يلقى بالمعدن المستخرج من الأرض في تيار من الماء الجاري، فيحمل التيار المواد الترابية لخفتها ويرسب المعدن الخالص عند مصب النهر، وقد فكر المسلون بطريقة أخرى وهي دهن المعدن المستخرج بالزيت حيث تتشبع جزيئاته وتخفف وتصير هي المحمولة من التيار، وترسب المواد الترابية عند المصب. وقد أثبت علماء الألمان قبيل الحرب العالمية الثانية أن المعدن الحاصل بهذه الطريقة هو أخلص وأصفى(١).

(أ) المواد المعدنية الفلزية.

استخرجت من الأراضي الأندلسية إبان العهد الإسلامي مختلف أنواع المعادن الفلزية، كالذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والرصاص والقصدير(٢).

١ - الذهب:

أما الذهب فكان يستخرج بكثرة من مجاري الأنهار، وخاصة من رمال نهر لاردة(٣) (Rio Lerida) أحد روافد نهر الإبره(٤) (Ebro)، وهو النهر الذي تجمع منه برادة الذهب الخالص(٥).

كما يستخرج الذهب من نهر التّاجُه(٦) (Rio Tajo)، وذلك بالقرب من مصبه في المحيط الأطلسي(٧). ومن نهر شنيل (Rio Genil)، الذي يمر بطرف مدينة غرناطة، وهو أحد روافدنهر الوادي الكبير(٨) (Guadl quivir)، ويستخرج منه الذهب الأحمر الذي يعد من أجود أنواع الذهب وأكثرها طيباً(٩).

---

(١) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص ٦٦.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٣٠؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ١٣.

(٣) ابن حزم، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ الزهري الجعرافية، ص٨٢.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ٨٢.

(٥) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٥٤.

(٦) نهر تاجه: ويسمى نهر طليطلة، ينبع من جبال شرقي الأندلس (من منطقة بلاد الجلالقة والبشكونس)، ويصب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة الأشبونة، وهو من أطول أنهار الأندلس وأعرضها، اذ يبلغ طوله (٦١٠) أميال. ومن أشهر المدن الواقعة عليه طليطلة، وطلبيرة، وقنطرة السيف، بطليوس. انظر: أورسيوس، تاريخ العالم، ص ٧٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١،ص ١٩١؛ ابن حيان المقتبس، ج٥، ص ٢٧٨-٢٨٠؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص ٣٠٨.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ٨٥.

(٨) ابن سعيد، بسط الأرض، ص ١٠٠؛ المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٩) الزهري، الجعرافية، ص ٩٥.

ومن وادي حدّارُه(١) (Rio El Darro) الذي يشق مدينة غرناطة، تستخرج براداة الذهب الخالص(٢). كما يستخرج منه الذهب الأحمر، وقد يوجد في راس الوادي وفي أسفله، " وهذا الذهب إذا اجتمع فإنه يباع مثقاله زائداً على جميع الذهب بالربع والخمس"(٣).

ومن نهر فَلُوم(٤) كانت تستخرج براداة الذهب الخالص، الذي يعرف بالذهب المدني"(٥)

ويوجد الذهب بكثرة في حصن المعدن الذي يقع بالقرب من مدينة الأشبونة، وذلك أن البحر يقذف بالذهب التبر(٦) إلى منطقة الحصن وما حوله، وكان أهل تلك الناحية يخدمون هذا المعدن طيلة فصل الشتاء(٧) حيث يقومون بجمعه وتنقيته من الشوائب العالقة به.

وكانت مناجم الذهب منتشرة في عدة مناطق بالأندلس، من بينها الأشبونة (لشبونة)(٨) وفيها معدن غزير المادة من التبر الخالص(٩)، وإلبيرة(١٠) التي اشتهرت

---

(١) حدّاره او حدره: وكان يعرف بنهر قلزم، ونهر الذهب. وهو يخترق مدينة غرناطة من الشمال إلى الجنوب، وينبع من ناحية قرية ود التي تقع على بعد ستة أميال من غرناطة، وكثيراً ما يجدون الذهب في المدينة. انظر: الزهري، الجعرافية ص ٩٦؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الانوار، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٩٥.

المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٧١.

(٢) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ١٩٥.

(٣) الزهري، الجغرافية، ص ٩٦.

(٤) نهر فلوم: يذكر الحميري أن هذاالنهر ينقسم عند مدينة غرناطة إلى قسمين: قسم يجري في أسفل المدينة، وقسم يجري في أعلاها، فيجري في بعض حماماتها، وتطحن الأرحاء عليه خلال منازلها. الحميري. الروض المعطار، ص ٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٦) التبر: اسم يطلق على الذهب والفضة قبل استعمالهما، وقيل يطلق على جميع الجواهر الذائبة قبل استعمالها، إلاأنه بالذهب أعرف انظر: الحكيم، الدوحة المشتبكة ص ٢٠ -٢١.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج ٢، ص ٢٧.

(٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٣، ١٥٢.

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص ١٣٥.

(١٠) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٤.

بتصديره إلى سائر بلاد الأندلس(١) وتدمير(٢)، وقريباً من فُرنجُولُش(٣) (Hornachuelos) بمكان يعرف بالمرج(٤). وأعظم منجم للذهب في الأندلس يوجد في جهة شنت ياقوب(٥) (santiago de Compostela)

٢. الفضة:

والفضة من المعادن المشهورة في الأندلس(٦)، وكانت تستخرج من مناجم: إلبيرة(٧) ومنها تصدر إلى معظم أنحاء الأندلس(٨). ولَوْشَة (Loja) من أعمال غرناطة(٩)، ومن جهة إشبيلية(١٠)، وجبال قرطبة(١١)، وكبرتين من عمل قرطبة(١٢)، وقرية كُرتش التابعة لها(١٣)، وفيها معدن غزير المادة فائق الجودة من الفضة الخالصة(١٤).

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.

(٢) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل، ١٣٠٢هـ. ص ٨٧.

(٣) فرنجولوش: تقع على بعد اثني عشر ميلاً من حصن المدور. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٤.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٥) شنت ياقوب: تقع في الركن الشمالي الغربي من الأندلس على ساحل المحيط الأطلسي، وهي قاعدة جليقية، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٤٧٣؛المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٠ رواية: (ابن سعيد).

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٤.

(٧) الإصطخري، مسالك الممالك ص ٤٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ١، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٠٤؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤.

(٨) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٤٨.

(١٠) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٢٣.

(١١) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الاسلامية، ص ١٦٤.

(١٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٢٣.

(١٣) الإصطخري، الأقاليم، ص ٢٣؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩.

(١٤) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٤٣، ٤٥٥.

كما كانت الفضة تستخرج من شنترة(١)، وجيان(٢)، وكورة باجة(٣)، وجبال حمة بجانة(٤)، وجبال مرسية(٥)، وفيها توجد معادن فضة غزيرة المادة(٦). ومنطقة المرج بالقرب من فرنجولش(٧).

وتستخرج الفضة بكثرة من كورة تدمير(٨)، فمن ساحلها كان يستخرج في كل يوم ثلاثون رطلاً كما يذكر العذري(٩).

٣. الحديد:

والحديد من أكثر المعادن انتشاراً في الأندلس(١٠)، ويوجد بكثرة في حصن "قسطنطينة الحديد"(١١) إذ يذكر الإدريسي انه يوجد "بجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته"، ومنه كان يصدر إلى جميع أقطار الأندلس(١٢).

ويجلب من منطقة برت ياقة التي تقع بالقرب من مدينة برشلونة حديد الشلق، وهو حديد أسود تصنع منه آلة الحرب(١٣).

---

(١) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٢) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٧.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٥٩.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(٥) الإصطخري، مسالك الممالك، ص٤٤؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٨) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٧؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥.

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢.

(١٠) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(١١) قسطنطينة الحديد؛ حصن يقع على بعد ستة عشر ميلاً من مدينة فرنجولش. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٤.

(١٢) المصدر نفسه، ص٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار. خ، ج٢، ص ٣٧.

(١٣) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٤.

وكـان الحـديد يستخـرج مـن بجـانة(١)، ووادي آش(٢)، وإلبيرة(٣)، وفحـص قـرطبة(٤) وكورة المرية(٥)، وبكَّارش من عمل المرية(٦) وجبـل أُندة من عمل بلنسية (٧) وجبال طليطلة (٨) وأوربة التي تقـع بين دانيـة وشـاطبة (٩)، وشلطيـش (١٠)، وفـريش التي تقـع شمـال غـرب قـرطبة وهـي مـن أكثر بلـدان الأندلـس حديداً(١١).

٤ - النحاس.

والنحـاس مـن المعـادن المـوجودة بكثرة في الأندلـس (١٢). وكـان يستخـرج مـن جهـات: بجانة(١٣)، وإلبيرة(١٤)، وجبال طليطلة (١٥)، وأكشـونبة (١٦)، ومنطقة حصن المعـدن(١٧) واكثر منـاطق الأندلـس نحاساً هي منطقة شمال الأندلـس، كمـا يوجد فيها الصُّفـر (١٨) الذي يشبه الذهب(١٩) وكان النحاس يستخرج مـن مناجم حجر النار في أقليم ولبة(٢٠) (Huelva).

---

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٨.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٤٤.

(٤) فحص قرطبة: ناحية طولها تسعةأيام وعرضها خمسةأيام معمورة بالقرى، شيخ الربوة،نخبة الدهر، ص٢٤٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٦٢.

(٦) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٨٢.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٣٣.

(٩) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٠.

(١١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٣.

(١٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٣.

(١٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٩.

(١٤) ابن غـالب، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٣؛ القـزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢؛ البغـدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص ١١١؛ الحميري، الروض المعطار،ص ٢٤.

(١٥) الإدريـسي، نزهـة المشتـاق، ج٥، ص ٥٥٢؛ ابن فضـل اللـه العمري، مسـالك الأبصـار، خ، ج٢، ص ٢٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٣.

(١٦) المقـري، نفـح الطيـب، مج١، ص ١٤٣؛ شكيـب أرسلان، الحلـل السنـدسية، ج١، ص ١٨٣.

(١٧) نجاة باشا، التجارة في المغرب الاسلامي.

(١٨) الصفر: هو النحاس الجيد، وقيل هو ضرب من النحاس، والصفر الذهب أيضاً. انظر: جواد علي، المفصل، ج٧ ، ص ٥١٧.

(١٩) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢٠٠.

(٢٠) كولان، الأندلس، ص ١٠٤.

٥ - الرصاص والقصدير.

أما معدن الرصاص فكان يستخرج من نواحي: برجة(١)، ودلاية(٢) من أعمال المرية، والبيرة(٣) وشلوذ(٤)، وفريش(٥)، وتدمير(٦)، وسرقسطة(٧)، وطليطلة(٨) وقبرة(٩).

كما يوجد بالقرب من مدينة لينارس (Linares)- من أعمال بياسة-مناجم كثيرة من الرصاص، ومنها كان يصدر إلى معظم بلاد إسبانيا(١٠).

ومن معادن الأندلس الأخرى: القصدير الذي اشتهرت به مدينة أكشونبة، حيث يذكر ذلك البكري ويشير أيضاً إلى وجوده في ناحية إفرنجة وليون(١١) (Leon).

ب - المواد المعدنية غير الفلزية.

استخرجت من الأراضي الأندلسية إبان العهد الإسلامي أنواع المعادن غير الفلزية كالزئبق والكحل، والكبريت والتُّوتيا، والزاج والشب والزنجفور والطَّفل، والزجاج والبلور والأحجار الكريمة، والملح(١٢)، وغيرها.

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص ٢٢٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٥٠.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص ١٠٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤.

(٤) شلوذ: بلد بالأندلس ينسب إليها الكحل الشَّلوذيّ، يصنعه أهلها من الرصاص، ويحمل إلى سائر البلاد، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢، ص ٨٠٩.

(٥) Imamuddin, The Econimic History of Spain, P. ١٦٦

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢.

(٧) ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٥٠.

(٨) الإصطخري، مسالك الممالك، ٤٢.

(٩) شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص ١٨٣.

(١٠) الغساني، رحلة الوزير، ص ٢٦.

(١١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٣. (١٢) الرشاطي، اقتباس الأنوار ص ١٩؛ الزهري، الجعرافية، ص ٨٩؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٣٠، ١٧٦،١٥٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٣.

١ - الزئبق:

أما معدن الزئبق فكان يستخرج من جهات: جيّان(١)، وقرطبة(٢) وشَلُون(٣)، ومنها كان يصدر إلى جميع المغرب (٤). ومن مسطاسة (٥) وبطروش التي اشتهرت بتصديره إلى جميع الأقطار(٦). وأجود أنواع الزئبق ما كان يستخرج من المعدن الذي يقع بالقرب من مدينة طليطلة(٧).

كما كان يستخرج بكثرة من حصن أُبال، ومنه كان يصدر إلى جميع الأقطار(٨) ومن منطقة فحص البلوط(٩)، وجبال البرانس (Sierra de Almaden)إذ يوجد فيها معدن زئبق غزير المادة، لا ينقطع، ومنها يحمل إلى جميع الآفاق(١٠).

وتعتبر الأندلس من أشهر مناطق العالم إنتاجاً للزئبق في العصور الوسطى، حتى أنها كانت تصدره إلى سائر بلاد الإسلام والكفر كما يذكر المسعودي(١١)، ومن الجدير بالذكر أن إسبانيا لا تزال حتى اليوم من أوائل الدول المصدرة له(١٢).

---

(١) ابن الفقية، مختصر البلدان، ص ٨٧.

(٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢٠٠.

(٣) شلون، تقع على بعد أربعة مراحل من قرطبة. المركشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٤) المصدر نفسه،ص ٣٦٣.

(٥) مسطاسة: حصن من عمل أوريط بالأندلس، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٢٧٠.

(٦) الزهري، الجعرافية، ص ٨٧.

(٧) الدمقشي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٢٨، ص ٢٨؛ أحمد بدر، الحضارة العربية الاسلامية، ص ٥٧.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق ج٥، ص ٥٨١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار مخ، ج٢، ص ٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

(٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٧.

(١٠) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات ص ٢٠٣؛ المقري، نفح الطيب،مج١، ص ١٤٣.

(١١) المسعودي، مروج الذهبي، ج١، ص ١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٤.

(١٢) أحمد بدر، الحضارة العربية الإسلامية، ص ٥٦ -٥٧.

٢ . الكحل

والكحل من المعادن الوفيرة بالأندلس، إذ كان يستخرج من ناحية طرطوشة الكحل الطيب الذي يشبه الكحل الأصفهاني(١) والذي يعد من أجود أنواع الكحل(٢)، ومنها كان يصدر إلى جميع البلاد(٣)، ومن ناحية بسطة يستخرج الكحل الأسود، من جبل هناك يعرف ب "جبل الكحل الإثمد"(٤) ومنه يحمل إلى بلاد المغرب(٥). كما يستخرج من جبل أطريجرش (البرت) "الكحل الإثمد القرطجني"(٦) ومنه يصدر إلى بلاد المشرق(٧) واستخرج الكحل الإثمد كذلك من مدينة شَوْذَر (Jodar) التابعة لمدينة جيان(٨).

٣ . الكبريت

ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر كثيرة بالأندلس، (٩)، حتى أن الكبريت الأحمر كان يصدر إلى الهند(١٠).

ويوجد الكبريت الأحمر والأصفر بكثرة في جبل البرانس(١١)، واشتهرت منطقة بليارش (Pallars) التي تقع بالقرب من مرسية بمعدن الكبريت الأحمر، ونظراً لوجوده بكثرة فقد كان يصدر إلى جميع أقطار الأرض وخاصة إلى الشام، والعراق، واليمن.(١٢) كما يوجد معدن الكبريت في مدينة بجانة(١٣).

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٥.

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات ،ص ٢٤٨.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ١٣٠؛ المقري،نفح الطيب، ج١، ١٤٣.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ٩٦؛ القزويني، آثارالبلاد، ص ٥٠٥، ٥١٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ٢١٦.

(٥) الزهري، الجعرافية، ص ٩٦.

(٦) الكحل الإثمد: هو حجر معروف له معادن كثيرة، أجود أنواعه الأصفهاني، وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع في علاج أمراض العين، حيث يرفع عنها الماء، ويقوي أعصابها ويدفع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٤٨.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ٨٠.

(٨) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٤٣.

(١٠) الزهري، الجعرافية، ص ٣١.

(١١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٠٣؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ١٥٥.

(١٢) الزهري، الجعرافية، ص ٩٩.

(١٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٩.

٤ . التُّوتيا

والتوتيا(١) من المعادن التي تستعمل في صبغ النحاس(٢) وكانت تستخرج من مناطق شَلُوبينية(٣) وجبال قرطبة(٤) والبيرة (٥) وقرية بَطِرْنَة(٦)(Paterna) وفيها معدن التوتيا الطيبة، التي تعد من أجود أنواعها وأقواها في صبغ النحاس (٧).

٥ . الزاج والشب

واشتهرت الأندلس بمعادن الزاج والشب (٨)، وهذا الأخير كان يستعمل في صباغة الثياب ودباغة الجلود، وله فوائد علاجية منها أنه يحبس نزف الدم، وينفع في تخفيف أوجاع الأسنان (٩)، وقد اشتهرت به مدينة لبلة(١٠) وكُنْكة (كونكة)(١١) وقرطبة(١٢).

واستخرج الزاج الذي يدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية (١٣) من جهات لبلة(١٤) وإشبيلية(١٥)، وكنكة (كونكة)(١٦)

---

(١) التوتيا: حجر معدني ذو أنواع أبيض وأخضر وأصفر، له فوائد علاجية، حيث ينفع العيون، القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٥١.

(٢) ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ٢٣، ٩٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٤٤.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس ،ص ١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٣.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع،ج١، ص١١١.

(٦) بطرنة: تقع على بعد اثنى عشر ميلًا من مدينة شلوبينية، الإدريسي، نزهة المشتاق،ج٥، ص ٥٦٤.

(٧) البكري، جغرافيةالأندلس، ١٢٩؛ الإدريسي، نزهةالمشتاق، ج٥، ص٥٦٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(٨) الرشاطي،اقتباس الأنوار، ص١٩؛ ابن الشباط، صلةالسمط، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣.

(٩) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٥؛ جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٥٢٠.

(١٠) الرشاطي،اقتباس الانوار،ص٥١؛القزويني،آثارالبلاد،ص٥٥٥؛ ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ج١، ص٣٣٩.

(١١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٤.

(١٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٢.

(١٣) جواد علي، المفصل ،ج٧، ص ٥٢٠

(١٤) الرشاطي، اقتباس الأنوار؛ ص ٥١؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ٣٣٩.

(١٥) الزهري الجعرافية، ص ٨٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١،٣٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٨.

(١٦) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٤.

أما معدن الزّنجُفور (السُّنجُفـر) فكان يستخرج من مناطق: مسطاسة(١) وفحص قرطبة (٢) وجبال البرانس (٣) ومن حصن أبال الذي اشتهر بتصنيع الزنجفور، ومنه كان التجار يحملونه إلى جميع أقطار الأرض (٤).

٧ . معدن الطَّفل

كان معدن الطفل يستخرج من جبل يقع بالقرب من طليلة يعرف بـ"حبل الطفل" واشتهرت طليطلة بتصديره والمتاجرة به(٥)، ومن قرية مغام وبها معدن "الطفل الأندلسي" الذي يمتاز بجودته وكثرته(٦).

٨ . معدن الزجاج والبلور.

أما الزجاج، فقد استنبط الأندلسيون صناعته من الحجارة (٧) والبلور الصخري، وكانت معادنه متوافرة في مدينة طرطوشة(٨) وبالقرب من مدينة لبلة،(٩) وذكر المقري أن في مدينة المرية نوعاً من الحصى يشبه الدر في رونقه، وله ألوان عجيبة، كان يتخذ للزخرف والزينة، ومنها كان يصدر إلى سائر البلاد(١٠).

وكان البلور(١١) من المعادن الوفيرة بالأندلس، خاصة في منطقة جبل شجيران التي تقع شرقي مدينة قبرة،(١٢) وفي ناحية لورقة من عمل تدمير(١٣) كما أشار الحميري

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٤٥٥.

(٢) شيخ الربوة نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

(٣)ابن غالب، فرحة الأنفس،٢٨٩؛ ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج٤٩٢،١؛القزويني،عجائب المخلوقات، ص٢٠٣.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق،ج٥، ص ٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠١.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص ١١١؛ الرشاطي، اقتباس الانوار ص ٦٨؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الانوار، ص ١٦٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥٥.

(٧) حجر الزجاج: الزجاج أنواع كثيرة يصهر بواسطة النار ويتلون بألوان كثيرة لأنه من ألين الأحجار،ويميل إلى كل صبغ يصبغ به، ومن خواصه أنه يجلو الأسنان، وينبت الشعر إذا طلي بدهن الزئبق. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٣٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ٣٧٤،

(٨) القزويني، آثارالبلاد، ص ٥٤٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار،ص ١٣١.

(٩) Imamuddin, The Economic History of Spain. p ١٦٨-١٦٩

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج١،ص ٢٠١ رواية: (ابن سعيد)؛ عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٧.

(١١) البلور: صنف من الزجاج الا أنه أصلب، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف الزجاج، والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت، القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٥٠.

(١٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٤٢.

(١٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٤٢.

إلى وجود معدن المها (البلور) في شمالي بطليوس(١) على بعد أربعين ميلا منها(٢).

٩ - الأحجار الكريمة

واشتهرت الأندلس بأنواع الأحجار الكريمة كالياقوت واللازورد والجزع والزمرد والزبرجد، والمرقشيثا، والشاذنج، والمغناطيس، والحجر البجادي واليهودي وحجر الطلق(٣).

أما الياقوت فهو نوع من الأحجار الكريمة التي كانت تستخرج بكثرة من نواحي الأندلس، حيث يوجد الياقوت الأحمر في ناحية حصن مُنت ميور من أعمال مالقة، إلا أنه دقيق جداً ولا يصلح للاستعمال كما يذكر البكري(٤) ويوجد في ناحية المرية حجر يشبه الياقوت الأحمر(٥) وبالقرب من قرية ناشرة من أعمال بجانة يوجد الياقوت بأشكال مختلفة وكأنه مصنوع، وهو حسن اللون، صبور على النار(٦).

واللازورد نوع من الأحجار الكريمة، وهو حجر رملي يحتوي على الكبريت المشع ذي اللون الأزرق، وكان استعماله شائعاً في الأندلس إبان العهد الإسلامي(٧) واستخرج اللازورد الجيد بكثرة من ناحية لورقة(٨) وجبل شُلّير(٩).

---

(١) بطليوس: مدينة من مدن كورة ماردة في الأندلس، تقع على نهر وادي أنه. الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٣٣.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٤٩.

(٣) ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٣٠؛ القزويني، آثارالبلاد، ص ٥٠٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٨. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس.

(٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٢.

(٧) Imamuddin, The Economic History of spain. p. ١٧٠

(٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٨؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٣.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٠٥.

والجزع من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام، وقد تحفر عليه كتابة أو صور(١)، وكان يستخرج من جبل يقع بالقرب من مدينة الأشبونة(٢) ومن الأحجار الكريمة الأخرى الزبرجد والزمرد، وهذا الأخير حجر أخضر اللون تتخذ منه الفصوص (٣) وقداشتهرت بهما مدينة غرناطة(٤).

والمرقشيثا حجر كان يستعمله الزجاجون(٥) وله أصناف منها ذهبية وفضية ونحاسية، وجميع أصنافه يخالطها الكبريت، وتدخل في كثير من الصناعات(٦) وكانت المرقشيثا الذهبية تستخرج من جبال أبذة وهي مرقشيثا لا نظير لها في الدنيا، وكانت تصدر من الأندلس إلى جميع الآفاق(٧)، كما كانت تستخرج المرقشيثا بمختلف أصنافها من جبل شلير(٨).

والشاذنج (الشآذنة) وهو حجر يقطع الدم، وينفع في مداواة العين وخشونة الأجفان، ويستعمل في دلك التذاهيب(٩) وكان يستخرج من جبال قرطبة(١٠).

وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير(١١).

---

(١) جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٥١٧ - ٥١٨.

(٢) القزويني، آثارالبلاد، ص ٤٩٦.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٥١٩

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠.

(٥) ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ٨٣.

(٦) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٧٤.

(٧) يذكر البكري أن حجر المرقشيثا الذهبية يوجد في جبل أنطانده. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢.

(٨) ابن الخطيب، الاحاطة، مج١، ص ١٠٥.

(٩) ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢، ٥٢٠.

(١٠) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص ١٣٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢، ٥٢٠.

(١١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢.

والحجـر البجـادي يوجد بنـاحية مـدينةالأشبوبة في جبـل هنـاك يتلألأ فيـه ليلاً كالسراج(١).

أمـا الحجر اليهودي، فهو حجر يشبه حبة البلوط، ولـه خاصية تفتيت الحصا التي تكون في المثانة والكلية(٢) وكان يوجد في ناحيـة حصن ألبونت (Al puente) من أعمال بلنسية(٣)، وفي جبل يقع بين الأشبونة وشنتره(٤). والمغنيسيا وحجر الطلق (٥) من المعادن الموجودة بكثرة في الأندلس(٦).

١٠ - الملح.

والملـح من المنتجات الأندلسيـة، وكان يستخرج بكميات كبيرة من جبال سرقسطة التي اشتهـرت بمعدن الملح الذرآني وهو الملح الأبيض الصافي الأملـس الذي لا يوجد في غيرهـا مـن بلاد الأندلـس(٧) كمـا استخـرج الملـح بكثرة مـن منـاجم قـادس والمـرية ولقنـت(٨) وجزيرة يابسـة مـن جزر البليـار (Ibiza) (٩)، وطـالقـة(١٠).

وعـرف مسلمو الأندلس طريقـة استخراج الملح بالتبخير، وذلـك بجلـب الماء المالح إلى برك وأحواض خاصـة، وتركـه لحرارة الشمس حيث يتبخر المـاء ويترسـب الملح في قاع البرك والأحواض (١١).

---

(١) البكـري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨؛ ابن غـالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٨؛ شيـخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٤٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٦.

(٤) يذكر الحميري أن هذا الجبل يقع غربي شنترين على بعد خمسين ميلا، الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣.

(٥) حجـر الطلـق: وهو نوعان أبيض غليـظ القشرصافي البياض، وأحمر رقيـق القشر لين المجس، وهو حجر شـريف يلقى على الرصاص والنحاس والحديد فيحولها إلى فضة. انظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٦.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٧) العـذري، ترصيـع الأخبـار، ص ٢٢؛ ياقـوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٣، ص٢١٣؛ ابن الشبـاط، صلـة السمـط، ص ١٥٠، ١٧٦؛ الحميري الـروض المعطـار، ص ٣١٧؛ المقـري، نفـح الطيـب، مج١، ص ١٥٠.

(٨) كولان، الأندلس، ص ١٠٤.

(٩) الحميري، صفة جزيرةالأندلس، ص ١٩٨.

(١٠) الونشريسي، المعيار المعرب، ج١١، ص ٩٧.

(١١) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ١٩٩ - ٢٠٠، ٤٠٣.

١١ - مواد أخرى

يوجد بالقرب من إشبيلية معدن التراب، ويعرف ب "تراب الهند"، ومنه يصنع الهند، وهو نوع من التراب يدخل في تحضير الأصباغ، وكانت إشبيلية مختصة في صناعته(١) ويوجد فيها نوع آخر من التراب يخلط بالدقيق فلا يمتاز عنه لمجانسته له، لذا كان يعجن ويطبخ ويؤكل(٢).

وفي مجريط (Magerit)(٣) نوع من التراب كان يستعمل في صنع البرام التي تمتاز بالقوة والمتانة، والقدرة على مقاومة النار (٤) كما يوجد في مدينة لورقه معادن تربة صفراء ومنها كانت تصدر إلى كثير من الأقطار(٥).

وفي قرية مغام التي تقع بالقرب من طليطلة نوع من كان يستعمل في تنظيف وغسل الشعر (٦)، كما كان يستخدم كمادة غذائية إذ "هو نهاية في لذاذة الأكل" كما يذكر الإدريسي(٧) ومنها كان يأخذه التجار إلى سائر بلاد المغرب والشام والعراق وبلاد الترك(٨)

٢ - مقاطع الرخام والحجر:

اشتهرت الأندلس برخامها المتعدد الألوان كالأبيض والأحمر والخمري والمجزّع(٩)، وكانت مقاطع الرخام موجودة في نواحٍ عديدة من الأندلس خاصة

---

(١) الزهري، الجعرافية، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٣) مجريط: في الثغر الجوفي (الشمالي) من الأندلس، وهي مدينة شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٧.

(٤) الحميري صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٩ -١٨٠

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦١ -٥٦٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧١.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٦١.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ع، ج٢، ص ٢٩.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥٢. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ١٦١.

(٩) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٧؛ القلقشندي صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٢٧.

إلبيرة(١) وقسطيلية التابعة لها، وقد اشتهرت بالرخام الأبيض.(٢) وفي ناحية سلبانية من أعمال إلبيرة الرخام الأبيض الملكي الناصع اللون،(٣) وفي المرية الرخام الصقيل الملوكي،(٤) وفي ناحية بكَّارش من عمل المرية(٥) جبل المرمر (الرخام) الملون(٦). كما استخرج الرخام بكثرة من مقاطع: ماردة(٧)(Merida) وسرقسطة(٨) ووادي المنصورة (Guadalmanzor) الذي يقع شمال شرق المرية(٩) وطركونة (Tarragone) وهي من أكثر بلاد الأندلس رخاماً، ويوجد فيها الرخام الأبيض والأسود(١٠) واشتهرت فريش برخامها الناصع البياض الشديد الصفاء(١١) وهو الرخام المنسوب إليها، والذي يعد من أجود أنواع الرخام، وأحسنه ديباجاً وأشده صلابة(١٢). كما اشتهرت جبال قرطبة بالرخام الأبيض الناصع اللون والخمري (١٣) وكذلك منطقة الفحص التابعة لها حيث اشتهرت بمقاطع الرخام الأبيض(١٤)

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣. رواية: (الرازي).

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(٤) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٨.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٦) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(٧) ماردة: تقع غرب قرطبة، وهي مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت ضخمة لازالت باقية إلى اليوم كالقنطرة والملعب وخزان المياه. انظر: ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٤٧.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦.

(٩) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج١، ص ٢٦.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦.

(١١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٣.

(١٢)الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج، ص ٣٧.

(١٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠١. رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٤.

(١٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

الرخام المنسوب إليها، والذي يعد من أجود أنواع الرخام، وأحسنه ديباجاً وأشده صلابة(١). كما اشتهرت جبال قرطبة بالرخام الأبيض الناصع اللون والحمري (٢) وكذلك منطقة الفحص التابعة لها حيث اشتهرت بمقاطع الرخام الأبيض(٣)

واستخرج الرخام بكثرة من مقطع المنستير (Almonaster) الذي يقع في سفح جبل قرطبة(٤)، ومن قرية ناشرة من أعمال المرية، إذ كان فيها مقطع عجيب للعمد(٥) واشتهرت باغة التابعة لغرناطة بكثرة الرخام الغريب الموشى بالحمرة والصفرة وغير ذلك من الرخام الحالك والمجزع(٦).

هذا وقد أشار الزهري إلى المضيق المسمى بعين الأسود،(٧) وذكر أن "هذا المضيق خلقه الله تعالى شقاً في جبل من الرخام الأحمر له حافتان عن يمين وشمال، ارتفاع كل واحدة منهما خمسون قامة، وطوله أربعة فراسخ"(٨).

أما مقاطع الحجر فكانت موجودة بكثرة في جهات قَرْمُونَة(٩) وأرنطة(١٠) والمرية وهي من المواضع المقصودة بالحجر، حيث أحاطت بها الصخور والأحجار الصلبة المضرسة من جميع الجهات (١١) كما كانت الأحجار تستقطع من جبال قرطبة، ثم تساق على العجل إلى مواضع البناء (١٢) ومما يدل على كثرة

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج، ج، ص ٣٧.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢٠١. رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٤.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

(٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٥٥. رواية: (ابن بشكوال).

(٥) المصدر نفسه ص ٢٠١ رواية: (الرازي).

(٦) المصدر نفسه ص. ٢٠١ رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٤.

(٧) عين الأسود، مضيق يقع على بعد ثلاثين فرسخاً من مدينة مرسية، انظر: الزهري، الجعرافية، ص ١٠٠.

(٨) الزهري، الجعرافية، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٩) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦١.

(١٠) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٢، ص ١٢٠٤.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٣.

(١٢) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٥٣.

مقاطع الحجر في الأندلس، أن مدينة الزّهراء (Alzahra)(١) التي ابتنيت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢ - ٩٦١م) كانت تستهلك في كل يوم أكثر من ستة آلاف صخرة من "الصخر المنحوت المحكم المعدل" لغرض البناء(٢). واستخدم الجص والجير لتثبيت الأحجار وتبيض الجدران وتزويق المباني، وكان الجص يستخرج بكثرة من جبال حصن الحمة، إذ يذكر الإدريسي أن "جبال هذه الحمة كلها جص"، وكان الجص يحرق فيها وينقل إلى مدينة المرية حيث يباع بأرخص الاثمان نظراً لكثرته(٣).

واشتهرت سرقسطة بكثرة جصها وجيرها، لذلك كانت تعرف ب "المدينة البيضاء(٤). وذكر ابن غالب أنه كان يورد إلى مدينة الزهراء في كل يوم خمسمائه حمل من الجص والجير(٥)، مما يدل على كثرته في الأندلس.

---

(١) الزهراء: تقع غربي قرطبة. وقد ابتدئ بنيانها في سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٠' ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ٣٨.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٦.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٠.

الباب الثاني

أنواع الحرف والصناعات الأندلسية

تمهيد:

تبعت حركة الفتح الإسلامي للأندلس فترة من الركود والكساد الصناعي، إذ توقف الصناع عن الإنتاج نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار. كما أحدث هذا الفتح هزة في المجال الاقتصادي بسبب الغنائم الهائلة التي حصل عليها المسلمون من المدن المفتوحة مثل الذخائر والتحف المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بأنواع الأحجار الكريمة (١)، ومن ذلك ما وجدوه في مدينة طليطلة (Toledo)، حيث ذكر الإدريسي أنهم وجدوا فيها مائة وسبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة النفيسة، وألف سيف مجوهر ملكي، كما وجدوا فيها من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة الشيء الكثير(٢)، مما يدل على تقدم هذه الصناعة وازدهارها في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.

وكان عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م) عهد اضطراب وعدم استقرار من الناحيتين السياسية والإقتصادية، باعتباره فترة انتقال من الحكم القوطي الى الحكم الإسلامي، وكانت الأندلس خلال هذا العهد ولاية إسلامية تابعة لخلافة المشرق الإسلامي، ولهذا فقد تأثرت بالحضارة الشامية وسارت على نهجها(٣). وشهدت خلال هذه الفترة هجرة أعداد ضخمة من العرب إليها معهم نساؤهم وأولادهم وممتلكاتهم وكثير من مظاهر الترف، وأدخلوا إليها معظم الصنائع التي كانت سائدة في المشرق الإسلامي إذ انتقل الكثير من الحرفيين وخاصة من الشام ومصر لنشر صناعتهم فيها.(٤)

ومنذ قيام الإمارة الأموية بالأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) أخذ طابع الاستقلال السياسي عن المشرق يقوى فيها، وإن استمر تلقي التأثيرات الحضارية من المشرق الاسلامي.(٥)

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥١ - ٥٥٢.

(٣) عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٢٥٩.

أبو الفضل، التأثيرات الشامية، ص ٢٢١.

(٤) كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص ٤١. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ ص٦٥.

(٥) أبو الفضل، التأثيرات الشامية، ص ٢٢١.

وحرص الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) منذ توليه الإمارة على توطيد دعائم الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي في الأندلس، حيث قضى على عناصر الفوضى والاضطراب المتمثلة بالصراع بين العرب والبربر من جهة وبين القيسية واليمانية من جهة أخرى.(١) كما شجع الزراعة والصناعة والتجارة، وأدخل كثيراً من الصناعات في البلاد، كصناعة المنسوجات والملابس، وصناعة تطعيم الصلب بالذهب والفضة، وهي صناعة دقيقة عرفت باسم (الفن الدمشقي). واهتم الأمير عبد الرحمن الداخل بإقامة المنشآت العمرانية، كالقصور والمساجد والمتنزهات، متبعاً في ذلك التقليد الشامي، ومتشبهاً بما كان يفعله أجداده في المشرق.(٢)

واستمرت الأندلس في عهد الإمارة بتلقي المؤثرات الحضارية من المشرق الإسلامي، وخاصة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٢١ - ٨٥٢) الذي أخذ يساير حركة الازدهار الحضاري التي شهدتها بغداد - رغم العداء القائم بين الأسرتين العباسية والأموية - ففتح أبواب الأندلس أمام التيارات الحضارية العراقية، وأخذ يقلد الخلفاء العباسيين في مظهرهم ولباسهم، وفي الاحتجاب عن الرعية ليكسب إمارته علامات الرهبة والهيبة. وفتح أبواب الأندلس للتجار العراقيين والبضائع العراقية كالملابس وأدوات الزينة التي سرعان ما انتشرت بين أفراد المجتمع الأندلسي.(٣) وتذكر لنا الروايات أن هذا الأمير اشترى من أحد التجار عقدا كان للسلطانة زبيدة زوجة هارون الرشيد، بمبلغ عشرة آلاف دينار، وأهداه الى الأميرة شفاء إحدى محظياته، وقد سرق هذا العقد ضمن الأشياء الثمينة الأخرى التي نهبت في بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون.(٤)

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٤٥ -٥٤٦؛ انظر: دوروثي، اسبانيا شعبها وأرضها ص ٣٧؛ كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص ٥٩؛

أبو الفضل التأثيرات الشامية، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٣) السامرائي، أثر العراق الحضاري، ص ١٢٧. حمودة، تاريخ الاندلس السياسي، ص ١٥٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٩١؛ انظر: ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص ٦٥.

وأنشأ الأمير عبد الرحمن الأوسط - تشبهاً بالعباسيين - داراً لسك النقود، ودشن استعمال الخاتم الرسمي، وأسس داراً خاصة للطرز تصنع فيها ملابس خاصة لكل مرتبة من مراتب رجالات الدولة، وتضم مصانع النسيج التي كانت تنتج مختلف أنواع المنسوجات والأقمشة.(١) ونمت في عهد هذا الأمير صناعة السفن والأساطيل الحربية(٢)، وصناعة الزجاج(٣) والمجوهرات والخزف والأثاث(٤). ولذا لم يكن لدى خلفائه ما يفعلونه غير الحفاظ على هذه التقاليد التي ابتدعها، وما أضافوه إليها لا يعدو التعديل والتحسين، ولو أنها- فيما بعد - سوف تأخذ طابعاً أندلسياً خالصاً. أما في عهد عبد الرحمن الأوسط، وخلال عشرات السنين التي تلت حكمه فإن هذا التقليد لم يقدم أي تجديد جوهري، ولكن بقيت الحالة صورة لما كانت عليه في الشرق.(٥)

وبهذا يبدو لنا جلياً أثر المشرق الإسلامي في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية، حتى أن البحاثة جورج مارسيه يقول: "إننا لا نجد طابع الشرق وسحره عندنا في المغرب مقصوراً على هيئة البنيان وزخرفته فحسب، بل نجد أن الفنون الصناعية أيضاً تحمل من سماته الشيء الكثير، وتنم عن تأثرها به"(٦)

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في نشأة الصناعات الأندلسية وتطورها، رسوخ الحضارة في الأندلس، إذ يرى ابن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) أن رسوخ الصناعات في الأمصار، إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها، ويتخذ من الأندلس مثلاً فيقول: "كالحال في الأندلس لهذا العهد، فإنا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص، وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها وعوائده، فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم. فهم على حصة موفوره من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار... وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارةفيهم برسوخ الدولة الأموية، وما قبلها من دولة القوط، وما بعدها من دولة الطوائف إلى هلم جرا. فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر".(٧)

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٩١؛ بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص ٦٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٨.

(٤) كولان، الأندلس، ص ١٧٦.

(٥) بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص ٦٥.

(٦) ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص ٣٣.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص ٩٢٦ - ٩٢٧.

وكان لأهل البلاد (من الإسبان) أثر بالغ في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية، إذ أن العرب كانوا أبعد الناس عن الصناعات، والسبب في ذلك - كما فسره ابن خلدون - أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها.(١) ولما كان الفاتحون متأخرين في ميدان الصناعة، فإنهم استعانوا - في بداية الأمر - بالعناصر المحلية لبناء قصورهم ومساجدهم، وصناعة ما تحتاج إليه البلاد، وهكذا احتضن المسلمون حضارة الشعب الإسباني، وشملوا الحرفيين من أهل الذمة برعايتهم، وظل الصناع وأهل الحرف يسيرون في الطريق الذي كانوا يسيرون فيه من قبل(٢)، ثم شاركهم المسلمون في حرفهم وصناعاتهم، حتى بلغوا في ذلك درجة كبيرة من الإتقان والرقي، إذ قيل في وصف أهل الأندلس بأنهم "صينيون في إتقان الصنائع العملية، وإحكام المهن التصورية (الصورية)، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها".(٣)

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص ٩٢٩؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٢٥٩.

الفصل الأول

الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية

١ - الصناعات النسيجية:

أ - **المنسوجات الحريرية**

احتلت صناعة المنسوجات الحريرية مكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، وساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة، إذ اعتنى الأندلسيون عناية فائقة بتربية دودة القز، وزراعة أشجار التوت التي تشكل مصدر الغذاء الرئيسي لها. وقد بذلت المرأة الأندلسية جهداً لا يستهان به في هذا المجال، فكانت تساعد في تحضين بيض دود الحرير ورعايته من شهر شباط إلى أن يفقس في شهر آذار من كل سنة(١)، وذلك في مراكز مختلفة من الأندلس.

وحظيت مدينة المرية (Almeria) بشهرة واسعة في صناعة المنسوجات الحريرية، فإليها انتقلت صناعة الحرير التي ازدهرت في بجانة (Pechina) في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين(٢). كما ورثت أيضاً قرطبة (Cordaba) , التي اشتهرت بصناعة الوشي والديباج، وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية واضمحلال قرطبة في عصر الفتنة؛ فالمرية كان "يعمل بها الوشي والديباج فيجاد عمله، وكانت اولاً تعمل في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية"(٣).

واشتهرت قرطبة بصناعة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السميكة(٤)، إضافة إلى أجود أنواع الثياب المتخذة من جيد الخز والقز(٥). ويقال إنه كان يعمل بها عدد كبير من عمال النسيج والحياكة(٦)، مما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر يفتخر بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف الثياب، حتى أنه استغنى بذلك عما كان يجلب إليه من المشرق الإسلامي (٧). وقد أشاد ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنسجة الحرير والديباج الأندلسية، ذاكراً تفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات (٨).

---

(١) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٤٩، ٦٣؛ العبادي، ص ٣٦٣.

(٢) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٩؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٥.

(٤) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٤. رواية: (الرازي).

(٥) الخز: صنف من الحرير تتخذ منه ثياب متينة، وقد سمي الحرير نفسه خزا. ابن الخشاء، مفيد العلوم، ص ٤٢.

(٦) قيل إن عدد النساجين بلغ في مدينة قرطبة وحدها مائة وثلاثين ألفاً، وقيل إن عددهم بلغ ثلاثة عشر ألفاً، انظر: علي الجارم، قصة العرب في إسبانيا، ص ١٢٨. جا، س. رسيلسر، الحضرة العربية، ص ١٥٣.

(٧) القاضي النعمان، المجالس المسايرات، تحقيق، ص ١٨٠.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

واشتهرت (المرية) بصناعة المنسوجات الحريرية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد ذكر ابن سعيد نقلاً عن ابن فرج أنه "حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخز، وجميع ما يعمل من الحرير، مالم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى" (١). كما أشار الرازي (٣٤٧ هـ/٩٥٨م) إلى تقدم هذه الصناعة بالمرية وتفوق أهلها على غيرهم من أهل الأندلس، فذكر أن "المرية مفتاح الرزق والكسب وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات" وأن في داخل أسوارها الحاكة والنساجون الذين برعوا في حياكة الثياب الحريرية الموشاة بالذهب (٢). وكانت هنالك مدن أخرى تشاركها هذه الصناعة مثل لقنت (Alicante)، وإشبيلية (Sevilla)، وغرناطة (Granada)، ومالقة(Malaga)، وفي هذه الأخيرة كانت تصنع أشد انواع السَّرَق (الحرير الأبيض) إرهافاً، ومنها كان ينقل إلى سائر أنحاء الأندلس (٣).

وازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في مدينة (المرية) خلال العصر المرابطي، حيث أنها احتلت مكان الصدارة في هذا المجال، وتقدمت على سائر المدن الأندلسية، فاحترف معظم سكانها صناعة النسيج والحياكة(٤) وكان يعمل بها من الحرير ما يفوق ما يصنع في غيرها جودة وانتاجاً(٥). ويقال إنه كان يوجد بها نحو ثمانمائة نول كانت معدة لنسج طرز الحرير(٦). وتشير رواية أخرى إلى وجود حوالي خمسة آلاف وثمانمائة نول في المرية(٧) كانت مخصصة لصناعة المنسوجات الحريرية بأنواعها

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٩٣ - ١٩٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦.

(٢) Leonard Williams, The Arts and Crafts II, p.٣ -٤

عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦.

(٣) Williams, The Arts and crafts, III, P.٤

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ١٦٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٨؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص ٢١٢.

(٧) ابن الوردي، خريدةالعجائب، ص٢٤؛ المقري،نفح الطيب، مج١، ص١٦٣؛العبادي، الحياةالاقتصادية، ص٣٣٧.

المختلفة، ومن جملة هذه المنسوجات (الحلل الموشية النفيسة، والديباج الفاخر، والسقلاطون، والأصبهاني (الأصفهاني)، والجرجاني، والستور المكللة*، والثياب المعينة، والخُمُر*، والعتّابي*، والمعاجر المذهبة*)(١).

ونلاحظ مما سبق أن صناعة النسيج في (المرية) تأثرت إلى حد كبير بالمنسوجات المشرقية التي ذاعت شهرتها في أنحاء العالم الإسلامي، فكانت تصنع بالمرية أقمشة حريرية على مثال الأقمشة المصنوعة في بغداد، وجرجان(٢)، وأصفهان، إضافة إلى أقمشة السقلاطون الحريرية المطرزة بالذهب التي اشتهرت في الأصل ببلاد اليونان ثم انتشرت صناعتها في المدن الإسلامية شرقاً وغرباً(٣). أما الحلل، فنسيج حريري اختصت المرية بصناعته حيث كان يعمل بها "الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان"، وكان هذا النسيج يحلى بخيوط ذهبية، ولذلك أطلق عليه اسم (الحلل الموشية)(٤). والديباج من المنسوجات الحريرية السميكة، وكان يصنع من خيوط الحرير لحمة وسدى، وقد تدخل في نسجه خيوط الذهب(٥). وتجدر الإشارة إلى ازدهار صناعته في

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٤.

* الستور المكللة: أقمشة من الحرير خفيفة رقيقة تزدان بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٨.

* الثياب المعينة: نسيج من الكتان أو القطن يزدان بترابيع صغيرة على شكل معينات. المرجع نفسه، ص ١٥٨.

* الخمار: ما تغطي به المرأة راسها، وجمعه أخمرة وخمر. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥٧.

* العتابي: وهي الثياب العتابية المشهورة، وكانت تصنع في محلة العتابية في الجانب الغربي من بغداد وتنسب إليها، وهي ثياب من خيوط القطن والحرير. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٢.

* المِعْجَر: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تغطيه بجلبابها، والجمع المعاجر. انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٥٤٤.

(٢) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٣٢٣.

(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينةالمرية، ص١٥٦ – ١٥؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة مدينة المرية، ص ٢١٥ – ٢١٦؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٣١.

(٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧.

(٥) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧.

(المرية) خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، فقد كان يعمل بها "الديباج المحكم الصنعة مثل المرنجات المعروفة بالعداديات، وثياب السندس الأبيض، وهو ديباج أبيض كله، لا يخفى على أحد من صناعته شيء" (١)، وتنوعت المنسوجات الحريرية في مدينة المرية، إذ كان يصنع فيها الوشي والسقلاطون والبغدادي وغير ذلك من أجناس الديباج، ومنها كان يصدر إلى جميع الآفاق (٢).

وتركزت صناعة المنسوجات الحريرية في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين في كل من مالقة والمرية ومرسية (Murcia.) وفي هذه المدن الثلاث برع صناع النسيج في حياكة "ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة" التي يتعجب من حسن صنعتها المشارقة إذا رأوا منها شيئاً (٣). وقد اختصت مالقة والمرية بصناعة الحلل الموشية النفيسة ذات الصور العجيبة التي تتجاوز اثمانها آلاف الدنانير، وكان هذا النوع من المنسوجات ينتج برسم الخلفاء وكبار رجال الدولة خاصة(٤). وتنوعت في مرسية أصناف الحلل والديباج (٥)، ومنها كانت تجهز العروس التي "تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها". وكانت تحتل المركز الثالث بعد المرية ومالقة في صناعة الوشي (٦). كما اختصت غرناطة وبسطة (Baza) بصناعة نوع من الملابس الحريرية عرف في الأندلس باسم "الملبد المختم ذي الألوان العجيبة"(٧).

وكان الصناع يزينون انتاجهم هذا بالزخارف الهندسية وصور الحيوانات الخرافية، ومن القطع الحريرية التي تنسب صناعتها إلى الأندلس في القرن السادس الهجري/ الثاني

---

(١) كانت ثياب السندس تصدر إلى الهند. انظر، الزهري، الجعرافية، ص ٣١، ص ١٠١.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣ - ٢٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٢.

(٣) ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٤٠؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٧٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠١؛ رواية: (ابن سعيد).

(٤) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٨ - ٥٩؛ المقري، نفح الطيب ج ٣، ص ٢٢٠. رواية: (الشقندي)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي ، ص ٢١٩.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٢٤٥. رواية (الحجاري).

(٦) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ٢٢١؛ رواية: (الشقندي).

(٧) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠١. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٩.

عشر الميلادي قطعة مزخرفة بأزواج من الطواويس والحيوانات المتقابلة، وتفصلهما شجرة الحياة (١).

ويلاحظ مما سبق ازدهار صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس خلال العصر الموحدي رغم تورع الموحدين عن ارتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير والديباج المطرز(٢). وتجدر الإشارة إلى استمرار صناعة المنسوجات الحريرية في المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى الإسبان حيث عمل الحكام المسيحيون على تشجيع رعاياهم من المسلمين على الاستمرار في هذه الصناعة، فقد منح الفاتح خايمة سنة (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م) إلى عربي اسمه علي وابنيه محمد وأبي قارون أن يصنعوا الحرير في مدينة شاطبة (Jativa) التابعة لمملكة بلنسية(٣). وكانت صناعة الحرير مزدهرة في مدينة طليطلة (Toledo) بفضل الصناع المسلمين الذين بقوا فيها عقب سقوطها بيد الإسبان عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م (٤).

وفي عصر بني الأحمر تقدمت صناعة المنسوجات الحريرية في مملكة غرناطة تقدماً كبيراً، وتعددت مراكز انتاجها، فاشتهرت مالقة (٥) والمرية ودلاية (Dalias) ووادي آش (Guadix) وسهيل (Fuenjerola) بهذه الصناعة، وفي الأخيرة بالذات كان يصنع نوع خاص من الحرير للنساء، تفضله أميرات غرناطة وحريمها (٦). وتفردت غرناطة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين بصناعة نوع من المنسوجات الحريرية الموشاة، تتكون زخارفه من أشرطة بها زخارف نجمية ونباتية وطيور وزخارف كتابية، وأطلق على هذا النوع من الزخارف "طراز الحمراء"، وذلك لتشابه زخارفه مع خزف الحمراء (٧).

---

(١) عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ص ٣٠٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٩.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٧؛ أبو رميلة، ص ٣٣٩.

(٣) Williams, The Arts and Crafts, III, P ٥ - ٦

(٤) عبد الحليم رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٤٧٠-٤٧١.

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٥٩، ٧٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٦١.

(٦) محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩١؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٦١.

(٧) عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

وكانت ثياب الخز والمنسوجات الحريرية الرائعة تنسج في أندرش (Andarax) ونارجة، وتصدر إلى المغرب ومصر، وإلى الأمراء المسيحيين بشبه الجزيرة. ولقد كثرت في المدونات المسيحية الإشارات إلى إنتاج مالقة للديباج والوشي عندما أكدت زيادة عدد سفن قشتالة المبحرة لمالقة سنة (٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤م) وعودتها محملة بمنسوجات الحرير الموشى (١).

وقد استمرت مصانع المنسوجات الإسلامية باسبانيا المسيحية بانتاج المنسوجات الحريرية الغرناطية، كالملاحف والخمر والملابس المتنوعة المختلفة الألوان (٢). وتتميز الملابس الغرناطية بتصميم خاص؛ فهي ذات ألوان زاهية، أهمها والأساسي المستعمل منها الأصفر الذهبي والأزرق والأسود والأحمر والأبيض، وتوجد بقايا من هذه الملابس في كل من سان سبستيان (San Sebestian) بأنتقيرة (Antequira), ومتحف الفن بقطلونية(Catalonia), ومعهد دون خوان دي مدريد "(Inestiiuto de Don Juad de Madrid) بمدينة بلنسبة (Valencia)(3)

ومن الجدير بالذكر أن المدن الإيطالية التي اشتهرت بصناعة الحرير في العصور الوسطى، نقلت عن الأندلسيين معظم فنونهم وطرائقهم في هذه الصناعة المربحة، وكانت مدينة فيرنتزا(فلورنس) تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي (٤).

ب . <u>المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية</u>

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، حيث توافرت المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة في مناطق الأندلس المختلفة. وكان لوجود العمال والصناع المهرة، الذين تخصصوا في مثل هذا النوع من الصناعة أثر بالغ في تطورها وتقدمها في الأندلس، إذ احترف بعضهم، وبخاصة النساء، صناعة غزل القطن والكتان والصوف. وكان للغزّالين - يعرف واحدهم بالغزال - أماكن خاصة في الأسواق

---

(١) عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس، ٢٨٠.

(٢) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٨٢؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩١.

(٤) محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس ص ٤٤٧.

الأندلسية (١)، مما هيأ المادة الخام اللازمة لتلك الصناعة، فبرع النساجون في صنعها لتناسب الأذواق المختلفة.

وتفردت مدينة إشبيلية بصناعة المنسوجات القطنية، وامتاز إنتاجها بالوفرة والجودة العالية، وكان الفائض منه يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب (٢).

وازدهرت صناعة المنسوجات الكتانية في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكانت هذه المنسوجات تتألف من الأكسية والثياب الفاخرة (٣)، والأبنية المختلفة الأشكال، كالقباب* والهوادج والأخبية (٤)، وذكر ابن الخطيب: أنه كان يصنع من الأخبية في عهد المنصور بن أبي عامر ما يتجاوز ثلاثة الآف خباء كعدة للجند في كل عام، هذا عدا ما كان يصنع للسطان خاصة، ولكبار خدمه وغلمانه(٥). وكانت الأخبية تستخدم لتلبية حاجة الجند في حلهم وترحالهم، ومما يؤكد ذلك أن الحاجب المنصور حمل معه في صائفة سنة (٣٩٢ هـ/ ١٠٠١م) "أربعمائة واثنين وعشرين خباء" ومائة وسبعة وسبعين خباءً من الأخبية المعروفة بالفرود"(٦).

ومن أهم المراكز التي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلبيرة (Elvira)و(٧)، وقرطبة(٨) ولاردة(٩) (Lerida)

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥، ٦٠، ابن عبد الرؤوف، في آدب، ص ٧، لقاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٤٠٤، راية (الرازي).

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥.(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٧؛ الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

* القبة: من الخيام بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦٥٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس في اخبار بلد الأندلس، ص ٤٠ - ٤١. رواية: (عيسى بن أحمد الرازي)؛ انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٨ - ٨١٩.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠١، رواية: (ابن حيان).

(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٤.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ١٠٨.

(٩) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

وطليطلة(١)، وبجانة. وهذه الأخيرة اختصت بصناعة الأردية والثياب الفاخرة التي كانت تضاهي بجودتها الأثواب الديبقية المصرية، مما جعلها تنال شهرة واسعة نقلتها إلى أسواق مصر ومكة واليمن(٢).

وكانت المنسوجات الكتانية المصنوعة في المراكز المذكورة، مما يهادى به الخلفاء، ومن ذلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٤ هـ/ ٩٣٥م)، وكانت تتضمن أربعين شقة من "شقاق الكتان المتوسط لكسوة رجاله"، ومائة شقة من "الشقاق دون المتوسطة لكسوة رجاله"(٣). وهديته لزعماء القبائل البربرية سنة (٣٢٦ هـ/ ٩٣٧م) وكانت تتضمن ثلاثين شقة من شقاق الكتان. وثلاثين رداءً من أردية الكتان المعلمة(٤).

وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي قامت في باجة (Beja) والمناطق التابعة لها صناعة كتانية متخصصة (٥). بينما ازدهرت هذه الصناعة في حصن بكيران في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فكانت تصنع به الثياب الكتانية البيضاء التي تباع بالأثمان الغالية، وهي من "أبدع الثياب عتامة ورقة، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة والبياض" (٦).

كما ازدهرت صناعة الكتان في مدينة بلنسية (Valencia)، وامتازت منسوجاتها بالجودة العالية(٧)، وكانت تصدرها الى اقطار المغرب الإسلامي (٨). وترتب على

---

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ٤٢٤.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٣٨٩.

(٤) المقصود هنا زعماء القبائل البربرية في المغرب الذين أعلنوا الولاء والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر. ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٤٢٧.

(٥) كانت صناعة الكتان مزدهرة في باجة في أيام بني عباد خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولكنها اختفت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بسبب التغير الذي طرأ على مناطق زراعة الكتان. انظر: المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٩؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩١.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٧.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

(٨) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٢١: (رواية الشقندي).

ازدهـار هذه الصناعة في بلنسيـة قيام بعض الحرف المساعدة، كحـرفة القِصَـارة(١) حيث كـانت الثيـاب الغالية من الكتـان تقصر فيها (٢). ويختص القصـارون بمعـاجلة الثياب، وذلـك بغسلها ودلكها وتليينها وتبييضها بعد خروجها من المنـاسج، وكانت هذه العملية تتم في العادة بالقرب من ضفاف الأودية والأنهار (٣).

واشتهـرت صناعة الصوف في الأندلـس، بفضل كثرة المـراعي المنتشـرة في سفوح الجبـال والأودية، ووفـرة المواشـي والأغنام التي تربى عليهـا، ممـا هيأ مورداً هاماً من مـادة الصـوف الخـام اللازمة لتلـك الصنـاعة (٤)، فبرع الصنـاع في القـرنين الثـالث والـرابع الهجـريين/ التاسع والعـاشر الميلاديين بحيـاكة أرقى المنسـوجات الصـوفية، التي تفـوقت بجودتها على المنسوجات الأرمنيـة(٥)، وكانت أسـرجة الخيـول التي تصنع من الصـوف هـي الأرقى مـن نوعهـا في العـالم الإسلامـي، إذ كـانت تتراوح أثمانها مـا بين الخمسين والستين دينـاراً، ويبـدوا أنها كانت تصنع من خيـوط الصوف، وتزين بالذهب والفضـة فـالأندلسيون" لم يساوهـم في أعمال لُبُودهم (٦) أهـل بلـد على وجه الأرض، وربمـا عمل لسلطانهم لبود ثلاثينية يقوّم اللبد منها بالخميس والستين دينـاراً، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وستة أشبار فهي من محاسن الفرش"(٧).

---

(١) القصار: هو الذي يحور الثياب أي يبيضها، وحرفته القصارة. ابن هشام اللخـمي، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

(٣) ابن هشـام اللخمـي، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٤. زمـامة، أسماء الحرف المعـروفة في مـدينة فاس، ص ١٢٣.

(٤) انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٣٧٥.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

(٦) اللبود: كل شعر أو صوف ملتبد بعضه على بعض فهو لبد، والجمع ألباد، ولبـود. واللبد: ما تحت السرج، ويقـال: ألبـد السرج إذا عمل له لبده. وفي الأفعـال: لبدت السرج والخف لبـداً وألبـدتهما: جعلت لهما لبداً. انظـــر: ابن منظـــور، لســـان العـــرب، ج ٣، ص ٣٨٦؛ الـــزبيدي، تاج العـــروس، ج ٩، ص ١٢٨.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩؛

Imamuddin, The Economic History of Spain. P 212.

وعرف الأندلسيون صناعة أنواع الملابس الصوفية المختلفة، ومن جملة ذلك المطر؛ وهو نوع من الثياب يرتدى للتوقي من المطر (١)، وقد أهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ثوباً من هذا النوع إلى عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي -وهو منجّمه الخاص- ليتوقاه من بلل الأمطار (٢). والثياب القلشانية؛ وهي "مخترعة الصنعة غريبة العمل" وكانت تصنع في مدينة قلشانة (Calsena) التابعة لكورة شذونة (٣). وثياب الملف (٤) المتخذة من الصوف، وكانت شائعة الاستعمال في الأندلس، وبخاصة في غرناطة، حيث كان يرتديها الناس في الشتاء.(٥) وتعد مدينة شقوبية (٦) (Segovia) من أشهر المراكز التي اختصت في صناعة الملف على اختلاف أنواعه وألوانه (٧).

واتخذ الأندلسيون من أصواف الحيوانات وأوبارها (٨) ملابس الفراء لتقيهم من برد الشتاء القارس، فبرع الفراؤون في نسج الثياب الفاخرة من فراء القنليات (٩). وكانت هذه الثياب تستخدم على نطاق واسع من المسلمين والنصارى، ويبدو أن الكميات المنتجة منها كانت تزيد على حاجة السوق المحلي، ولذا كان الفائض يصدر الى الأسواق الخارجية وبخاصة أسواق سبتة وتونس (١٠).

---

(١) المطر: ثوب يرتدى للتوقي من المطر وهو معمول من الصوف، ويكون رأسه منه ملتصق به. أنظر: ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ٢٦٠؛ رينهارت دوزي، المعجم المفصل، ص ٣٢٩.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٤) الملف: وهي ثياب حسنة العمل من الصوف. الزهري الجعرافية، ص ٧٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٠.

(٦) شقوبية: بالأندلس، وهي ليست بمدينة، إنما هي قرى كثيرة متجاورة متقاربة متلاصقة متداخلة العمارات، فيها بشر كثير، بينها وبين طليطله مائة ميل. الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٠.

(٧) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٣٣.

(٨) الوبر: صوف الإبل والأرانب والثعالب والفنك والسمور ونحوها، والجمع أوبار، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٢٧١.

(٩) القنلية: حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما تلبس فراؤها، ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٨.

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٨، رواية: (ابن سعيد).

وكـانت الثيـاب التي تعـرف باسـم "أبو قلمـون" (١) تنسـج في مـدينة شنترين (Santarem) في القـرن الرابع الهجري / العـاشر الميلادي، وهـي ثياب رفيعة القدر، تمتـاز بالجـودة والمتانة، وتنسـب إلى حيـوان بحري يدعى (أبو قلمـون) كـان يخرج من المحيط الأطلسي إلى ساحل شنترين، فيحتك بالصخور على شط البحر، فيسقط من جسمه "وبر في لين الخـزلونه لون الـذهب لا يغادر منه شيئاً، وهـو عزيز قليل، فيجمع وتنسج منـه ثياب فتتلون في اليوم ألـواناً". وكانت هذه الثياب تنسـج للملوك والخلفاء خاصة. وقـد احتكر "ملوك بني أمية" هذه الثيـاب لأنفسهم ومنعوا بيعهـا في الأسواق الأندلسية أو تصـديرها خارج البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الثـوب الواحد منها كانت تزيد على ألف دينار نظراً لعزتها وحسنها (٢). وقد أشار ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، إلى حسنهـا وجمال صنعتها وجودة اتقـانها بقوله : "وحكى لي بعـض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك، وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها، ثم قال: لكنها أرفع وأنعم من نسج العنكبوت" (٣).

وانفردت مدينة سرقسطة (Zaragoza) في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحـادي والثاني عشر الميلاديين، بصناعة ثياب السـمور(٤)؛ وهـي الثياب الرقيقة الفاخرة المتقنـة الصنـع، التي لا تضاهيهـا أية صنـاعة مماثلة في العالم الإسلامـي آنذاك، إذ إنهـا حظيـت بشهرة واسعة نسبتها إلى سرقسطة، فكانت تعرف (بالشيـاب السرقسطية)(٥). وقد أشـاد العذري (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) بهـذه الصناعة وذكر أنهـا "لا تحكى في أفق من الآفـاق" (٦). ومما يذكر أن السـمـور الذي يعمل من وبره الفـراء الرفيعة القدر كان يجلب إلى سرقسطة من جزيرة بريطانية (٧).

---

(١) أبو قلمـون: ضـرب من ثياب الروم يتلـون ألواناً للعيون، وقيل: ثوب يتراءى إذا طلعت الشمـس عليه بألوان شتى. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٩١.

(٢) المقـدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠ - ٢٤١؛ الأصطخـرى، مسالك الممالـك، ص ٤٢؛ الأصطخري، الأقاليم، ص ٢٢؛ ابن خلكـان، وفيـات الأعيـان، ج ٧، ص ١٣٨، رواية: (ابن حوقـل في كتـاب المسـالك والممـالك).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١٣٨.

(٤) السمور: حيوان بري عيشه من الحوت والسمك النهري، يتخذ من جلودها فـراء غالية الأثمان. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٨٠؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ٣٠ - ٣١.

(٥) العـذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٢؛ ابن غـالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٧ - ٢٨٨؛ ياقـوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٢.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٧؛ رواية: (الحجاري في المسهب).

جـ . البسط والسجاد

ازدهـرت صناعة البسط والسجاد في الأندلس، بفضل المسلمين الـذين أدخلوا إليها هـذه الصناعة من المشرق الإسلامـي بعد الفتح، إذ لم يكن لإسبـانيا قبل الفتح الإسلامي سـابق معرفة بالسجاد صناعةً أو استخـداماً بالرغم من تاريخهـا الطويل، وما ازدهر فيها مـن فنون خلفت مباني عظيمة وتحفـا جميلة رائعة تشهد بالتقـدم الفني لهذه البلاد منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي (١).

ولم يصل إلينا ما يدل على أن أهل إسبانيا قد كانوا على علم بصنـاعة السجاد قبل الفتـح، بل إن أوروبا لم تعرف السجـاد إلا بعد أن عرفتـه إسبانيا ونقلتــه عنها، وكان ظهـور السجـاد الإسـباني في لنـدن عـام (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م) في احتفــال عقـد قـران (ليـونور) القشتالية على (إدوارد الأول) ملـك إنجلترا مثار دهشـة عظيمة بين أهلها بعد أن فـرشت طـرقات القصر والحجـرة المخصصـة للأميرة بالسجـاد. ويذكـر أن كثيراً مـن السجلات الأوروبية وبخاصة في فرنسا تنسب السجاد إلى إسبانيا (٢).

وقد شاع استخدام الصوف في صناعة البسط والسجاد، كمـا نجد شعر الماعز أيضاً ولكـن بدرجة قليلة جداً. أما الحرير فقد ندر استخدامه. وفي السجـاد الفاخر كان الحرير يمتزج بالصوف (٣).

وكـانت البسـط والسجـاد تستعمـل لأغـراض مختلفـة. فهنـاك مـا يفـرش منها على الأرض، وهــي إمــا مستطيلــة تسمــى (نخ والجمــع نخــاخ)(٤) أو كبيرة وتسمــى (البسـط)(٥). والبعـض منها يعلـق على الجـدران للزينة ويسمـى (الأنمـاط أو الـزرابي والحيـاطي)(٦)، وهناك نوع خاص يستعمـل للصلاة ويسمى (السجـادة أو المصلى)(٧)

---

(١) جمـال محرز، فضل مصر على صناعـة السجـاد بإسبانيا، ص ٥٨؛ جمال محـرز السجـاد الإسلامي، ص ١٨١.

(٢) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد في إسبانيا، ص ٥٨؛ جمال محـرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨١.

(٣) جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٥.

(٤) ابن هشـام اللخمـي، المـدخل، ج ٢، ص ٣٥٥؛ الـدوري، تاريخ العـراق الاقتصـادي، ص ١٠٤.

(٥) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٤

(٦) المكنـاسي، الإكسير في فكـاك الأسير، ص ١٠٤؛ الـدوري، تاريخ العـراق الاقتصـادي، ص ١٠٤.

(٧) الـونشريسي، المعيـار المعـرب، ج ٣، ٤١٢؛ الـدوري، تاريخ العـراق الاقتصـادي، ص ١٠٤.

ولقد اشتهرت أكثر من مدينة أندلسية بصناعة البسط والسجاد في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، مثل تدمير (Tudmir) وأعمالها(١) وجنجالة(٢) (Chinchilla) التي ينسب إليها الوطاء الجنجالي لشهرتهابه(٣).

وكان يصنع في كونكة (٤) (قونكة Cuenca) من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة (٥). واشتهرت مرسية (٦) وتنتالة التابعة لها، بصناعة البسط الفاخرة الغالية الثمن، التي كانت تصدر إلى بلاد المشرق الإسلامي (٧). واختصت بسطة بصناعة البسط من الديباج، وإليها تنسب المصليات البسطية (٨).

وفي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي اختصت مدينة ألش بصناعة البسط الفاخرة، إذ برع الصناع في حياكتها لتناسب رغبات الناس واحتياجاتهم (٩).

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بصناعة البسط والسجاد ينشتة (Iniesta)(10) ، وبلانة وقرطبة والمرية وغرناطة(١١). ونلاحظ مما سبق تركز صناعة البسط والسجاد في المناطق الشرقية من الأندلس، ومما يؤكد ذلك أن الخليفة المنصور (٥٨٠-٥٩٥ هـ/١١٩٨م)طير إلى شرق الأندلس يأمر بنسج كساء وفرش جامع القيروان لما أراد تعميره(١٢). ويبدو أن سبب شهرة المناطق الشرقية بهذه الصناعة يرجع إلى إسكان المصريين في تلك المناطق، حيث علموا أهلها صناعة السجاد، وذلك عندما أنزلهم الوالي أبو الخطار حسام الدين بن ضرار الكلبي في إقليم (تدمير - مرسية) سنة (١٢٥ هـ / ٧٤٢م) (١٣).

---

(١) العذري: ترصيع الأخبار. ص ٩.

(٢) جنجالة: ويقال لها شنتجالة، تقع في طرف كورة تدمير بالأندلس مما يلي الجوف، وتبعد خمسين ميلاً عن مرسية. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٦٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٢.

(٣) الرشاطي، اقتباس الأنوار ، ص ٨٩؛ ابن الخراط، اختصار إقتباس الانوار، ص ١٩٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٠.(٤) كونكة: مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية. وهذه الأخيرة تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر التاجة. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤١٦؛ ابن الكردبوس، أخبار الخلفاء، ص ٨٠.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٣٣.

(٦) الشقندي، فضائل الأندلس واهلها، ص ٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج ٣، ص ٢٢١، رواية: (الشقندي).

(٧) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠١. رواية: (ابن سعيد).

(٨) ياقوت الحوي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣.

(٩) القزويني، آثارالبلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص١١١.

(١٠) ينشتة:حصن من حصون الأندلس على نحو مرحلتين من جنجالة. الحميري، صفةجزيرة الأندلس، ص١٩٨.

(١١) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد، ص ٥٨؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٢.

(١٢) عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(١٣) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، ص ٥٩؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٤.

وكانت البسط والمصليات من بين الهدايا الثمينة التي تقدم للخلفاء، ونذكر على سبيل المثال هدية ابن شهيد للخليفة عبد الرحمن الناصر، التي اشتملت على ثلاثين بساطاً من الصوف منتقاة مختلفة الألوان والصناعات، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً. ومائة مصلى من وجوه الفرش مختلفة الصناعات، من جنس البسط. وخمسة عشر نخاً من عمل الخز المقطوع شطرها، وسائرها من "جنس البسط الوجوه"(١).

وكان السجاد الثمين يفرش ويعلق في قصور الخلفاء والأمراء لإظهار روعتها وجمالها. فيذكر مثلاً أن مجلس الطعام في قصر المأمون بن ذي النون (٢) قد "فرش بالوطاء التستري، وعلقت على أبوابه وحناياه ستور الطميم (القماش الثقيل) المثقلة ذات الصور المقيدة للألحاظ"، كما فرش مجلس الوضوء "بوطاء الوشي المرقوم بالذهب، وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة" (٣).

وقد قام الصناع المسلمون بدور المعلم لمن أراد من الإسبان تعلم صناعة السجاد، وظلوا كذلك حتى بعد زوال الحكم الإسلامي نهائيا من إسبانيا. ولذا انتقلت صناعة البسط والسجاد إلى مدن إسبانية متعددة، فاشتهرت كل من الكرز وليانور وبلنسية وسلمنكة ومدريد، بإنتاج أنواع معينة من السجاد(٤)، وفي مدريد بالذات كانت تنسج الزرابي والحياطي التي تعلق على الجدران، وكانت تزخرف بصور البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وثيابهم وهيئاتهم، وبصور الحيوانات البرية والبحرية، إضافة إلى أوراق الأشجار على اختلاف أنواعها وألوانها(٥). ومما يدل على مبلغ الأثر الإسلامي في هذا الشأن استخدام كثير من الألفاظ العربية للدلالة على السجاد في اللغة الإسبانية، فقد ظل لفظ القطيفة والطنفسة مستخدماً في غرناطة بمعنى السجاد بعد زوال الحكم الإسلامي عنها، كما اقتبس اسم الحمرة (Alfombra) وزربية (Garbia) للدلالة على السجاد (٦).

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ق ٢، ص ٣٠٠، المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) هو أبو الحسن يحي المأمون بن اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٧٤م) من أشهر ملوك طليطلة في عهد الطوائف. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، ص ٥٨؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٣.

(٥) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٦) جمال محرز، السجاد الأسلامي، ص ١٨٣.

هـذا، وقـد كـان الأندلسيـون يصنعـون من لحاء الأشجار وغصـونها (١) الحصـر والحبـال والأطباق والسلال والمكـانس. وكانوا ينسجون من لحـاء الحلفـاء خاصة، قفاف الخدمة المعروفه بـ (الردامي)، ومساور التين، وشيرات الخوابي والمساور، وشيرات اللوز، وأغشيـة خوابي التين وأحمال الـزبيب، وأحبل السفن (٢). وبرعـوا في صناعة الحصر، وقـد أطلـق على محترف هـذه الصنـاعة اسـم "الحصَّـار" (٣). وكـانت مـرسية في القـرن السـادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تنتج نوعاً من الحصـر التي تزين بها الحيطان، نظراً لجودة صنعتها وجمال منظرها وتناسق ألوانها (٤).

د . الطراز

كـان للأمراء وللخلفاء في قصـورهم معامل خاصة تعرف بـ (دور الطـراز)، تختص في تطريز "أثوا بهم المعدة للبـاسهم من الحرير أو الديباج أو الأبريسـم*" وتعني كملة طـراز في الأصل "التطريز"، ثم صـارت تعني النسيج المحلى بسطـور من الكتابة، وكانت الكتابة تنسخ على حافة القماش وتحوي اسم الخليفة أو (الأمير) ولقبـه وبعض عبارات الـدعاء. وكـانت الكتابة تحاك مـن خيـوط الذهب، أو من خيـوط ذات ألـوان زاهيـة تخالف في العادة لون الثوب. وبذلك تصبح هذه "الثياب الملـوكية معلمة" بذلك الطراز قصـد التنويه بلابسها من السلطـان فمن دونه، أو التنويه بمـن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته" (٥).

وكـانت دار الطراز مظهراً من مظاهر الملك والسلطان، وكـان المشرف عليها يسمى "صـاحب الطراز"، ومن اختصاصه النظر في أمور الصباغ والآلـة والحاكة، والإشراف على الصنـاع وتوزيع الأجور عليهـم، ولذا كان الخلفاء يقلـدون هذه الوظيفة الخواص من دولتهم وثقات مواليهم (٦).

وكـان الأمير عبـد الرحمـن الأوسط أول من أنشأ دار الطـراز بالأندلـس (٧)، وإن أكـد غيره أن هذه الدار مـن بنيان الأمير عبد الرحمـن الـداخل الذي أنشأ داراً لصناعة البُرود الأميرية غربي قصر قرطبة عرفت (بدار البُرد أو الـدار البردية) (٨)، ثم تطورت واتسعت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٩).

---

(١) مثل خوص النخيل والسمار والدوم والأسل والخيزران وغيرها. انظر: الـزبيدي، لحن العوام، ص ٥٤؛ ابن الشبـاط، صلـة السمـط، ص ١٧٠ - ١٧١؛ ابن هشـام اللخمـي، المـدخل، ع ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة؛ ص ٦٤-٧١ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤١.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسب، ص ١٠٢؛ الجرسيفي، في الحسبة ص ١٢٢.

(٤) الشقنـدي، فضائل الأندلـس وأهلهـا، ص ٥٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٢١؛ عـز الـدين مـوسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٢.

* الإبريسـم: ضـرب مـن الخـز وقيـل هـو ثيـاب الحرير. انظر: ابن سيـده، المخصـص، ع ١، س ٤، ص ٦٩.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٦؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٦.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٦ - ٨١٧.

(٧) ابن عـذاري، البيـان المغـرب، ج ٢، ص ٩١؛ عبـد العـزيز سالم، قرطبـة حاضـرة الخلافـة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٨) ابن حيـان، المقتبس في أخبار بلـد الأندلس، ص ٦٦؛ عبد العزيز سالم، قـرطبة حاضـرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٩) ابن الخطيـب، أعمـال الأعلام، ص ٢٠؛ عبـد العزيز سالم، قرطبة حاضـرة الخلافـة، ج ١، ص ٢١٥ - ٢١٦.

وتقدمت صناعة الطراز كثيرا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ أصبحت دور الطراز تنسج ما يحتاج إليه الخليفة من "الخلع والكسي وملابس الحرم، وغير ذلك"(١) وقد تنوعت دور الطراز وتعددت في الأندلس، وتخصص كل منها بنوع خاص من الطراز، وكانت منتوجاتها تصدر إلى مصر وغيرها(٢) ويقول ابن الخطيب معلقاً على دور الطراز: "ولو تتبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعتهم ويناغون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفقاتهم لضاق عنه الكتاب".(٣) ويفهم من هذا النص أن المنسوجات الأندلسية المتنوعة التي تصنع في دور الطراز كانت تضاهي ما يصنع في المشرق الإسلامي من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات، ولكننا مع الأسف نقف عاجزين أمام صمت ابن الخطيب عن تتبع هذه الصناعة بقصد الاختصار، وهذه مشكلة تواجه الباحثين في النواحي الاقتصادية.

وتجدر الإشارة إلى اهتمام خلفاء بني أمية بصناعة الطراز، إذ إنهم كانوا يصدرون الأوامر إلى الولاة في شهر أيار من كل سنة لجمع غلة الحرير وإرسالها إلى معامل الطراز الموزعة في مناطق الأندلس المختلفة(٤) مما يدل على اعتنائهم ورعايتهم لهذه الصناعة.

وكان صاحب الطراز في عهد بني أمية مسؤولاً عن معامل الطراز حيث كانت تنسج ثياب الخلفاء والأمراء وأعيان الدولة من الديباج والحرير المختّم المرقوم بالذهب المختلف الألوان(٥)، وكانت هذه الثياب إضافة إلى اسم الخليفة او الأمير تشتمل أحياناً على أبيات من الشعر، ومن ذلك أن ولادة بنت المستكفي(٦) كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالي   وأمشي مشيتي وأتيه تيهاً"

---

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص ٢١٦.

(٢)ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص ١٠٥.

(٣) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص ٢١٦.

(٤) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٩١.

(٥) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص ٣٠٠؛ التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية ص ٣٨٥.

(٦) ولادة بنت المستكفي بالله، أمير المؤمنين، محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن بن محمد المرواني، من بني أمية بالأندلس، وهي أديبة شاعرة كانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء. انظر: ابن دحية، المطرب، ص ٧ - ٨.

وكتبت على الطراز الأيسر:

وأمكـن عـاشقي مـن صحـن خدي وأعطـي قبلتي مـن يشتهيهـا(١)

وكـانت وظيفـة صاحب الطراز تسنـد في كثير من الأحيان إلى الصقـالبة "الفتيـان المعـروفين بالخلفـاء الأكابر"(٢) ونذكـر على سبيل المثال الفتى خلـف الكبير الـذي تولى الطـراز في عهد الخليفة عبد الـرحمن الناصر(٣)، والفتى فائق المعـروف بالنظـامي الذي تولى البرد والطراز في عهد الخليفة الحكم المستنصر(٤).

وكـانت أهـم مراكز دور الطـراز في العهد الأموي موزعـة في منـاطق: قرطبة(٥)، وبجانة(٦)، وفِنْيَانة(٧)(Finana)، وبسطة(٨)، ومالقة(٩)، والمرية(١٠) ومـرسية(١١).

وكـان لبعض الخارجين على بني أميـة في القرن الثالث الهجـري/ التاسع الميلادي، طـرز خاصة بهم، فكان لإبراهيم بن حجاج(١٢) حاكم إشبيليـة طرز يطرز بها على اسمه تشبهاً بالملوك، وذلك لإضفاء صفة الشرعية على حكمه(١٣).

---

(١) المقري، نفح الطيب. ج٤، ص ٢٠٥.

(٢) المقـري، نفـح الطيـب، ج١، ص٣٨٧؛ رواية: (ابن حيـان)؛ الـراجحي، نظـم وإدارة بني أميـة، ص ٣٨٥.

(٣) تولى خلـف الكبير الطـراز سنـة (٣١٣هـ / ٩٢٥م)؛ ابن عـذاري، البيـان المغـرب، ج٢، ص١٩١.

(٤) ابن حيـان، المقتبـس في أخبـار بلـد الأندلس، ص ٦٦، ١١٧؛ ابن عـذري، البيـان المغـرب، ج٢، ص٢٥٩.

(٥) ابن عـذاري، البيـان المغـرب، ج٢، ص ٩١؛ عبـد العـزيز سالم، حاضرة الخلافـة في قـرطبة، ج٢، ص ١٥٥.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٨.

(٧) فنيانة: قرية بالقرب من وادي آش. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٣.

(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٤.

(٩) Willams, The Arts and crafts, III, p 4 - 5.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٢.

(١١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٥.

(١٢) هو إبراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي ملك إشبيلة وقرمونة، إذ استقل بهما عن بني أمية وأقام دولة بني حجـاج المشهـورة. توفي عـام (٢٨٨هـ / ٩٠٠م). انظـر ابن الخطيـب، أعمـال الأعلام، ص ٣٤ - ٣٥.

(١٣) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ق ٣، ص ١١ - ١٢؛ ابن عـذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٧؛ رواية: (ابن حيان).

وكانت منتجات دار الطراز مما يهادي به الخلفاء والأمراء، ومن جملة ذلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لمحمد بن خزر أمير زناته سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)(١)، وهديته لموسى بن أبي العافية، واشتملت على خمسة وعشرين قطعة من الطرز، ومائة ثوب من ثياب الخز المختلفة لكسوة رجاله، وعشرة شقاق من الشقاق الطرازية المصبوغة، وفراش ديباج أرضية قوشية مطرزة، ومخدتان مفضضتين مختمتين، بطانتهما خز طرازي أرجواني(٢). كما أهدى الوزير أحمد بن شهيد الى الخليفة الناصر ثلاثين شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب المختلف الألوان والصنائع(٣). وكان الخليفة الحكم المستنصر يهادي شيوخ القبائل البربرية من فاخر الكسوة المصنوعة في دار الطراز(٤). كما كان المنصور بن أبي عامر يهادي ملوك إسبانيا المسيحية، ومن حَسُن بلاؤه من المسلمين في الحروب والغزوات بفاخر أنواع المنسوجات المصنوعة في دار الطراز، وقد وزع في غزوته إلى شنت ياقوب (Santiago de Compostela) سنة (٣٨٧ هـ / ٩٩٧م) "ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي، وإحدى وعشرين كساءً من صوف البحر، وكسائين عنبريين، واحد عشر سقلاطونا، وخمس عشر مريشات، وسبعة أنماط ديباج)(٥).

وكانت دور الطراز منتشرة في مناطق الأندلس المختلفة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(٦) نتيجة للتنافس الذي جرى بين ملوك الطوائف، إذ بذل كل واحد منهم قصارى جهده لإحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبها بما كان يفعله خلفاء قرطبة. وترتب على ذلك أن تقدمت الفنون والصناعات تقدما لم تشهده البلاد من قبل، وأخذت كل حاضرة تنافس غيرها في هذا المضمار، ونالت المرية في زمن الطوائف نصيبا كبيراً من هذا التقدم، بفضل تشجيع ملوكها، فتقدمت فيها الصناعات وبخاصة صناعة النسيج التي بلغت أوج ازدهارها في عهد المرابطين.(٧)

---

(١) أهدى الخليفة الناصر لمحمد بن خزر، عشر قطع مختلفة الأجناس مما استعمل لكسوته الخاصة، من عتيق الخز العبيدي وغريبه وبديعه في التأليف والصنعة. وكانت مطرزة باسم محمد بن خزر. كما تضمنت الهدية خمسين قطعة من قطع الثياب الرفيعة المختلفة الأجناس. انظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ج٥،ص٣٥١، ٣٨٩-٣٩٠،٤٢٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرةالخلافة، ج٢، ص١٥٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، ع١، ٣٥٧؛ رواية: (ابن خلدون).

(٤) ومن ذلك خمسون جبة من الديباج المضلع الملون، وخمسون جبة من الخز الطرازي الملون، ومائة جبة من المطارف المفصلة الملونة، وذلك في سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م). انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ١٠٨، ١٥١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٩٧؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٥٥.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق١، ٤، ع١، ص ٥١، ١٣٠ - ١٣١.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ٥٦٢؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

وفي أوائل عهد الموحدين سقطت وظيفة صاحب الطراز من وظائف الدولة، بسبب تورع الموحدين عن أرتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب.(١) ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، بل أخذ الموحدون يقلدون الأندلسيين في ارتداء هذا النوع من الملابس، فأنشئت في أوآخر دولتهم دور الطراز لصناعة المنسوجات الحريرية والديباج المطرز(٢)، وكانت مراكزها موزعة في مناطق مرسية وبلنسية وغرناطة ومالقة والمرية(٣). ويبدو أن الناس قد أسرفوا في ارتداء الملابس الحريرية في عهد الموحدين، مما اضطر الخليفة المنصور(٤) إلى إصدار أمر في سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) يقضي "بقطع لباس الغالي من الحرير والاجتزاء منه بالرسم الصغير، ومنع النساء من الطراز الحفيل... وأمر بالاكتفاء منه بالساذج القليل، وأمر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى".(٥)

واحتلت صناعة الطراز مكانة خاصة في عهد دولة بني الأحمر، واهتمت نساء غرناطة بهذا الفن اهتماما بالغا، فتفردت غرناطة بصناعة المنسوجات الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبية والفضية، وامتازت بنقش الصور الملونة عليها، كما كان هناك نموذج ذو تصميم خاص مطرز بتلك الخيوط الثمينة، إضافة إلى الصور الملونة. وقد استمرت هذه الصناعة في الأندلس حتى أواخر الحكم الإسلامي(٦).

٢ - الصناعات الجلدية

كان لوفرة الأغنام والأبقار وأصناف الماشية الأخرى أثر بالغ في ازدهار الصناعات الجلدية في الأندلس في العهد الإسلامي. وكان الجلد في أول مرحلة من تصنيعه يخضع لعملية أخذ ما عليه من صوف أو شعر، ولذا أطلق على محترفي هذه الصناعة اسم

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص ٨١٧.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٧؛ أبو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية، ص ٢٩٩ - ٣٤٠؛ كولان، الأندلس، ص ١٨٢.

(٣) أبو رميلة، علاقة الموحدين بالمالك النصرانية، ص ٣٤٠.

(٤) الخليفة المنصور: هو يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٨م)؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص ٢٦٩.

(٥) ابو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية، ص ٣٤٠.

(٦) محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩١.

الصوّافين (ويعرف واحدهم بالصواف)(١) والشعّارين (ويعـرف واحدهم بالشعار)(٢)، وقد استخدم هؤلاء مواد مساعدة تعين على نتف الصوف والشعـر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير والشب.(٣).

وبعد أن تجهز الجلود تأتي المرحلة الثانية، وهي عملية دباغة الجلود، التي كانت تتم في العـادة خارج أسـوار المـدن(٤) لمـا ينشـأ عنها من روائح كـريهة، وكـان الـدباغون يستعملـون القِرمِز والشب والبقّم والزعفران ومواد نباتية أخرى في عمليـة الدباغة.(٥) والدباغة من الحرف الأساسية في الصناعة الجلدية، وقد اشتهرت أكثر من مدينة أندلسية بهذه الصناعة، فاختصت قرطبة (Cordoba) بدباغة الجلود في القرن الرابع الهجـري / العـاشر الميلادي(٦). واشتهرت أعمال الدباغة في القرنين الخـامس والسادس الهجريين/ الحـادي والثاني عشـر الميلاديين في مـدينة لبلة (Niebla)، التي "كـان لها خاصيـة في الأدم الأحمـر الصبغ الجيـد الـدباغ، المضـاهي للأدم الطـائفي". ولهـذا كـانت تعـرف "بالحمراء".(٧)

كمـا اشتهـرت أعمـال الدباغة في مـدينة مـالقة(٨) (Malaga)، وإشبيلـة(٩) (Sevilla) وباجة(١٠)(Beja)، وطليطلـة(١١) (Toledo)، وسـرقسطـة (Zaragoza)، حيث كان أحد أرباضها يعرف بـ "ربض الدباغين"(١٢). واختصت كل من غرناطة(١٣) (Granada) و(باجة) بدباغة الجلود في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وكان لمدينة باجة "خاصية في حسن دباغ الأدم"(١٤).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٣؛ ص ٤٦٨.

(٢) زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، ص ٤٦٨.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٥.

(٤) عـز الـدين مـوسى، النشـاط الاقتصـادي، ص ٢٢٩؛ زمـامة، فـاس وصنـاعاتها التقليـدية، ص ٤٦٨؛ Imamuddin, The Economic History Of Spain p. ١٩٣.

(٥) كتـاب التيسير في صنـاعة التسفير، ص ١١، ٢٨، ٣٢، القـزويني، عجـائب المخلـوقات، ص ٢٦٥؛ الطيبي، الإسلام في الأندلس وصقلية.

(٦) أمين الطيبي، الإسلام في الاندلس وصقلية، ص ٣١؛ عاشور، ص ١٨٣، ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٨٨.

(٧) العـذري، ترصيـع الأخبـار، ص ١١١؛ ياقـوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٥، ص ١٠؛ ابن الشبـاط، صلـة السمط، ص ١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(٨)السقطي، في آدب الحسبة، ص ٦٣.

(٩) المـراكشي، كتـاب الـذيل والتكملـة، السفر٥، ق٢، ص ٦٦٢ رواية: (التـاريخي أبو العبـاس بن علي بن هارون).

(١٠) كـان لمـدينة باجة خاصيـة في دباغـة الأديم في أيام بني عبـاد. المقـري، نفـح الطيـب، مج١، ص١٥٩.

(١١) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٦، ص٥٠٤.

(١٢) ابن الكـردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١١٨؛ ابن مطروح السـرقسطي، روضة المحاسـن، ٤٢، ١١٤. Imamuddin, The Economic History of spain p.١٩٣.

(١٣) القلقشنـدي، صبـح الأعشـى، ج٥، ص ٢٠٧. رواية: (ابن فضـل اللـه العمـري في مسـالك الأبصـار).

(١٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٥. رواية: (أبو الفداء في تقويم البلدان).

وكانت أكثر الجلود استعمالاً في المصنوعات الجلدية هي جلود الماعز والضأن والبقر(١) وجلود النسور(٢) والقنليات(٣) والثعالب السود(٤)، وحيوان اللمط(٥)، والسمور(٦)، إضافة لجلود الأسماك.

ومن جملة المصنوعات الجلدية التي عرفتها الأندلس في القرون الوسطى: قباب الأدم(٧)، والدرق (الدروع) اللمطية التي اشتهر بها المرابطون والموحدون، وكانت تمتاز بجودتها ومتانتها(٨). والوسائد(٩)، ومفارش المائدة المصنوعة من الجلد الرقيق(١٠)، والسفن(١١) الذي يتخذ من جلد السمك، ومنه تصنع أغمدة السيوف ومقابضها(١٢)، وقد اختصت مدينة مالقة بصناعتها(١٣). والجراب(١٤)، وهي وعاء من الجلد يستخدم لحفظ الأشياء الجافة كالدقيق(١٥). كما اشتهرت الأندلس بصناعة ألجم الخيل وسروجها(١٦)

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٣ - ١٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٣٨.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) الزهري، الجعرافية، ص ٦٦، ١٣٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحنسبة، ص ١٠٤.

(٤) الزهري، الجغرافية، ٦٦.

(٥) اللمط: حيوان على قدر العجل أو أقل منه، طويل العنق رأسه كرأس الأشكر، له أذنان كأذني المعز، في رأسه قرون طوال سود مزوقة الخلقة خارجة من يافوخه، راجعة إلى خلفه، ومن جلده تصنع الدرق اللمطية، انظر: الزهري، الجعرافية، ص ١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٣٤٤ - ٣٤٥. رواية: (ابو حامد الغرناطي ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م).

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٣٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٣.

(٧) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٩١ - ٢٩٢؛ ابن حيان، المقتبس. ج٥، ص ٣٨٩.

(٨) الزهري الجعرافية، ص ١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٣٤٥.

(٩) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص٣١٤.

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٨؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص ٢٣.

(١١) السفن: جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف، ويكون على قائم السيوف، وقيل السفن: جلد الأطوم، وهي سمكة بحرية تعمل قوائم السيوف من جلدها، ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٢١٠،

(١٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٣٢.

(١٣) الأصطخري، مسالك الأبصار، ص ٤٢.

(١٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(١٥) جواد علي، المفصل، ج ٧، ص ٥٨٨.

(١٦) ابن حيان، القتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٤٢، العذي، ترصيع الأخبار، ص ٦٥.

وكان السندروس الذي يدخل في صناعة السروج - ويكون في العادة تحت الجلد - يتخذ من الفضة أو القصدير(١). وكانت حوانيت السراجين منتشرة في أسواق المدن الأندلسيةلتلبية احتياجات الناس(٢)، إذ لا تخفى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في حياة المجتمع الأندلسي آنذاك.

وعرف الأندلسيون صناعة الأحذية بأنواعها المختلفة، ومن جملة ذلك: الأقراق، وهي نوع من النعال تفصل من الجلد وتخرز بخيوط القنب، ويتخذ لها كعب من الجلد البقري يثبت بواسطة الغراء(٣)، ويعرف صانعها بـ "القراق"(٤). والخفاف (جمع خف) تصنع من الجلد ويقال لصانعها الخفاف(٥) والخراز(٦)، ويعرف أيضاً في الأندلس باسم "الإسكاف"(٧). وكان الخرازون يصنعون نوعا من الخفاف التي تلبسها النساء تعرف باسم "الخفاف الصرارة". وقد نهى يحي بن عمر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) الخرازين عن صنعها ونهى النساء عن لبسها في الأسواق(٨)، بهدف الحفاظ على المصلحة العامة. والأمواق (جمع موق)، وهي أحذية تصنع من الجلد، وتلبس فوق الخف(٩)، ويعرف صانعها بـ "المواق".(١٠)

واستغل مسلمو الأندلس الجلود في تسفير (تجليد) الكتب والمصاحف(١١)، إذ كان من شأن التجليد أن يحفظ الكتاب ويصونه من التلف لمدة طويلة، ويضفي عليه جمالاً وسهولة في الاستعمال والنقل.(١٢) ولذا كان الأندلسيون يعتنون عناية خاصة بهذه

---

(١) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة، ١٩٨٤، ص ١٣٩. رواية: (ابن سهل الأسدى).خطة الحسبة.

(٢) انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠٦.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٤؛ ابن عبدون؛ في القضاء والحسبة، ص٥٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق١، ج٢، ص ٨٠٥؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٣.

(٦) يحي بن عمر، أحكام السوق ص ٩٤؛ ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ٦٠،ابن بشكوال، الصلة؛ ق١، ص ١٨.

(٧) يقول أهل الأندلس "إسكاف"، للخراز خاصة. قال أبو بكر: وكل صانع عند العرب إسكاف انظر: الزبيدي، لحن العوام، ص ٢٤٧؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٨) لأن هذه الخفاف تصدر أصواتاً مميزة، تلفت انتباه الناس وبالتالي تشغلهم عن أعمالهم، يحي بن عمر، أحكام السوق، ص ٩٤.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ٣٥٠.

(١٠) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ٤٢، ١١٤.

(١١) ابن القاضي، درة الحجال، ج ١، ص ٢٦٤، انظر: المقري، نفح الطيب، ج٦، ص ٦٨ - ٦٩.

(١٢) كريم عجيل، الياة العلمية، ص ٢٧٤.

الصناعة حتى أنها بلغت الغاية في الجودة والإتقان، وكانت مدينة (مالقة) "أكثر المدن براعة وإتقاناً في صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب تجليدا نفيساً على وجه الخصوص، وقد بذل الهواة من جامعي الكتب كما بذل الأمراء المسلمون جهدا رائعاً كانت نتيجته تكوين المكتبات العامرة، والتشجيع المتواصل لتنسيقها، وإبداع تجليد كتبها، مما أسهم بنصيب ملحوظ في هذا التطور الذي لا نظير له في فن تجليد الكتب في العصور الوسطى"(١)

وكانت مكتبة القصر في قرطبة - في عهد الحكم المستنصر - تضم أمهر المجلدين في الأندلس الذين كانوا يعملون في القصر باستمرار ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد، ومنمنمون ورسامون ليزينوا الكتب التي كان ينسخها النساخون بالزخارف البديعة(٢). ولعل أبلغ ما يصور الرقي الذي وصلت إليه هذه الصناعة (صناعة التسفير) في المغرب والأندلس هو ما عمله الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨هـ / ١١٢٩ - ١١٨٩م) في تحلية المصحف العثماني، وكان قد وصله هدية من أهل قرطبة، فاحتفل لقبوله بمراكش احتفالاً عظيما، وصنع له أغشية محلاة بالسندس الأخضر والذهب والفضة، ومرصعة بالياقوت الأحمر والأصفر والأخضر، وأنواع الحجارة الكريمة، (٣) وقد قال الوزير الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٦م) في رسالته الطويلة التي وصف فيها هذا العمل ما يلي: "... وتأنقوا في استعمال أحفظته، وبالغوا في استجادة أصونته، فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتقنين، ممن كان بحضرتهم العلية، أو سائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة، إلا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه...)(٤).

وقد صنف بعض الأندلسيين كتباً في الموضوع(٥) (صناعة التفسير) تدل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس، وبخاصة في عهد الموحدين. ومن ذلك "كتاب التيسير في صناعة التسفير "لبكر بن إبراهيم الإشبيلي" المتوفى سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م). ويتناول هذا الكتاب بالتفصيل صناعة تسفير الكتب والمصاحف، فيتحدث عن أسماء

---

(١) كريم عجيل، الحياة العلمية، ص ٢٧٤.

(٢) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص ٨٦ - ٨٧، كريم عجيل، الحياة العلمية، ص ٢٧٤.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٤٩ - ٣٥٠؛ الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ٢.

(٤) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ٢؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٦١١ - ٦١٢؛ أبو رميلة، علاقة الموحدين، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٥) مثل كتاب نبيل الرعيني، وكتاب التدبير في صناعة التسفير الذي ذكره الإشبيلي دون الإشارة إلى اسم مؤلفه. انظر: الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ٧، ٤٠.

الأدوات المستعملة في هذه الصناعة(١)، وعن الأغرية والأصباغ وكيفية تحضيرها(٢)، وعن كيفية تخريم الكتب والمصاحف، وتقفيتها، وتسويتها، وحبكها، وتبطينها، ويفصل الكلام في كيفية تركيب الجلد(٣) وزركشته وزخرفته(٤)، وفي عمل أقربة المصاحف(٥)، ويتكلم عن كيفية إصلاح الأسفار البالية(٦)، وطرد الأرضة عن الكتب بتبخيرها بأعضاء الهدهد وريشه(٧).

ومن أشهر مراكز المصنوعات الجلدية في الأندلس، مدينة وشقة(٨)(Huesca) وسرقسطة(٩)، ولبلة(١٠)، وجيان(١١) (Jaen)، وبجانة(١٢)، وغرناطة (١٣)، وبسطة (١٤) (Baza)، وأندرش(١٥) (Andarax)،

---

(١) من الأدوات المستعملة في صناعة تسفير الكتب نذكر ما يلي: المقراض، المقدة. الملزم، حجر المسن، الإبرة، الإشفى (لخرز الأقربة)، المدلك (لدلك البطاين)، السكين للتسوية، الحديد للنقش كالمصقلة والمشطب، والمجواب (لقطع الذهب) وصحيفة ينقش عليها، التخت، المسطرة، الضابط، وحجر البركان الذي يضرب به في التسوية. انظر: الاشبيلي، كتاب التيسير، ص ١٠-١٢.

(٢) يتخذ الغراء من النشا، والدرمك، والدقيق الأحمر. الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ١٢ - ١٣، ٢٨ - ٢٩.

(٣) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ١٤ - ٢٧.

(٤) كانت الكتب تزركش وتزخرف بالأشكال الهندسية، وذلك باستخدام خاتم مربع أو مسدس أو مثمن أو دائرة. المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥ - ٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٦٥.

(٩) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ٤٢، ١١٤-١١٥.

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص ١٣٥.

(١١) ابن بسام، الذخيرة، ق١، ج١، ص ٨٠٥.

(١٢) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص ١٨؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٠.

(١٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص ١٤٣؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤٤؛ عز الدين موسى، النشاط، ص ٢٣١.

(١٤) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٧٩.

(١٥) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص ١٣٠.

وشريش(١)(Jerezdela) , وإشبيلية(٢)، وبلنسية(٣) (Valencia) وقرطبة، ومالقة. وهذه الأخيرة اختصت بعمل المصنوعات الجلدية، كالأغشية والحزم والمدورات(٤) ولذا وصفها ابن الخطيب بقوله: إنها "معدن صنائع الجلد المنتخب"(٥) وهذا يدل على براعة أهلها وإتقانهم لهذه الصناعة.

وفي قرطبة ازدهرت صناعة الجلود ودباغتها، وتميزت بصناعة الأحذية خاصة، ومنها انتقلت هذه الصناعة الى فرنسا وإنجلترا، إذ أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلود اسم الجلد القرطبي (Cordavan) (6) , وأطلق الفرنسيون على صانع الأحذية اسم "Cordonnier" أي قرطبي(٧). وفي ذلك دلالة واضحة على أثر الحضارة الأندلسية في الحضارات المجاورة، وإشارة جلية إلى جودة المصنوعات الجلدية الأندلسية وتميزها

(٣) النجارة وأعمال الخشب:

حظيت صناعة النجارة وأعمال الخشب بمكانة مهمة في المجتمع الأندلسي. وقد ساعد على ذلك وفرة الأخشاب في مناطق الأندلس المختلفة، ووجود الأيدي العاملة الماهرة، وازدهار الحركة العمرانية وبخاصة عمارة المساجد والقصور وما كانت تتطلبه من منابر ومقصورات خشبية، وسقوف وشبابيك وأبواب وأثاث.

وقد كانت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية في الأندلس - ابتداءً من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على الأقل - على درجة كبيرة من الإتقان والرقي(٨). ونستدل على ذلك من خلال بعض الشواهد التاريخية التي وصلتنا، فالخليفة عبد الرحمن الناصر مثلاً أمر بصناعة منبر لمسجد مدينة الزهراء (Alzahra) , "فصنع

---

(١) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة ص ٧٠ - ٧١

(٢) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ١٢؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٠.

(٣) الأزدي، بدائع البدائه، ص ٣١٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٢. رواية: (ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار).

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٥٩؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٦) عاشور، المدنية الإسلامية، ص ١٨٣؛ عنان، نهاية الأندلس، ٤٤٧؛ بروفنسال، حضارة العرب، ص ١٢٨؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٨٨.

Imamuddin, the Economic History Of spain p. ١٩٣

(٧) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٨٨؛ بروفنسال، حضارة العرب، ص ١٢٨.

(٨) كولان، الأندلس، ص ١٧٧.

في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه"(١). كما أمر الخليفة الحكم المستنصر بصناعة منبر للمسجد الجامع في قرطبة، فصنع من أكارم الخشب.(٢) وقد وصفه المؤرخون وصفاً رائعاً، يدل على دقة الصنعة وإتقان في العمل، وقد اتخذ من خشب الأبنوس والبقس وعود المجمر(٣)، وذكر ابن غالب (أهل ق ٦ هـ/ ١٠م) أنه مؤلف من خشب الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس والعود الرطب والمرجان، وأوصاله وحشواته من الفضة المثبتة المنيلة، "ارتفاعه تسع درجات سعته أربعة أشبار ونصف شبر، والذراعان الممتدان على جانبيه من أعلى الأدراج إلى أسفلها من أبنوس، طول كل ذراع منهما ثمانية عشر شبراً"(٤)، وقد صنع هذا المنبر من أكارم خشب الأبنوس والصندل والنبع والبقم والشوحط، وهو مركب من ست وثلاثين ألف قطعة منفصلة، سمرت بمسامير الذهب والفضة، ورصعت بنفيس الأحجار الكريمة.(٥) أما مقصورة الجامع فقد أقيمت حول المحراب في زيادة الحكم المستنصر، وكان لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش(٦)، وكان بابها الرئيسي من الذهب المضروب وعضادتاه من عود الأبنوس(٧).

وحظيت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية بشهرة كبيرة في عهد الموحدين. فيذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتيبة بمراكش "منبراً عظيماً كان قد صنع بالأندلس في غاية الإتقان، قطعاته عود وصندل أحمر وأصفر، وصفائحه من الذهب والفضة"(٨) وعمل للجامع مقصورة من الخشب تتألف من ستة أضلاع، وتسع أكثر

---

(١) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٦٦.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥١.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٧؛ انظر: كذلك: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٢١.

(٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٤٦.

(٥) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥١ - ٥٥٢. لمزيد من التفاصيل عن وصف منبر المسجد الجامع في قرطبة، انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٢١ - ٢٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٥؛ الغساني، رحلة الوزير، ص ٢١ - ٢٢؛ الإدريسي، الدرر السنية ص ١١٧.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥١، رواية: (ابن بشكوال).

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٧؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٦.

(٨) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٤؛ يذكر البعض أن هذا المنبر صنعه الأمير المرابطي علي بن يوسف ابن تاشفين، ويستدل على ذلك من نقش كتابي في نهاية العبارة التالية: "اللهم أعن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ومن بعده ولي عهده" مما يحدد تاريخاً بين سنتي ١١٣٩، ١١٤٢م. (٥٣٤، ٥٣٨هـ)، وقد ورد على التحديد ذكر السنة التي تم الفراغ فيها من عمل المنبر في النقش الأساسي به، لكنه طمس كما طمس اسم الأمير بأيدي الموحدين، وجاء في هذا النقش الأساسي أن المنبر قد صنع في قرطبة لهذا الجامع العظيم أو جامع مراكش الذي شيده الأمير علي ملاصقاً لقصره. انظر: مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٠، كولان، الأندلس، ص ١٧٨.

من ألف رجل. وكان المهندس الأندلسي الحاج يعيش المالقي قد تولى صنعها، وركبها على حركات هندسية، بحيث تتحرك تلقائيا، متى دخل الخليفة الجامع، فتخرج أضلاعها بطريقة آلية، لا يسمع لها حس ولا يرى تدبيرها، ويخرج من داخلها المنبر الذي جعل فيها مستوراً. وكان باب المنبر يفتح من تلقائه متى صعد إليه الخطيب(١). وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنبر قد صنع في مدينة قرطبة، ونستدل على ذلك من نقش كتابي، نقرأ فيه. أنه صنع "بمدينة قرطبة حرسها الله"(٢). وفي ذلك دلالة واضحة على تميز قرطبة وتفردها بهذه الصناعة، التي اشتهرت بها منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(٣)

كما عمل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م)، منبراً للمسجد الجامع الذي أقامه في مدينة إشبيلية، فبلغ الغاية في الجودة والإتقان. وصنع هذا المنبر من أكرم الخشب، وكان منقوشاً مرقشاً محكماً بأنواع الصنعة والحكمة، ورصع بالصندل، وكان مجزعاً بالعاج والأبنوس، يتلألأ كالجمر، وعليه صفائح من الذهب والفضة، وهناك أشكال من الذهب الإبريز، يتألق نوراً، وأضيفت إليه مقصورة من أحسن الخشب(٤).

وتقدم مسلمو الأندلس تقدماً كبيراً في مجال النجارة وأعمال الخشب، فبرع النجارون في صناعة أثاث البيت والأدوات المنزلية المتنوعة، وغير ذلك من الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان،والتي تعد من ضروريات العمران البشري (٥).

فكان النجارون يصنعون الخزائن والصناديق والأقفال والمفاتيح والسلالم (٦) والكراسي، والطاولات، والمشاجب التي تعلق عليها الثياب، والمسامير الخشبية التي كان يطلق عليها اسم الدُسُر (جمع دسار).(٧) وكانوا يصنعون الأسرة من خشب الخيزران وقد أنتجوا أنواعاً راقية للخلفاء خاصة كانت تعرف باسم " أسرّة الخلافة" (٨) وكان

---

(١) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٥.

(٢) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص ١٤٧؛ انظر: مورينو الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٠.

(٣) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٤٦ - ١٤٨؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص ٤١٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٨٧ - ٣٨٨؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص ٤١٥.

(٥) ابن خلدون، المقدمة،ج٣، ص ٩٣٧ - ٩٣٨.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٦، ٥٩.

(٧) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٧١.

Imamuddin, The Economic History of Spain, p 190

(٨) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص ١٥٩.

النجارون يصنعون الأكواب وأطراف المقابض،(١) وبعض أدوات المطبخ، كالمغارف والملاعق، والمهارس والألواح التي تمد عليها أطعمة الخبز، وكانت هذه الادوات تتخذ من خشب "البلوط أو البطم أو الدردار أو البقس أو العناب".(٢) وكانوا يصنعون بعض الأدوات الزراعية كالمذرى والمحراث الخشبي،(٣) وبعض أدوات الغزل والنسيج، كالنول والمنسح والمندف والمغزل والمكمدة أو (المقصرة)؛وهي الخشبة التي يستخدمها القصار.(٤) وبرع النجارون في صناعةقوالب الآجر والقراميد(٥) والشبابيك والسقوف والأبواب الخشبية، وأمثال ذلك من المصنوعات التي تدخل في صلب البناء وتكون جزءاً منه،(٦) ومما يذكر أنه كان يعمل في بناء مدينة الزهراء - في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - مائتا نجار تولوا صناعة ما احتاجته المصانع والمجالس والقصور والمساجد من أثاث وسقوف وابواب وشبابيك خشبية.(٧) وذكر الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) أن سقف وأثاث وابواب المسجد الجامع في قرطبة قد اتخذت جميعها من خشب الصنوبر الطرطوشي.(٨) وكانت أبواب المجالس والقصور تتخذ من خشب السرول،(٩) وتزخرف بالخشب المنقوش والمرصع.(١٠) وكانت قطع الخشب تسمر بالمسامير أو تدخل نهاياتها ببعضها بطريقة فنية(١١) تدل على دقة الصنعة، وتمكن النجار الأندلسي من حرفته.

---

(١) ابن عبدون، في القضاءوالحسبة، ص ٣٦؛ ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٨٩٧ -٨٩٨.

(٢) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ ، ص ٨٤ -٨٥.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل ج٢، ٣٦٢، ٣٦٣؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ٩٢ - ٩٤.

(٤) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٢٠، ١٨٣، ٢٥٤، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٤.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤ - ٣٥.

(٦) انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٣ - ١٥٨؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ٥٤٥ - ٥٥٢؛
Imamuddin, The Economic History of Spain, P 190 - 191

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠٠ - ٣٠١. رواية: (ابن حيان)؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٦٤. رواية: (ابن الفرضي).

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٥.

(٩) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ٣٦.

(١٠) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠١.

(١١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة ، ص ٥٩.

ومن بين المصنوعات الخشبية المتميزة، التي تدل على تطور هذه الصناعة وتقدمها في الأندلس، وبخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ما صنعه الموحدون للمصحف العثماني، ذلك أنهم أتخذوا له محملاً وكرسياً من الخشب "غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة.. مغشئ كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، في قطع من الأبنوس والخشب الرفيع، وصنعوا لذلك الكرسي تابوتاً مكعب الشكل، له باب بدفتين يفتحان بمفتاح، ومتى ما فتح خرج الكرسي من تلقائه برجوع الدفتين الى موضعهما، وقد رتبت هذه الحركات على حركة المفتاح، فإذا ما أدير عكس الجهة التي أدير إليها أولاً، انفتح الباب وأخذ الكرسي والمحمل في الدخول، فإذا عاد كل إلى مكانه ينغلق الباب تلقائيا"(١).

واستخدم الخشب في صناعة لعب الأطفال، كالزرافات والكمادين وما يشبهها(٢). وفي صناعة توابيت القبور (٣)، وخلايا النحل (٤)، وغرابيل الحنطة المتخذة من خشب الحلفاء (٥)، وفي صناعة القبقاب (نوع من الأحذية) (٦)، وأواني الخشب المخروطة (٧). وهذه الأخيرة يعرف صانعها بالخراط وحرفته الخراطة، ومن المفيد أن نذكر أن حوانيت الخراطين كانت منتشرة في أسواق قرطبة (٨) في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وفي حصن قيشاطة (٩) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

وقامت في بعض المدن الأندلسية صناعات خشبية متخصصة، فاشتهرت مرسية (Murcia) بصناعة الأسرّة المرصعة(١٠) وطرطوشة (Tortosa) بالآلات والظروف(١١)، وبطللس بلس -قرب لورقة- بأعمال النجارة(١٢)، وغرناطة بمرواح الحلفا، وشريش بغرابيلها(١٣)، ومالقة (Malaga) بأطباق الخوص(١٤)، وقليبرة أو قلبيرة بالأقلام

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٦١٣-٦١٤. رواية: (ابن طفيل)؛ عزالدين موسى،النشاط الاقتصادي، ص٢٣٥.

(٢) ابن رشيد، فتاوى، ج ٢، ص ٩٤٠؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٤.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٨.

(٤) الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص ٦٧ - ٦٨.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ١٦٧.

(٧) المراكشي، الذيل والتكملة، س ٥، ق ١، ص ٣٢١.

(٨) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ١٤٢.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٩.

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(١١) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

(١٢) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج٢، ص ٢٨٠-٢٨١.

(١٣) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(١٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢. رواية: (ابن السديد).

الخشبية(١)، وحصن قيشاطة بصناعة أواني الخشب المخروطة، كالقصاع والمخابي والأطباق، وكان ينتج منها ما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب(٢).

واشتهر الأندلسيون وبخاصة أهل إشبيلية بصناعة بعض الآلات الموسيقية من الخشب، فصنعوا أصنافاً متنوعة منها، كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامي والشقرة والنورة (وهما مزماران أحدهما غليظ الصوت والاخر رقيقه) والبوق والدف وأقوال والبيرا وأبو قرون ودبدبة السوادن وحماقي البربر(٣)، إضافة للمزهر والطنبور والقرطبة(٤). وكانت هذه الآلات أكثر ما تصنع في إشبيلية، ومنها تجلب إلى بلاد المغرب(٥). ومما يدل على شهرة إشبيلية بهذه الصناعة أنها تميزت من بين بلدان الأندلس بإقبال أهلها على الطرب، وفي ذلك يقول ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م) - مقارناً بين قرطبة وإشبيلية - : "إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى إشبيلية"(٦).

ومما يصور براعة أهل الأندلس في صناعة الآلات الموسيقية، أن أبا عامر محمد ابن الحمارة الغرناطي اشتهر عنه أنه كان يعمد للشعراء، فيقطع العود بيده، ويصنع منه عوداً للغناء، وينظم الشعر ويلحنه، ويغني به(٧).

---

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ١٩٣؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٣، ص٣٧٠.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ٢، خ، ص ٣٦.

(٣) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٢؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢١٣.

(٤) الكتاني، كتاب التشبيهات ص ١٠٦ - ١١١

(٥) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ٢١٣.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٧١؛ إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين، ص ١٧.

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٢٠، المقري، نفح الطيب، ج ٤، ص ١٤٠؛ وعن أخبار الغناء والمغنين في الأندلس انظر: مقال الدكتور إحسان عباس السابق الذكر.

الفصل الثاني

صناعة السفن والصناعات المعدنية

١ - السفن والأساطيل الحربية

كان الامير عبد الرحمن الداخل - مؤسس الدولة الأموية في الأندلس - أول من اتخذ قوة بحرية لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطر العباسيين، وأهل جزر البليار (منورقة، ميورقة، يابسة)، والفرنجة، ولذا أمر بإنشاء دور الصناعة(١) في مراسي طركونة (Tarragone)، وطرطوشة (Tortosa)، وقرطاجنة (Cartagena)، والمرية (Almeria)، وإشبيلية، لبناء المراكب والسفن الحربية، من أجل تدعيم البحرية الأندلسية(٢). وبالتدريج نمت هذه الصناعة وتطورت في الأندلس، بفضل وفرة المواد الأولية اللازمة لها كالخشب والحديد والنحاس والألياف النباتية والزفت والقطران والكبريت والكتان في مناطق الأندلس المختلفة(٣) وبفضل اعتناء الأمراء الأمويين بها، وبخاصة الأمير الحكم بن هشام الربضي (٤) (١٨٠ - ٢٠٦هـ/٧٩٦- ٨٢١م) وخلفه الامير عبد الرحمن الثاني الأوسط الذي أولى هده الصناعة أهمية خاصة نتيجة للغارة التي شنها النورمان(٥) على شواطيء الأندلس الغربية سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م)(٦) إذ نبهت هذه الغارة الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ضرورة الاهتمام بالقوة البحرية عن طريق إنشاء دور الصناعة لتزويد البلاد بأعداد وفيرة من السفن اللازمة لمواجهة الغارات البحرية المقبلة "فأمر باقامة دار صناعة بإشبيلية، وانشأ المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط"(٧).

---

(١) سمى العرب المعامل التي كانت تبنى فيها المراكب البحرية بدور الصناعة، وربما قالوا الصنعة، ومشى كتابهم علىهذا الإصطلاح، فترى مؤرخينا يقولون: كانت الصنعة في صور ، أسس فلان دار الصنعة في تونس، أو كانت صنعة الأندلس بالمرية وما أشبه ذلك، انظر شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣٩.

(٢) شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١١٨ -١١٩، ١٣٩.

(٣) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ٥٧ -٥٩.

(٤) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٦٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٥.

(٥) النورمان: ويطلق عليهم في المصادر الإسلامية اسم المجوس الأردمانيين، لأنهم كانوا يشعلون النيران في كل موضع يمرون به، فحسبهم المسلمون مجوساً لهذا السبب، والنورمان جنس آري قديم سكن شبه جزيرة اسكنديناوة وجوتلند ومايجاورها منذ أزمان مغرقه في القدم، وقد تعرضت سواحل الأندلس الغربية لهجمات النورمان ابتداءاً من سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٤م. انظر: العبادي تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٥٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٣١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٢٩ - ١٣٠، ١٦٣.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٨؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٦٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٥.

ومما يدل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس أن الأمير عبد الرحمن الأوسط جهز أسطولاً من ثلاثمائه مركب فتح به جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م)،(١) وأنشأ داراً لصناعة الأسلحة اللازمة للسفن في مدينة قرمونة(٢) (Carmona). كما واصل الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢ - ٨٨٦م) الاهتمام ببناء السفن الحربية، إذ أنشأ عدداً منها في دار الصناعة بقرطبة، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري قائلاً: "وفي سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) "أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط الرعيطي المعروف بابن مغيث، وكان قد رفع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهله لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء قدم عبد الحميد بن مغيث عليها، فلما دخل البحر" تعرضت سفنه لعاصفة عاتية وتفرقت ولم يجتمع بعضها إلى بعض.(٣) وفي رواية أخرى أن الأمير محمد أنشأ في البحر سبعمائه غراب (٤)؛ وهي من المراكب الحربية، سميت بهذا الاسم لأن مقدمة هيكلها على شكل رأس الغراب(٥).

وبلغت صناعة السفن الحربية والتجارية(٦) شأواً عظيماً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ اهتم الخلفاء الأمويون بإنشاء السفن والأساطيل لتدعيم البحرية الأندلسية من أجل مجابهة الأخطار الخارجية، المتمثلة بالخطر الفاطمي الماثل في جنوب الأندلس، وخطر الممالك المسيحية وافرنجة وقطلونية في شمالها، وخطر النورمان في غربها(٧) ولذلك أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بإنشاء دور لصناعة السفن في كل من: طركونة(٨) وطرطوشة التي اشتهرت بصناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر النابت بجبالها، ومنه كانت تتخذ الصواري والقرى.(٩) ودانية (Denia)، وفيها كانت تصنع السفن الكبار والمراكب الصغار(١٠) ولقنت (Alicante) وكانت تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق،(١١) وبجانة(١٢) (Pechina) والمنكب (Almundcar)(13) ومالقة(١٤) (Malage) والجزيرةالخضراء(١٥)

---

(١) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٤٤؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.
(٢) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٦١؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٦.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٤؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٠٩.
(٤) ابن الكردبوس، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، ص ٥٧.
(٥) النخيلي، السفن الإسلامية، ص ١٠٤.
(٦) محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٦٩.
(٧) تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١؛ حتاملـه، ملامح حضارية، ص ١٩٥.
(٨) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٦؛ محمد عبد الحليم، العلاقات بين الاندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٦٩؛ حتامله، ملامح حضارية، ص ١٩٥.
(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥٥؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٤٩.
(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥٧، ٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص ٣٢.
(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص ٣٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.
(١٢) إحسان عباس، اتحاد البحرين، ص ٣ - ٨.
(١٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١١. رواية: (مسالك الأبصار).(١٤) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.
(١٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣.

(Algeciras) وقرطبة(١) (Cordoba)، والزهراء(٢) (Alzahra)، والقصر(٣) (Alcazar)، وشلطيش(٤) (Saltis) وشنتمرية الغرب(٥) وشلب(٦)، وقصر أبي دانس(٧)، وميورقة ويابسة من جزر البليار(٨).

وبهذا استطاع الخليفة عبد الرحمن الناصر أن ينشىء أسطولاً قويا لمواجهة الأخطار الخارجية، وقد بلغ أسطول الأندلس في أيامه مائتي مركب أو نحوها.(٩) وكان لهذا الأسطول الفضل الأكبر في الاستيلاء على طنجة ومليلة سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٧م). وعلى سبتة سنة (٣١٨هـ / ٩٣١م)(١٠). ووجه عبد الرحمن الناصر الأسطول الأندلسي سنة (٣١٩هـ/ ٩٣٢م) لغزو العدوة المغربية، وكان يتألف من مائة وعشرين قطعة بحرية، كان من بينها المراكب الحمالة والفتاشة وقوارب الخدمة(١١). وفي سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) أرسل الأسطول لغزو بلاد الفرنجة، "وكانت عدة مراكبه أربعين مركباً، عشرين حراقات، فيها النفط والآلات البحرية، وعشرين فيها الرجال المقاتلة، وكان عدة ركابه من الجنود ألف رجل، ومن البحريين ألفين."(١٢) وفي سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) أغزا الأسطول إلى العدوة المغربية لنصرة موسى بن أبي العافية في أربعين قطعة بحرية، تحمل من المقاتلة ثلاثة الآف رجل فيهم من الحشم خمسمائة، وتمكن الأسطول من فتح مدينة مليلةونكور وجراوة(١٣). وفي سنة(٣٣١هـ/٩٤٢م)أرسل الخليفة الناصر حملة بحرية إلى بلاد الفرنجة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٤٢٥.

(٢) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٧٥؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٥؛ هياجنة، الوضع الزراعي، ص ٢١٢.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٤٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦١.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٤؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٥.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٧٦.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤٢.

(٧) العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية، ج٢، ص ١٧٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٦.

(٩) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص ٧٩٩.

(١٠) تاريخ البحرية الاسلامية، ج٢، ص ١٧٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧ - ٣٨.

(١١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(١٢) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣٦٦.

(١٣) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣٨٢؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٨.

بقيادة محمد بن رماحس، وكان الأسطول الأندلسي يتألف من "ثلاثين مركباً حربية وستة شواني".(١) وفي سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) أرسل الأسطول بقيادة محمد ابن رماحس لغزو بني محمد في المغرب. وكان هذا الأسطول يتألف من خمسة عشر مركباً حربية وشينيين وفتاش.(٢).

وفي سبيل خدمة الأسطول وجه الخليفة عبد الرحمن الناصر اهتماماً خاصاً للمرية، فبنى حولها سوراً سنة (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م)، وأنشأ فيها داراً لصناعة السفن، جعلها قسمين، قسماً للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسماً للقيسارية أو (للمراكب التجارية)(٣). وأصبحت المرية أهم موانيء الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأشهر مراسيها وأعمرها، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الأسطول الأندلسي(٤)، حيث كانت "مرسى الأندلس ومجتمع مراكبها" وأساطيلها ودار صناعتها(٥)، وكانت دار الصناعة في المرية تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة لها، ولما يقوم به الأسطول(٦). وقد أشار ياقوت الحموي إلى أهمية المرية كميناء تجاري فقال: "وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب"(٧).

وعمل الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) منذ توليه الخلافة على تدعيم البحرية الأندلسية لمواجهة الغزو النورماني المتكرر على سواحل الأندلس، ففي سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) حاصر المجوس حصن القبطة من حصون المرية، فمني النورمان بالهزيمة، وعلى أثر ذلك أصدر الحكم المستنصر أوامره بإنشاء الأسطول لغزوهم، وبلغ عدد مراكبه "ستمائة جفن بين غزوي وغيره"(٨). وفي أول رجب سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م) وردت الأخبار بظهور أسطول النورمان في مياه قصر أبي دانس، واضطراب الساحل الغربي للأندلس كله لذلك. وتأهب المسلمون لتلقي الغزاة، عندما وصل هؤلاء إلى بسيط أشبونة، ودارت بين الطرفين معركة استشهد فيها جماعة من المسلمين، وقتل

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨١.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٢؛ إحسان عباس، اتحاد البحريين، ص ١٠.

(٣) إحسان عباس، اتحاد البحريين، ص ١٠.

(٤) العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٩؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.

(٥) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ١٦٥؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص ٧٤.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.

(٧) ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١١٩.

(٨) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٤١ - ٤٢.

جماعة من المشركين، واشترك أسطول إشبيلية في المعركة فهاجم النورمان بوادي شلب وحطم عدداً من سفنهم فانهزموا إثر ذلك خاسرين.(١) ويبدو أن سفن النورمان كانت تمتاز بمزايا خاصة - كالسرعة في الحركة - مما دعا الحكم المستنصر إلى إصدار الأمر بانشاء أسطول في إشبيلية على هيئة مراكب النورمان، إذ كان يتوقع رجوعهم من جديد لسواحل الغرب، وقد حدث ما توقعه الخليفة، اذ هاجم النورمان سواحل الأندلس الغربية سنة (٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، وسنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م)(٢).

واهتم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر في خلافة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩هـ/ ٩٧٦ - ١٠٠٨م) ببناء السفن والمراكب الحربية، ومما يذكر أن المنصور بن أبي عامر أنشأ أسطولاً كبيراً في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وخرج به في صائفة سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) لغزو شنت ياقب (Santiago de Compostela) من مملكة جليقية(٣). وقد قال ابن دراج القسطلي في وصف الأسطول الذي أنشأه ابن أبي عامر(٤):

تحمل منه البحر بحراً من القنا يروع بها أمواجه ويهول
بكل مملات الشراع كأنها وقد حملت أُسد الحقائق غيلُ
إذ سابقت شأو الرياح تخيلت خيولاً مدى فرسانهن خُيولُ
سحائب تزجيها الرياح فإن وفت أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام ما لهن مفاحص وزرق حمام ما لهن هديل

ويلاحظ مما سبق ذكره ازدهار صناعة السفن والأساطيل الحربية في الأندلس، وبخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ حظيت هذه الصناعة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، الأمر الذي أدى إلى تنوع قطع الأسطول الأندلسي وتعددها، فتنوعت في الحجم والنوع والوظيفة. وأدى ذلك إلى تطور القوة البحرية الأندلسية، فوصلت إلى أوج عظمتها وازدهارها، وحققت الانتصار تلو الانتصار على المعتدين. وفي ذلك دلالة واضحة على إتقان الأندلسيين لهذه الصناعة، وإشارة جليلة إلى مدى التقدم والرقي الذي وصلت إليه.

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٣٥٦؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٨١ - ١٨٢، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣.

(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ١٨٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٩٥؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٨٨.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج ٤، ص٨٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ٤٨.

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فقد اقتسم ملوك الطوائف الأسطول الأندلسي المرابط في مراسي بلنسية (Valencia)، ودانية، ومرسية (Murcia) والمرية، وإشبيلية فيما بينهم(١). واهتم بنو عباد (٤١٤ - ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣ -١٠٩١م) خاصة بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسي، فكان لهم أسطول تتوزع قطعه البحرية عند مصب نهر الوادي الكبير (Rio Guadal Quivir) وفي مياه شلب، ويبدو أن داري صناعة إشبيلية وشلب كانتا تنتجان أعداداً كبيرة من السفن في عصر بني عباد، ومما يؤكد ذلك أن الخشب بجبال شلب كان يحمل منها إلى سائر أنحاء إشبيلية لصناعة السفن.(٢)

واحتلت المرية مكانة مهمة في عصر ملوك الطوائف، نظراً لكثرة سفنها ونشاط دار صناعتها في الإنتاج، وخاصة في عهد المعتصم بن صمادح (٤٤٤ - ٤٨٠هـ / ١٠٥٢ - ١٠٨٧م)، الذي حرص على إنشاء أسطول قوي يرابط في المرية لمواجهة المعتدين. وكان هذا الأسطول يتألف من عدد كبير من الجواري والفلك والأجفان(٣). غير أن هذا الأسطول لم يلبث أن أحرقت معظم قطعه على يدي معز الدولة ابن المعتصم عندما تغلب المرابطون على المعتمد بن عباد(٤).

ونشطت حركة بناء السفن الحربية والتجارية في عصر المرابطين الذين استفادوا من الخبرات السابقة في الصناعات البحرية والإنشاء،(٥) واستثمروا دور الصناعة التي كانت قائمة في مراسي المدن الأندلسية، مثل طرطوشة وبلنسية، ودانية، ولقنت، والمرية، ومالقة، وقادس، وشلب وقصر أبي دانس(٦). واشتهرت المرية بصناعة الأجفان (نوع من السفن الحربية)التي لم يكن في بلاد الأندلس أعظم منها، وقد بلغت المائة(٧).

ومما يدل على تقدم المرابطين وبراعتهم في صناعة السفن الحربية، أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧هـ / ١١٠٦ - ١١٤٢م) أصدر أمره سنة

---

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٨.

(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٨ - ٤٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٩٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٩.

(٥) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٥٠؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٢.

(٦) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٢.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص ١٠١.

(٥٠٨هـ/ ١١١٤م) بتعمير ثلاثمائة قطعة، فامتثل أمره واندفعت هذه القطع جميعها من هناك إلى جزيرتي يابسة (Ibiza) وميورقة (Mallorca) , لصد الهجوم الذي شنه أهل بيزة وجنوة عليها.(١)

واستفاد الموحدون من دور الإنشاء الأندلسية التي ورثوها عن المرابطين، فاهتموا ببناء السفن والأساطيل الحربية(٢). ومما يذكر أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي* أمر في سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) بأنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده، وعزم على غزو بلاد الروم في البر والبحر، فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها في حلق المعمورة (المهدية) ومرساها مئة وعشرون قطعة، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة.(٣)

وكانت قطع الأسطول الأندلسي في عصر الموحدين ترابط في مراسي المرية، ومالقة، وجبل الفتح، وإشبيلية(٤). وبفضل هذا الأسطول تمكن الملك الناصر محمد بن يعقوب المنصور (٥٩٥ - ٦١٠هـ / ١١٩٨ - ١٢١٣م) من غزو جزيرة ميورقة، والقضاء على قوات عبد الله بن إسحق بن غانية سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م). ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول كان يتألف من "ثلاثمائة جفن: منها سبعون غراباً، وثلاثون طريدة، وخمسون مركباً كباراً، وسائرها قوارب منوعة".(٥)

وفي عهد الدولة المرينية، كانت السفن والأجفان الحربية تصنع في دور الإنشاء الأندلسية المعدة لهذا الغرض في كل من: الجزيرة الخضراء، وطريف(٦) (Tarifa) , والمنكب(٧).

---

(١) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٣.

* هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي، نسبة إلى قبيلة كومة، وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان. وقد ولد بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، وذلك في آخر سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وتولى أمر الموحدين في المغرب والأندلس خلال الفترة الواقعة بين ٥٢٤ - ٥٥٨هـ/ ١١٢٩ - ١١٦٢م). المراكشي، المعجب، ص ١٩٤، ١٩٦ - ١٩٨.

(٣) ذكر ابن صاحب الصلاة أن عبد المؤمن بن علي أمر بإنشاء مائتي قطعة بحرية في سواحل العدوة والأندلس، فأعد منها في مرسى المعمورة (١٢٠ قطعة)، وأعد باقي العدد في أرياف العدوة والأندلس. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ١٤٧؛ انظر،ابن ابي زرع،الأنيس المطرب ص ٢٠١.

(٤) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٥١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٦) طريف: جزيرة طريف، نسبة لطريف بن عبد الله مولى موسى بن نصير، ويكنى أبازرعة من البرابر، وهو أول من جاز إلى الأندلس من المسلمين فنزل بها، فسميت به. انظر:ابن هشام اللخمي،المدخل، ج٢، ص٢٥٩.

(٧) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٣٥٧ - ٣٥٨؛

أما في عهد الدولة النصرية (دولة بني الأحمر ملوك غرناطة)، فكانت المراكب التجارية والسفن الحربية تصنع في المرية، والمنكب، ومالقة(١). وقد قدم لنا ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وصفاً دقيقاً لأسطول مملكة غرناطة المرابط في ساحل الأندلس الجنوبي، فذكر أن "بالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفرق في البحر الشامي، يركبها الأنجاد من الرماة والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون في الغالب، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل وما هو بقربه، فيأسرون أهلها ذكورهم وإناثهم، ويأتون بهم إلى بلاد المسلمين، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدي ويبيع"(٢).

هذا واستمرت الأندلس في إنتاج السفن والأساطيل الحربية حتى سقوط غرناطة، آخر معقل إسلامي في أيدي النصارى الإسبان سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)(٣).

٢ - الذهب والفضة

الذهب والفضة من أهم المعادن التي استغلت في إسبانيا على نطاق واسع منذ العصور القديمة. وكانت المصنوعات الذهبية والفضية معروفة ومستخدمة فيها قبيل الفتح الإسلامي(٤) إذ عثر المسلمون بعد الفتح على كميات وفيرة من منتجات الصاغة في المدن المفتوحة(٥)، فقد وجدوا في مدينة طليطلة (Toledo) مثلاً مائة وسبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدر، وأصناف الحجارة النفيسة، كما وجدوا من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة الشيء الكثير(٦). وكانت غنائم المسلمين من الذهب والفضة كثيرة(٧). الأمر الذي يدل على تقدم صناعة الصياغة وازدهارها في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٠، ٢١١، ٢١٢. رواية(مسالك الأبصار)ص ٥٢؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٦٢؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٥٢.

(٤) Imamuddin, The Economic History of Spain, p. ٢٢٠ - ٢٢١

(٥) انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٠ - ١٦١. الرواية: (نقلاً عن اختصار اقتباس الأنوار).

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٥١ - ٥٥٢؛ انظر كذلك: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص٢٩.

(٧) ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٥٦. الرواية: (نقلا عن اختصار اقتباس الأنوار).

ووجد المسلمون في مدينة طليطلة المائدة المعروفة بـ "مائدة سليمان بن داود عليهما السلام". وكانت هذه المائدة مصنوعة من الذهب ومرصعة بالدر والياقوت والزبرجد والزمرد، وأصناف الحجارة الكريمة(١). وكان طارق بن زياد قد عثر عليها وأحضرها إلى مدينة قرطبة، وعندما وقع الخلاف بينه وبين القائد موسى بن نصير أزال إحدى أرجلها لأمر دبره في نفسه(٢)، فلما سأله موسى عنها قال: هكذا وجدتها، فصدقه موسى، وأمر الصاغة بأن يصنعوا لها رجلاً من الذهب(٣). مما يدل على أن المسلمين استعانوا في بداية الفتح بمحترفي هذه الصناعة من أهل البلاد المفتوحة.

وأما بعد الفتح والاستقرار في الأندلس، فقد أحسن المسلمون استغلال ثروات البلاد الطبيعية، فاستفادوا من خبرة سكان البلاد في هذا المجال، واستقدموا الأيدي العاملة من المشرق الإسلامي، واستخرجوا كميات وفيرة من معادن الذهب والفضة من نواحي الأندلس المختلفة، واستخدموها في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الآنية والحلي والتحف الفنية الجميلة حسبما سيأتي تفصيله.

لقد اهتم الصاغة الأندلسيون بصناعة آنية الذهب والفضة، حتى شاع استعمالها بين فئات المجتمع الأندلسي في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكان زرياب* الذي دخل الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أول من نصح الأندلسيين باستخدام الآنية المصنوعة من "الزجاج الرفيع" بدلاً من الآنية الذهبية والفضية.(٤)

---

(١) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٠؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) أراد طارق أن يثبت للخليفة بعد عودته للمشرق أنه صاحب الفضل الأول في فتح الأندلس. فقد ذكر ابن الكردبوس أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة، "استحضر موسى بن نصير وسأله عن المائدة وأين رجلها فقال له هكذا وجدتها حين أخذتها، فأخرج له طارق الرجل من عنده وقال بل أنا أخذتها هي وجميع ما أتى به غير اليسير" ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٩ - ٥٠؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٨ - ١٩.

* زرياب هو رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب، مولى الخليفة المهدي العباسي. وزرياب لقب غلب عليه ببلاده لسواد لونه، مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله، شبه بطائر أسود غرد عندهم، وكان تلميذاً لاسحاق الموصلي - المغني المشهور - ببغداد. وقدم الأندلس مهاجراً إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط وتوفي سنة (٢٣٨هـ / ٨٥٢م). انظر: ابن دحية، المطرب، ص ١٣٧؛ المقري نفح الطيب، ج ٣، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٨. رواية" (ابن حيان)؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص ٢٣.

وكان الصاغة الأندلسيون في عهد الإمارة يتفننون في صياغة الحلي على أشكال متعددة ومتنوعة لتناسب الأذواق المختلفة، فبرعوا في صياغة الأساور والأقراط والخواتم والخلاخيل والدمالج، والتيجان، والسلاسل والعقود(١) والحبلات "وهي حلي تصاغ على هيئة الباقلا" ويطلق عليها في الأندلس اسم السفسيرة"(٢). وكانت جواري الأمراء يتزين بمنتجات الصاغة الثمينة، فيذكر مثلا أن جارية لهشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠هـ/ ٧٨٨ - ٧٩٦م)، كانت تمتلك عقداً قيمته ثلاثة آلاف دينار(٣)، وأن الأمير عبد الرحمن الأوسط قد اهدى لجاريته طروب "حليا قيمتها مائة الف دينار" (٤)، كما أهدى لجارية من محظياته عقد جوهر تقدر قيمته بعشرة آلاف دينار(٥)

وقد بلغت صناعة الصياغة أوج عظمتها وازدهارها في عصر الخلافة الأموية، إذ استخدم الأندلسيون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الأثاث والآنية والتحف والتماثيل الجميلة، ومن أروع الأمثلة التي تشير إلى ذلك، ما زودنا به المؤرخون عن محتويات مسجد قرطبة الجامع، وعن منشآت مدينة الزهراء التي أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر.

أما المسجد الجامع، فقد كانت قباب مقصورته مذهبة، وبابها الرئيسي مصنوعا من ذهب مضروب وأوصاله من فضة، وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجري فيه الذهب على الفسيفساء(٦). وكانت في البيت الواقع شمال المحراب "عدد وطسوت ذهب وفضة وحسك، وكلها لوقيد الشمع"(٧) بينما كان "في الجامع حاصل كبير ملآن من

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣٥٢ - ٣٥٣، ٤٦٠؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٤٢، ٢٨٦، ٣١٠، ٣٢٨؛ مورنيو، الفن الإسلامي ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣؛ الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٧١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ٢٨٣؛ الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٧١.

(٣) Imamuddin, The Economic History of Spain, p. ٢٢١.

(٤) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٤٤.

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١١٦.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٧، ٢٩٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٧.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٥.

آنية الذهب والفضة لأجل وقوده".(١) أما الثريات، فكان منها في المقصورة ثلاثة مصنوعة من الفضة المحضة(٢)، وكما كانت في المسجد الجامع ثريا عظيمة يبلغ قطرها خمسين شبراً ، وتحتوي على ألف كأس وأربعة وثمانين كلها موشاة بالذهب(٣). أما المنبر، فكانت أوصاله وحشواته مصنوعة من الفضة المثبتة المنيلة،(٤) وهو مركب من ستة وثلاثين ألف قطعة منفصلة، سمرت بمسامير الذهب والفضة.(٥) وأما تفافيح صومعة المسجد الجامع فمصنوعة من الذهب والفضة الخالصة(٦)، وقد ذكر صاحب كتاب "مجموع المفترق" أن "أرتفاع الصومعة اليوم - وهي من بنيان عبد الرحمن بن محمد (الناصر) - ثلاثة وسبعون ذراعاً إلى أعلى القبة المفتوحة التي يستدير بها المؤذن، وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة، ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف، فاثنتان من التفافيح ذهب إبريز، وواحدة فضة، وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة، ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج"(٧).

وفيما يتعلق بمنشآت مدينة الزهراء، فقد ابتنى الخليفة الناصر في أحد قصورها مجلساً يقال له (مجلس القبلق) (٨) ويسمى (بقصر الخلافة) (٩). كانت جدرانه مصنوعة من الذهب والرخام والزجاج، وكان له قراميد من الذهب والفضة، وكان له في كل جانب ثمانية أبواب من العاج والأبنوس مرصعة بالذهب وأصناف الجواهر(١٠).

---

(١) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٢١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٦.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨، ٢٩٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥٢، ٥٤٧.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٧.

(٤) ابن غالب، فرحة الانفس، ص ٢٩٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٢٨.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٤٨ - ٥٤٨؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٨.

(٨) الزهري، الجعرافية، ص ٨٧.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(١٠) الزهري، الجعرافية، ص ٨٧؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦، رواية: (ابن الرقيق)؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

كما أنشأ في الزهراء داراً لصناعة الحلي للزينة (١)، رغبة منه في زيادة الإنتاج، لتغطية الطلب المتزايد على المصوغات الذهبية والفضية، وبخاصة بعد توسع أعمال البناء والعمران، وميل الأندلسيين إلى حياة الرخاء والترف (٢). وكان للخليفة الناصر في مدينة الزهراء اثنا عشر ألفاً من الخدم كانوا يتزينون بمناطق الذهب والسيوف المحلاة (٣). مما يدل على مهارة الصناع الأندلسيين واتقانهم لصنعتهم، وعلى الإنتاج المتميز لدار الصناعة في كل من قرطبة والزهراء.

واشتهرت دار الصناعة بقرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل مختلفة الأشكال من الذهب والفضة الخالصة، على هيئة حيوانات وطيور كانت توضع حول البرك والأحواض، تمج المياه من أفواهها، ومما يذكر أن عبد الرحمن الناصر أمر بصناعة اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي في دار الصناعة بقرطبة، لكي تنصب حول الحوض الرخامي الذي جلبه أحمد اليوناني وربيع الأسقف من القسطنطينية. وكان الناصر، قد أمر بوضعه في بيت المنام في المجلس الشرقي - من قصر الزهراء - المعروف (بالمؤنس) (٤)، وذكر بعض المؤرخين أنه "جعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه صورة غزال، إلى جانبه صورة تمساح، وفيما يقابله ثعبان وعقاب، وفي المجنبتين حمامة، وشاهين وطاووس ودجاجة، وديك، والثاني عشر لم يحضرني اسمه الآن، وكل هذا من ذهب مرصع بالجوهر النفيس، ويخرج الماء من أفواهها" (٥).

وذكر ابن بشكوال أن خلفاء بني أمية أجروا إلى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص تؤديها من جبال قرطبة إلى أبنية القصر وساحاته "صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ق ٢، ص ٣١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٧٨. رواية: (ابن خلدون).

(٢) انظر، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٣ - ١٠٤؛ الزهري، الجغرافية، ص ٨٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦، رواية: (ابن الرقيق).

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(٥) المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٢٧١.

والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة" (١). كما أجرى الخليفة الناصر الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربي قرطبة على الحنايا المعقودة إلى بركة عظيمة نصب عليها "أسد عظيم الصورة، بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صور الملوك في غالب الدهر، مطلي بذهب إبريز، وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد. يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد فيمجه في تلك البركة من فيه، فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه، فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها .. ويمد النهر الأعظم بما فضل منه، فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذهب الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها" (٢).

وكان الصاغة الأندلسيون في عصر الخلافة يصنعون من الذهب والفضة أنواعاً متعددة من الأسلحة وأدوات القتال. وكانت هذه الأدوات تزدان بصور الحيوانات والطيور، وتزخرف بالنقوش والكتابات، ولذا كانت تعد من الهدايا الثمينة التي يقدمها الخلفاء لكبار رجالات الدولة. فقد أهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٢ هـ / ٩٣٣م) من غرائب السلاح أربعة بنود (٣) "بند أول فيه صورة عقاب مختلف الألوان، رأسه فضة، مذهب النقش، له عينان حمراوان، في وسط جبهته فص أخضر. وبند ثان فيه صورة أسد مزوق أيضاً، رأسه فضة له عينان سمائيتان، وبند ثالث مطلق كبير أبيض مكتب بتذهيب في جوانبه الثلاث كتاب عريض، وفيها سيفان، وهلالان مذهبان مزوقان، وأربعة قرون للضرب جاموسية مجزعة الأطراف ... ولكل واحدة منها أربع حلق فضة، للعلائق حلية أحدها فضة مذهبة ملوزة بلوز أبيض ... وحلية الثاني فضة بصور، وحلية الثالث فضة منقشة مشمعة، وحلية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة، وستة من الطبول المذهبة الكاملة الآلة"(٤).

---

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٨. رواية: (ابن بشكوال).

(٢) المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٣٦٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٨.

(٣) البند: العلم الكبير، وهو كل علم من الأعلام وجمعه بنود. ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٣٥٣.

ومما يصور تطور صناعة الصياغة وازدهارها في الأندلس في عصر الخلافة أن المنصور بن أبي عامر في أول أمره عمد إلى استمالة السيدة صبح البشكنسية زوجة الحكم المستنصر "فصاغ لها قصراً من فضة وقت ولايته للوكالة والخزانة، عمل فيه مدة، وأنفق فيه مالاً جسيماً فجاء بديعاً لم تر العيون أعجب منه"(١). كما أورد المقري رواية طريفة تدل على براعة الصاغة الاندلسيين، ومهارتهم في تشكيل وصياغة المصنوعات الذهبية والفضية، فذكر أن المنصور بن أبي عامر لما قدم عليه رسول ملك الروم (القسطنطينية) ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم، أمر أن يغرس في بركة عظيمة ذات نيلوفر (أزهار نيلوفر)، "ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة، فسبكت قطعاً صغاراً على قدر ما تسع النيلوفرة، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة، وأرسل إلى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة، فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة، وبيد خمسمائة أطباق ذهب، وبيد خمسمائة أطباق فضة، فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارتهم، ولم يدر ما المراد، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة، فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر، وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب، حتى التقطوا جميع ما فيها، وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور، حتى صار كوماً بين يديه، فتعجب النصراني من ذلك، وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعاً إلى مرسله، وقال له: لا تعاد هولاء القوم، فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها"(٢).

واهتم ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، بمظاهر الأبهة والترف، فتنافسوا في اتخاذ الكماليات من فاخر الثياب والملبوسات المزخرفة والعطور والجواري، والحلي والآنية والأباريق والمجامر المصوغة من الذهب والفضة، فضلاً عن بناء القصور والحدائق والبرك، وتزيين مجالسها وأبهائها بالتماثيل والتحف الذهبية والفضية.

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٨٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٨٥. رواية: (صاحب كتاب الأزهار والأنوار).

ولقد كانت القصور التي بناها بنوذي النون في طليطلة (٤٠٠ - ٤٧٨ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٨٥م) مضـرب المثل في روعتهـا وجمالها. فمجلس أحد القصـور - وهو قصر المأمون ابن ذي النـون - فـرش بالديبـاج التستري المرقوم بالذهـب، كمـا فرش مجلس الوضوء بوطـاء الوشي المرقوم بالذهب، ووضعـت فيه أباريق الفضة المحكمـة الصنعة، وطسوس الفضـة المماثلة لأباريقها في الحسن والجلالة، والأقداح والأشنـاندات الفضية لاستخدامها عنـد الـوضوء. وفي مجلس التطييـب وضعـت مجامر الفضة لحـرق البخـور(١). وقـد زين المجلـس المسمى بـ "المكرم" بصـور الحيوانات والطيور والأشجـار، وكـانت "كل صورة منهـا منفردة عن صاحبتها، متميزة من شكلها، تكاد تقيد البصـر عن التعلي إلى ما فوقها. قـد فصل هذا الإزار عما فوقه كتـاب نقش عريض التقدير، مخـرم محفـور، دائر بالمجلس الجليـل مـن داخلـه ... وفوق هـذا الكتـاب الفاصل في هذا المجلـس بحـور منتظمـة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز ... وأرض هذه البحـار مدحوة من أوراق الذهب الإبريز"(٢). ووصـف ابن حيان تماثيل الأسود المنتصبة على بحيرتي القصـر فقال: "ولهذه الـدار بحيرتان قـد نصت على أركـانهما صـور أسود مصوغة مـن الـذهب الإبريز أحكم صيـاغة تتخيل لمتأملها كالحة الوجوه فاغرة الشدوق، ينساب مـن أفواهها نحو البحيرتين المـاء هوناً كرشيش القطر أو سُحـالة اللجين. وقد وضع في قعـر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمـى المذبح، محفور من رفيـع المرمر ... وينحصر ماؤهمـا في شجرتي فضة عاليتى الأصلين، غـريبتي الشكل، محكمتي الصنعـة، قد غرزت كل شجـرة منها، وسط كل مذبح بأدق صناعة"(٣).

واشتهـرت إشبيليـة بصنـاعة الصيـاغة في عهـد دولـة بني عبـاد (٤١٤-٤٨٤هـ /١٠٢٣-١٠٩١م)(٤)، وكـان الصاغـة يتفننون في صياغة وتشكيـل تماثيل الذهب والفضة على هيئة الحيوانات لاستخدامها في تزيين البرك وساحات القصور. وكان في قصر المعتمد ابن عبـاد (٤٦١-٤٨٤هـ /١٠٦٨-١٠٩١م) فيـل مـن فضة على شـاطىء بركـة يقذف الماء.

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٣١؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٤٣. (٢) ابن بسام، الـذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣؛ إحسـان عبـاس، تاريخ الأدب الأندلسـي، ص ٤٣ - ٤٤.
(٣) ابن بسـام، الـذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٣٣ - ١٣٤؛ إحسـان عبـاس، تاريخ الأدب الأندلسـي، ص ٤٤.
(٤) المقري، نفح الطيب، ج ٤، ص ٢٩٧. رواية: (ابن سعيد).

وكان في قصره تماثيل عنبر، من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلىء(١). وقد أمر المعتمد يوماً بأن يصاغ له غزال وهلال من الذهب، "فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال"، فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد العامري(٢)، والهلال لابنه الرشيد، وقال في ذلك:

بعثنا بالغزال إلى الغزال   وللشمس المنيرة بالهلال(٣).

ومن الجدير بالذكر أن فخر الدولة بن المعتمد، قد احترف صناعة الصياغة(٤). وقد أورد النويري رواية طريفة بين فيها سبب اختياره لهذه الحرفة، فذكر أن فخر الدولة مر يوماً في بعض شوارع إشبيلية، فرأى امرأة جميلة، فتعلق قلبه بها فخامره الهوى ومرض من ذلك. "فاتصل خبره بأبيه فسال عن المرأة فقيل إنها ابنة خباز فأمر الوزير أن ينفذ الى أبيها ويخطبها منه، فأرسل إليه الوزير، فعلم ما يراد به، فامتنع من الوصول إليه، وقال: هو أحق بالوصول إلي في هذه الحالة فأعلم المعتمد بذلك "فقال": " يصل إليه ويخطبهامنه"، فلما وصل إليه وخطبها، قال الخباز للوزير: "أله صنعة؟" فقال الوزير: "ابن المعتمد يطلب منه صنعة وهو سلطان الأندلس"، فقال له: أمها طالق إن زوجتها إلا ممن له صناعة يستر حاله وحالها بها إن احتاج اليها"، فاعلم الوزير المعتمد فقال: "هذا رجل عاقل"، فأمر باحضار الصناعة إلى القصر، وعلم فخر الدولة الصياغة وحذق فيها"(٥). فلما استولى المرابطون على الأندلس، وجرى لبني عباد ما جرى، أخذ فخر الدولة يعمل بالأجرة في حوانيت الصاغة، فمر به يوماً محمد بن اللبانة - شاعر أبيه - وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ، فقال في ذلك:(٦)

---

(١) الأزدي، بدائع البدائه، ص ٣٧٣ برواية: (ابن بسام).

(٢) أبو الجيش الموفق مجاهد بن يوسف بن علي العامري (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ/ ١٠١٧ - ١٠٤٠م). وهو صاحب دانية والجزر الشرقية: ميورقة ومنورقة ويابسة. المراكشي، المعجب، ص ٧٢، ٧٤.

(٣) الأزدي، بدائع البدائة، ص ١١٤. رواية: (ابن بسام).

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢، مج ١، ص ٧٩؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٥، ص ٣٨؛ المراكشي، المعجب، ص ١٦٠.

(٥) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٦٨.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢، مج ١، ص ٧٩ - ٨٠؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٥، ص ٣٨؛ المراكشي، المعجب، ١٦٠.

مشكاتُنا فيه يا فخر العلا عَظُمت   والرزءُ يعظم فيمن قدره عظما
وطوقت من نائبات الدهر مخنقةً   ضاقت عليك وكم طوّقتنانعما
وعاد كونُكَ في دكـان قارعـةٍ   من بعد ماكنت في قصر حكى إرما
صرفت في آلة الصواغ أنملة   لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يا صائغاً كانت العليا تصاغ له   حلياً وكان عليه الحلي منتظما.
ما حطك الدهر لما حط من شرف   ولا تحيف من أخلاقه الكرما.

وتدل هـذه الواقعة على أن المجتمـع الإسلامي الأندلسـي كـان ينظر إلى الحرفيين والصناع نظرة تقدير واحترام، ويرى في الحرفة أماناً من الفقر.

ومـن مظاهر الترف في عهـد الطوائف، ما يذكر عن قصـور دولـة بني زيري ملوك غـرناطة (٤٠٣ – ٤٨٤ هـ/١٠١٢ – ١٠٩١م) حيـث كـانت تزخر بفـاخر الأثاث وأدوات الـزينة من الحلي والمجوهرات، ومقـادير كبيرة من المصوغات الـذهبية والفضيـة. ومثال ذلك، أنه لما نزل الأمير عبد الله بن بلقين(١) عن أمواله ليوسف بن تاشفين، حاول أن يستبقـي لنفسـه ما ينتفع به، فـاحتفظ بسفط ذهب فيه "عشرة عقـود مـن أنفس الجوهر، وذهبـاً مبلغه ستة عشر ألف دينار مرابطية، وخواتم"(٢)، وحاولـت أمه أن تسكت على نحـو خمسة عشر عقداً ومقادير من الذهب، إلا أن المرابطين حالـوا دون ذلك كله(٣). ومـن جملـة ما وجد لديه سبحة فيهـا أربعمائة جوهرة قدرت كـل جوهـرة بمائة دينار، ومـن أنواع الجواهر واليواقيت والـزمرد ما لا تحصى قيمته، ومـن فـاخر الثياب وآنية الذهب والفضة ما لا يعرف له قيمة(٤).

كما يذكر في هذا الصدد، قصر المقتدر بالله أحمد بن هـود (٤٣٨-٤٧٤ هـ /١٠٤٦ – ١٠٨١م) أمير سرقسطة، وهو القصر المسمى "بقصر السرور"، وكان أروع ما فيه بهوه العظيم الذي زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعـة، والذي كان يسمى لذلك "بمجلس الذهب"(٥).

---

(١) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، آخر ملوك بني زيري بغـرناطة (٤٦٦ – ٤٨٣هـ/ ١٠٧٣ – ١٠٩٠م)انظـر: الصنهـاجي، كتـاب التبيـان، ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٢) الصنهـاجي، كتـاب التبيـان، ص ١٥٥ – ١٥٦؛ إحسـان عبـاس، تاريخ الأدب الأندلسـي، ص ٤١.

(٣) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٤١.

(٤) الصنهاجي، كتاب التبيان، ص ٢٠٩ – ٢١٠؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامـي، ص ٣٨٦ – ٣٨٧؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٤٢.

(٥) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص ٥١٢.

ويبدو أن صناعة الصياغة لم تحظ بالاهتمام في أوائل عهد المرابطين، نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، حيث انشغل المرابطون في أمر توحيد البلاد الأندلسية تحت رايتهم، فبذلوا قصارى جهدهم لتصفية دول الطوائف، ووقفوا في وجه الخطر الإسباني الماثل في شمال الأندلس، وبخاصة بعد سقوط طليطلة في ايدي النصارى الإسبان (سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥م). الأمر الذي أدى إلى تضاؤل كمية الإنتاج من معادن الذهب والفضة، ولم تعد الكميات المستخرجة من الأراضي الأندلسية تكفي لتلبية احتياجات هذه الصناعة، ولذا استورد المرابطون الذهب من بلاد السودان(١). واقتصرت أعمال الصاغة على صناعة الحلي لزينة النساء. وكان الصاغة يمارسون أساليب متنوعة من الغش والتدليس تمثلت بخلط المصوغات الذهبية بمعادن الفضة والنحاس والصفر(٢). كما اقتصر استعمال الذهب والفضة في عهد المرابطين على ضرب الدنانير والدراهم(٣) ويؤكد ذلك أن المستعين بن هود(٤) صاحب سرقسطة لما أهدى ليوسف بن تاشفين أربعة عشر ربعاً من آنية الفضة المطرزة باسم جده المقتدر بن هود، أمر يوسف بضربها قراريط مرابطية، وفرقها في طبقات المرابطين ليلة عيد الأضحى من سنة (٤٩٦(٥) هـ/١١٠٢م).

أما الموحدون، فقد استخدموا الذهب والفضة في تزيين النسيج والكتب والأواني الفخارية، فضلاً عن اتخاذ الحلي وتطعيم المصنوعات الخشبية(٦)، ومثال ذلك، أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتيبة بمراكش "منبراً عظيماً كان قد صنع بالأندلس"، وكانت صفائحه من الذهب والفضة(٧)، كما كان منبر المسجد الجامع الذي أقامه يوسف بن عبد المؤمن في مدينة إشبيلية مرصعاً "بصفائح من الذهب والفضة، وأشكال في عمله من الذهب الإبريز"(٨). ومما يدل على تقدم صناعة الصياغة في الفترة الموحدية أن تفافيح صومعة جامع إشبيلية الأربع قد موهت بسبعة آلاف مثقال يعقوبية كبار وقيل: "بمئة ألف دينار ذهباً"(٩).

---

(١) المراكشي، المعجب، ص ٣٦٣؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣.

(٢) ابن رشد، فتاوى، ص ١٠٩٥ - ١٠٩٦.

(٣) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سليمان بن هود الجذامي، الملقب بالمستعين، أحد ملوك الطوائف، تولى سرقسطة خلال الفترة الواقعة بين سنة (٤٧٨ - ٥٠٣هـ/١٠٨٥ - ١١٠٩م)إذ قدم فروض الولاء والطاعة ليوسف بن تاشفين ولذا لم يعزله. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢٤٨ - ١٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص ٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٤.

(٦) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٩، ٢٣٤، ٢٥٤.

(٧) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٤٤.

(٨) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٩) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٢ - ٣٩٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٩.

أما في عهد دولة بني الأحمر ملوك غرناطة، فقد كان الصاغة يصنعون من الذهب الخالص القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل وغير ذلك من أصناف الحلي التي كانت تتزين بها نساء الطبقة الموسرة. وكانوا يصنعون من الفضة كثيراً من الآلات وأصناف الحلي التي كانت تتزين بها نساء الطبقة المتوسطة والفقيرة(١). وبرع الصاغة في ترصيع بعض الحلي الذهبية بنفيس الأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والزبرجد، وهذه كانت تتزين بها الأميرات ونساء الطبقة الراقية في المجتمع الأندلسي، إذ كان هؤلاء، "ممن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظل دولة، أو أصالة معروفة موقرة"(٢).

وكان استعمال الحلي شائعاً على نطاق واسع بين نساء الأندلس، وبخاصة بين نساء غرناطة. اللواتي "بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات، والتماجن في أشكال الحلي، إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة"(٣).

٣ . النحاس والصُّفر والبرونز

اما صناعات النحاس والصُّفر والبرونز، فقد ازدهرت في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومما ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة - كالنحاس والصفر والقصدير والكبريت والتوتيا التي تستعمل في صبغ النحاس - في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية، ومهارة الصناع في استخراجها وتخليصها من الشوائب العالقة بها، وبراعتهم في مزج المواد المعدنية بعضها ببعض لإنتاج مواد جديدة يمكن استعمالها في أغراض مختلفة، ومثال ذلك مادة البرونز الناتجة عن خلط النحاس بالقصدير.

وتمتاز هذه المادة بصلابتها وسهولة تشكيلها. وقد استخدمها الأندلسيون في صناعة القناديل، والمصابيح، والشمعدانات، والثريات، والمهارس، والمباخر، والمجامر، والقصاع،

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص ٢٠٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩٨، ٢٠٤.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٥؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤١؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص ٢٠٤.

وآنيـة المـاء(١)، إضافة إلى صنـاعة تمـاثيل برونزية على هيئـة حيـوانات وطيور، كانت توضـع حول البرك والأحواض، تمج المياه من أفواهها(٢). وهنـالك أمثلـه كثيرة مـن نمـاذج هذه الصناعة ما تزال ماثلـة للعيان في بعض المتاحف الأوروبيـة نذكر منها: وعل مـدينة الزهراء المحفوظ في متحف الآثار الأهلي بقرطبة، وهـو عبارة عن وعل أو غزال مجرد من قرنيه، ويبلغ إرتفاعه نحو ٤٠ سم، ويقوم على قاعدة مستطيلة الشكل مجوفة من الـداخل، يتصـل بهـا عند وسطها أنبـوب مـن الرصاص يمد القـاعدة بالميـاه، فتصعـد في الأرجل ثم في الجسـم المفرغ، إلى أن تصـل إلى الرأس وتنطلـق بقـوة من فيه. ويزدان الـوعل بزخارف محـزوزة مـن دوائر أو حلقـات متصلـة ، بداخل كـل منهـا ورقـة من النبـات(٣). كـذلك عثر في قرطبـة على تمثـال لوعل آخر من البرونز المـذهب، محفـوظ اليـوم في متحـف الآثار بمدريد، يبلغ ارتفـاعه ٣٢ سم، قد ضـاع قـرناه وإحدى أذنيه، ويزدان هـذا الوعل بزخرفة من دوائر بين سيقـان متموجة على نحـو أكثر تفننـا وتنوعاً من وعل الزهراء، وكان الماء يتخلله من أنبوبة في وسط بطنه، إذ إن أرجله صماء(٤). كمـا عثر بأرضية أحد منازل قرطبة على (١٣) تحفة من البرونز والنحـاس الأصفر أهمها مبخرة يبلغ ارتفاعها (١٦)سم وقطرها (٩ر٥)سم، ومجمرة مسدسة الشكل تزدان بزخارف مـن التوريق والكتابات وصور تمثل غزالين متقابلين بينهمـا شجرة، ومهرس (هاون) من البرونز أسطـواني الشكـل يزدان بزخارف بارزة مطـروقة(٥). وعثر في مـونسون دي كامبوس (Monzon de Campos) على مهرس كبير مزود بحلقتين ومثلثـات بارزة على شكـل منـاقير مشتقـة من مثال مـا وتزينـه زخارف محفـورة ونقـوش كتـابية مـن عصـر الخلافة(٦).

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٨٦ - ٤٠٠؛ عبد العزيز سالم، قـرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) مـورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيـا، ص ٤٠٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضـرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٨.

(٣) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٩.

(٤) مورنيو،الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠٠؛ عبدالعزيز سالم، قرطبةحاضـرة الخلافةفي الأندلـس، ج٢، ص١٤٠.

(٥) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢،ص١٣٧-١٣٨.

(٦) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٩٩.

واستخدم الأندلسيون النحاس والصفر في صناعة الأدوات والأواني المنزلية، فكان الصَّفّارون (يعرف واحدهم بالصفار) يصنعون القدور والمقالي (١) والأقداح والأسطال(٢) والآنية والصناديق(٣) والسكاكين والأمقاص المذهبة، وغير ذلك من آلات العروس والجندي(٤)، حيث كانت المصنوعات النحاسية تعد "من متاع النساء بالنسبة إلى جهاز الأندلس، ومن متاع الرجال بالنسبة إلى جهاز الحضر"(٥). كما استخدموا النحاس والصفر في صناعة صفائح ومصاريع الأبواب فللمسجد الجامع في قرطبة "عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس، وفي كل باب حلقتان في نهاية الإتقان"(٦)، وفي رواية أخرى أن عدد أبوابه الكبار والصغار واحد وعشرون باباً، كلها ملبسة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة"(٧). وأما مدينة الزهراءفكانت مصاريع أبوابها التي تزيد على خمسة عشر ألف باب، (ملبسة بالحديد والنحاس المموه(٨).

وقد استخدم النحاس والصفر في صناعة الطبول(٩) والثريات، ومما يذكر أن مسجد قرطبة الجامع، كان يشتمل على (٢٨٠) ثريا من اللاطون(الصفر)، يبلغ عدد كؤوسها سبعة آلاف وأربعمائة وخمسة وعشرين كأساً، وقيل: عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس، وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشر أرباع القنطار أو نحوها(١٠). وكان عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة (سوى ما كان منها على الأبواب) (٢٢٤) ثريا، جميعها من لاطون مختلفة الصعنة، منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الأوسط، أكبرها الثريا الضخمة المعلقة في القبة التي فيها المصاحف حيال المقصورة، وكانت تحمل وحدها ألفاً وأربعة وخمسين كأساً(١١). كما ذكر صاحب كتاب "نشق الأزهار" "أن في جامع قرطبة تنوراً من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح، وفيه أشياء غريبة، من الصنائع العجيبة، يعجز عن وصفها الواصفون، قيل أحكم عمله في سبع سنين"(١٢).

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٥.

(٢) الزبيدي، لحن العوام، ص ٧٥؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠١ – ٤٠٢.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ١٠، ص ٢٩٨ – ٢٩٩. رواية: (ابن رشد).

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٦ – ٥٧٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٢٢.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٥٠. رواية: (ابن سعيد نقلاً عن ابن بشكوال).

(٨) المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٢٦٨. رواية: (ابن حيان)؛ علي الجارم، قصة العرب في إسبانيا، ص ١٢٢.

(٩) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٦.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٧؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٤٩. رواية: (ابن الفرضي).

(١١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٥١. رواية: (ابن سعيد نقلاً عن ابن بشكوال).

(١٢) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٠.

ومـن أشهر المدن الأندلسية التي اختصت بصناعة آلات الصفر والنحاس في القرن الـرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مـدينة قرطبة(١) والمرية(٢). بينمـا اختصـت في هذه الصنـاعة كل من مـالقة(٣) ووشقـة(٤) (Huesca) ومـرسية(٥) في القـرن السـادس الهجـري/ الثـاني عشر الميلادي، واشتهـرت الأخيرة بصنـاعـة آلات الصفـر والحديد من السكـاكين والأمقـاص المذهبة، ومنهـا كـانت تصـدر الى بلاد إفـريقية وغيرهـا(٦).

وفي هـذه الفترة اشتهـرت الأندلـس بصناعة النحاس الأصفـر، وقـد أشاد الدمشقي (ت بعـد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) بجـودة هـذه الصناعة، ومهارة الصنـاع الأندلسيين ذاكـراً أن "النحـاس صنفان، فالمعدني الأحمر ليس فيه اختلاف، وأما المصنـوع الأصفر فإنه يختلف بحسـب صَنّـاعه والأماكن التي عمـل بها،وأفضله ماسبك بالأندلـس لاقتـدار الصنّاع على عمل التُّـوتيا التي يعمل بها وأماكنها ورخصها"(٧).

٤ - صناعة الحدادة وأعمال الحديد.

كـانت الحدادة من الصناعات الأندلسية المتميزة، لكونهـا من الصنائع الضرورية في العمران البشري.(٨) وكان الحديد من أكثر المعادن انتشاراً في الأراضـي الأندلسية. وقد عني الأندلسيون به عناية خاصة.

وقد برع الحدادون في صناعة بعض الآلات والأدوات الزراعية، كالمناجل والمعاول والمنـاقش والمنـاقير* والصواقير* والمنـاشير والغـرابيل* وسكـك الحـراثة(٩)، وصفـائح

---

(١) مـورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيـا، ص ٤٠١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضـرة الخلافـة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٦ - ١٣٨.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٨؛ المقـري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٦٣.

(٣) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٠.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ٨٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠١. رواية: (ابن سعيد).

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠١؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٠.

(٧) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٢٧ - ٢٨.

(٨) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ٩٢٣ - ٩٢٥.

* المعـول والمنقـاش مـن الأدوات الضـرورية لعـزق الأرض وتسـويتها ولازالـة الأعشـاب الضـارة من الحقول المزروعة، هياجنة، الوضع الزراعي في الاندلس، ص ٩٤.

* المنقـار: أداة مـن حديد كانت تستعمـل لتركيـب الأشجار، هياجنة، الـوضع الـزراعي في الاندلـس، ص ٩٥.

* الصـاقور: الفـأس العظيمـة لهـا رأس واحد ودقيـق تكسـر به الحجـارة. ابن سيـدة، ج ٣، س ١٠، ص ١٠٠.

* الغـربال: مـن آلات تقليم العـرائش، وهـو غير الغـربال المستعمل لتنقية الحبـوب. وهـذا الغـربال عبارة عن مـزبارصغير بلا فـك، وهـو أخف حملاً في اليـد مـن المنجل. هياجنة، الوضـع الـزراعي في الأندلـس، ص ٩٥.

(٩) الـزبيدي، لحـن العـوام، ص ٩٧، ١٣٦؛ ابن هشـام اللخمـي، المدخل، مج٢، ص ١٦٢، ٢٩٣، ابن بصـال، الفلاحة، ص ٥٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٣٩؛ هيـاجنة، الـوضع الـزراعـي في الأندلـس، ص ٩٤ - ٩٥.

الدواب(١). وفي صناعة بعض الأدوات المنزلية، كالخزائن والأكواب والصناديق والأمقاص والأثافل أو (المناصب التي تنصب عليها قدور الطعام)(٢). كما برع الحدادون في صناعة المسامير من أوزان واحجام مختلفة ومتنوعة، وفي صناعة المفاتيح والأقفال والسلاسل ومزالج ومفاصل الأبواب، وأبواب الحديد الضخمة التي كانت تستخدم لحماية وتحصين اسوار المدن(٣)، حيث كان لمدينة قرطبة سبعة أبواب من الحديد(٤)، ولطرطوشة أربعة أبواب، ملبسة بالحديد(٥)، وكان بالزهراء خمسة عشر ألف باب جميعها ملبسة بالحديد والنحاس المموه(٦).

وكان الحدادون يستعملون في صناعتهم بعض الأدوات التي تساعدهم في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب. ومن أهم هذه الأدوات "الكير"(٧)، وهو الزق الذي ينفخ فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حافات، يستعمل لإثارة النار وإيقادها، كي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله ليناً يسهل طرقه واعطاؤه الشكل المطلوب(٨). والكلاليب(جمع كلاب) وهي الآلة التي يمسك بها الحداد عند الإيقاد والضرب(٩).

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٩،؛ السقطي في آداب الحسبة، ص ٧٠.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٦، ٥٩؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٣، ٣٦؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٥، ٧٢، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص ١٣٥.

Imamuddin, The Economic History of Spain, p ٢٣٠

(٤) ابن حوقل، صورة الارض، ق١، ص ١٠٨.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٩١.

(٦) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٦٨، رواية: (ابن حيان)

(٧) ابن الأبار، المقتضب، ص ١٢٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥ - ١٦.

(٨) الزبيدي، لحن العوام، ص ٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٥٧؛ جواد علي، المفصل ج ٧، ص ٥٥٧.

(٩) الزبيدي، لحن العوام، ص ١٦٤.

وقد استخدم الحديد في صناعة مراسي السفن(١)، واختصت بهذه الصناعة جزيرة شلطيش (Saltis)و(٢)، كما استخدم في صناعة الإبر والمآبر أو (مسلات الحديد)، وقد أطلق الأندلسيون على محترف هذه الصناعة اسم الأبّار(٣). وفي صناعة السكاكين، وكان يعرف صانع السكاكين وبائعها باسم السكان(٤). كما استخدم في صناعة الأكيال والموازين(٥). وفي صناعة أنواع عديدة من الأسلحة كالسيوف والرماح والدروع والبيضات(٦) حسبما سيأتي تفصيله في الصفحات القادمة.

هذا، وقد تميزت بعض المدن الأندلسية بصناعة الآلات والعدد الحديدية؛ فاشتهرت مرسية ومالقة بصناعة آلات الحديد من سكاكين ومقصات وما شابه ذلك (٧). وتفردت إشبيلية بصناعة الفولاذ(٨). واختصت كل من المرية(٩) ووشقة(١٠) وقرطبة(١١) بصناعة "صنوف آلات الحديد". وكانت قرطبة مركزاً مهماً لصناعة الآلات والأدوات الحديدية خاصة ما يتعلق منها بأعمال البناء(١٢).

---

(١) ابن هشام اللمخي، المدخل، ج ٢، ص ١٧١، ٣٥٩.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٤٢؛ انظر كذلك: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٢، ص ٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ١١٢.

(٤) الزبيدي، لحن العوام، ص ١٠١؛ ابن هشام اللخمي ، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٩ - ٤٠.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٥.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠١، رواية : (ابن سعيد)؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٣.

(١٠) الزهري، الجعرافية نتن، ص ٨٢.

(١١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ٤١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣.

(١٢) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٥.

١ . صناعة الأصباغ

استفاد مسلمو الأندلس من تفوقهم في الكيمياء في ميدان الصناعة، فبرعوا في تركيب الأصباغ المختلفة الألوان، مستفيدين في ذلك من وفرة النباتات التي تدخل في صناعتها(١)، كالفوّه والبقّم والنيلج والزعفران والعصفر، وقشر الرمان، فاستخلصوا منها اللون الأحمر والأزرق السماوي والأصفر الذهبي، وعرفوا الألوان الأولية والمركبة من لون سحابي وكستنائي وقمحي وقرمزي وأسود وأبيض وأخضر وجوزي (وهو مركب الأخضر والأسود)(٢) الأمر الذي اكسب ملابسهم الألوان الزاهية الفاخرة.

ومن مواد الصباغ غير النباتية: القِرمِز(٣) وكان يوجد بكثرة في نواحي إشبيلية(٤) (Sevilla) ولبلة(٥) (Niebla) وشذونة (Sedona) وبلنسية(٦) (Valencia) وإلبيرة(٧) وغرناطة(٨) (Granada) وحصن شنش(٩). وكان الصباغون(١٠) يجمعونه عن شجر البلوط ويستخلصون منه اللون الأحمر(١١)، واستعمل بعضهم الرماد لتبييض غزل الصوف(١٢).

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

(٢) ابن رشد، فتاوى، ج ٢، ص ٩١٩ - ٩٢٠، ٩٢٣ - ٩٢٤؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠؛ السقطي ، في آداب الحسبة، ص ٦٣؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣١.

(٣) القرمز: صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم، فارسي معرب، ويقال أنه حيوان تصبغ به الثياب فلا يكاد ينصل لونه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٣٩٤.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص ١٤٥؛ رواية: (البكري).

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٤١؛ رواية: (البكري).

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٠٥.

(٨) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٣.

(٩) من أعمال المرية، المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٦٤.

(١٠) الصباغون: يعرف واحدهم بالصباغ، وهو معالج الصبغ، وحرفته الصباغة، ابن منظور، لسان العرب، مج ٨، ص ٤٣٧.

(١١) ذكر المقري أن القرمز نوع من الأمنان التي تنزل من السماء على شجر البلوط، فيجمعه الناس ويصبغون به. انظر: المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠١.

(١٢) يحي بن عمر، أحكام السوق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

وكـانت المصابغ تقام في العـادة خارج أسـوار المدن وبالقـرب مـن مجاري الأودية والأنهـار(١)، تفاديا للروائح الكـريهة من جهة، وتسهيلاً لعمليـة الصباغة التي تعتمد في الأسـاس على المياه من جهة أخرى. وكان الصباغون يخضعون لـرقابة المحتسب المباشرة، فكـان يفـرض عليهـم أن لا ينشروا الثيـاب المصبـوغة المبلـولة على الطـرقات(٢)، وأن يصبغوا المنسوجات المصنوعة من القطن والكتان باللون السحـابي، لأن الألوان الأخرى لا تثبـت عليهـا(٣). وكانت أسعـار الصباغ تتفاوت بتفاوت ألـوانها، وهـي: (كسوتان ونصف مـن سمائي أو أحمر بمثقـالين، والأخضر ثلاث كسى بمثقـال، والكسـوة أربعة وعشرون ذراعاً"(٤). وكان الصبـاغون يتفننون في صناعتهم ويتقنـونها، ومما يدل على ذلك أن الخياطين قد كانوا يأخذون الملاحف * البالية من القطـن والكتان فيصبغونها ويكمـدونها ويصنعـون منهـا المحـاشي * والسـراويل ويبيعـونها كـالجديدة(٥).

ومـن أهـم المراكز الأندلسيـة التي اختصت بصناعة الأصبـاغ في القـرن الخـامس الهجري / الحادي عشر الميلادي لبلة (٦) وطليطلة التي اشتهرت بالصبغ السماوي الذي كـانت تصدره إلى نواحي الأندلـس المختلفة (٧). واختصت مـالقة (٨) وإشبيليـة (٩) بهذه الصناعة في القرن السـادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. واشتهـرت قرية نارجة

---

(١) ابن عبـدون، في القضـاء والحسبـة، ص ٤٩؛ المقـري، نفـح الطيـب، ج ١، ص ١٧٨. رواية: (ابن سعيـد).

(٢) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص ١١١.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(٤) ابن رشـد، فتـاوى، ج ٢، ص ٩١٩ - ٩٢٠؛ عـز الدين موسى، النشاط الاقتصـادي، ص ٢٣١. * اللحـاف: الغطاء الذي يكون على الأسرة خاصة، وقيل: اللحاف والملحفة كل ما التحف به من ثوب أو برد أو كساء في حالة قيام أو قعود أو اضطجاع، الزبيدي، لحن العوام، ص ٢٤٢.

* المحاشي: أكسية خشنة واحدها محشاة والجمع محاش، ويبدو أن كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ كان يلبس في الأندلس من قبل عامة الشعب. انظر: دوزي، المعجم المفصل، ص ١١٨.

(٥) ابن رشـــد، فتـــاوي، ج ٢، ص ٩٢٣ - ٩٢٤؛ احســـان عبـــاس، نوازل ابن رشـــد، ص ١٣، ٤٦.

(٦) ابن الشبـــاط، صلـــة السمـــط، ص ١٤٥. رواية: (البكـــري)؛ القـــزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(٧) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٨٨؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٣.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(٩) ابن عبـــدون، في القضـــاء والحسبـــة، ص ٢٩، ٤٩ - ٥٠؛ الأزدي، بدائع البـــدائه، ص ٧٣ - ٧٤.

في أعمال مالقة بصناعة الأصباغ في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وفيها كان يقام موسم سنوي لصباغة الحرير، فذكر ابن سعيد "انه اجتاز مرة عليها مع والده أبي عمران موسى، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، وقد ضربوا في بطن الوادي بين مقطعاته خيماً، وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب، وسألوا: بم يعرف ذلك الموضع؟ فقالوا: الطراز، فقال والدي: اسم طابق مسماه، ولفظ وافق معناه،

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

ثم قال أجز: بنازجه حيث الطراز المنمنم

فقلت: أقم فوق نهر ثغره يتبسَّمُ

فقال: وسمعك نحو الهاتفات فإنها

فقلت: لما أبصرت من بهجة تترنّم" (١)

٢. صناعة الورق

كانت الشعوب في العصور القديمة وفي أوروبا خلال معظم العصور الوسطى تستخدم البردي او الرق (الجلد الرقيق) للكتابة، وهما مادتان باهظتا الثمن، إما لندرتهما أو للمجهود الذي يبذل في سبيل تجهيزهما. أما العرب فقد استخدموا الورق منذ عصر مبكر، وتقدمت صناعته لدرجة أنها قضت على استخدام البردي القديم، وقللت إلى درجة كبيرة من استخدام الرق للكتابة (٢).

ومن المعروف أن أهل الصين كانوا أول من عرف صناعة الورق في العالم، ثم نقله العرب المسلمون عنهم، فانتشرت صناعته في أقطار المشرق والمغرب الإسلامي. وكانت أول مدينة إسلامية يصنع فيها الورق؛ هي مدينة سمرقند التي فتحها المسلمون سنة (٧٨ هـ / ٧٠٥م). ذلك أن هذه المدينة تعرضت في الفترات اللاحقة لهجمات القبائل التركستانية وحلفائها الصينيين، الأمر الذي اضطر زياده بن صالح - حاكم سمرقند من قبل العباسيين - إلى ارسال حملة لتاديبها واخضاعها، فحققت هذه الحملة إنتصاراً عظيماً عليها سنة (١٣٤ هـ / ٧٥١م)، ووقع في أيدي المسلمين عدد من الأسرى الصينيين الذين برعوا في صناعة الكاغد أو (الورق)، وجيء بهم إلى مدينة سمرقند، حيث علموا أهلها هذه الصناعة، فازدهرت فيها ازدهاراً كبيراً وعمت شهرتها الأقطار(٣). وظلت سمرقند تمد الأقطار الإسلامية الأخرى بما تنتجه معاملها من صنوف الورق. ولكن الحال لم تدم طويلاً ، اذ لم تلبث أن انتقلت صناعة الورق إلى بعض

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٧٨. رواية: (ابن سعيد).

(٢) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب(١)، ص ٨٠.

(٣) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤١٧ - ٤١٩؛ انظر كذلك، عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٣٧ - ٣٨؛ الفنجري، العلوم الإسلامية ج٣، ص ٨٨.

البلدان الإسلامية الأخرى وفي طليعتها مدينة بغداد، حيث أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي (١٤٧ - ١٩٣ هـ / ٧٦٥ - ٨٠٨م) أول مصنع للورق في بغداد سنة (١٧٨ هـ / ٧٩٤ م)، وذلك في عصر الخليفة هارون الرشيد (١). وبعد أن اتسع نطاق صناعة الورق في العراق، انتقلت منه إلى بلاد الشام، فأنشئت معامل صنعت أنواعاً نفيسة منه في كل من طرابلس وطبرية، ودمشق وحلب، وحماة (٢). ثم انتقلت إلى مصر، فانتشرت فيها المعامل التي أجادت صنعه ووفرت كمياته، بحيث أخذ الرق الجلدي والبردي المصري في الإختفاء (٣).

وانتقلت صناعة الورق في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي إلى مناطق الشمال الإفريقي، وازدهرت في كل من القيروان وتونس والمهدية. ومن القيروان انتقلت إلى الأندلس (٤). ومن هذه الأخيرة انتقلت صناعته إلى غربي أوروبا، بعد أن كان الأوروبيون يستخدمون الرق المصنوع من جلد الخراف والعجول للكتابة عليه(٥). وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الورق عند العرب كانت تعتمد على القطن والكتان ومصادر نباتية أخرى، ومما لا شك فيه أن تنوع المواد الأولية للورق، أدى إلى ظهور جملة أنواع منه تختلف في سمكها ومتانتها وصقلها ولونها (٦).

ويبدو أن صناعة الورق أدخلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٧)، إذ يوجد لدينا بعض الشواهد التاريخية التي تشير إلى ذلك، فهذا (إبراهيم ابن سالم التونسي) ويعرف بالوراق، ممن درس بمدينتي تونس والقيروان، وحذق صناعة

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٩٦٢؛ كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٢٦ - ٤٢٧؛ عاشور، المدنية الإسلامية، ص ١٨٦؛ ويسلر، الحضارة العربية، ص ١٨٥.

(٢) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٢٩ - ٤٣١؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٣) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٣١؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٧.

(٤) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية ق ٢، ص ١٦١- ١٦٢، ١٦٤.

(٥) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ص ١٦٧؛ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٩٤.

(٦) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٢١.

(٧) يذكر ستانوودكب أن صناعة الورق أدخلت إلى الأندلس في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، واتخذت لها مركزاً في طليطلة، ومنها انتشرت تحت رعاية مسلمي الأندلس إلى ممالك إسبانيا المسيحية، ستانوودكب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ص ١٠٠.

الرق والوراقة حتى تلقب بها، ثم قصد الأندلس واتصل بالأمير الحكم بن عبد الرحمن الناصر - قبل توليه الخلافة - فخصه لصنعة الورق، وقد عمل كثيراً منه لمكتبة الأسرة الأموية الحاكمة، ويذكر أن هنالك قطعة من هذا الورق ما زالت محفوظة في جامع القرويين بمدينة فاس(١).

وهذا "عباس بن عمرو بن هارون الكناني، ويعرف بالوراق، من أهل صقلية، يكنى: أبا الفضل .. خرج من صقلية إلى القيروان سنة خمس عشرة [٣١٥ هـ / ٩٢٧م]، فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الأندلس، فقدمها - فيما أخبرني - سنة ست وثلاثين [٣٣٦ هـ / ٩٤٧]، واتصل بولي العهد الحكم بن عبد الرحمن (رحمه الله) فتوسع له في الورق، وصار من جملة الوراقين" (٢).

ومن الشواهد التاريخية الأخرى التي تشير إلى احتمالية صنع الورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ازدهار صناعة الوراقة - وهي صناعة نسخ الكتب وضبطها وتجليدها - في الأندلس (٣) وبلوغها درجة كبيرة من الجودة والإتقان (٤).

وكانت صناعة الوراقة تمارس من قبل الرجال والنساء على حدٍ سواء، وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي(٥)، مما يدل أيضاً على وفرة الورق في الأندلس.

---

(١) عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ص ١٦٢.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ٢٩٩.

(٣) لمزيد من المعلومات عن صناعة الوراقة في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق ١: ص ١٧، ٢٩٩، ق ٢: ص ١٣٤، ١٧٥، ١٩٩، ٢٠٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، ج ١، ص ١٤ - ١٥؛ ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٥، ٣٠٩، ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ١٩٢، ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٩٦١-٩٦٢؛ خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج ١، ص ٧٧ - ٩٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩؛
Imamuddin, The Economic History of Spain, P 218

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣٧٢؛ خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج ١ ص ٩٤؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص ٣٦.

ويضاف إلى ذلك انتشار المكتبات العامة والخاصة، وما كانت تحويه من الكتب، فيذكر مثلاً إن مكتبة الحكم المستنصر كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد، وأن فهرسها المشتمل على عناوين الكتب وأسماء المؤلفين مكون من أربعة وأربعين سجلاً كل سجل منها يشتمل على خمسين ورقة (١). كما كانت مكتبة عبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) تحوي عدداً كبيراً من الكتب، وكان يعمل فيها باستمرار ستة وراقين، ينسخون الكتب، ويتقاضون على ذلك أجراً ثابتاً، ومما يذكر أن الكتب التي كانت تحويها هذه المكتبة بيعت في قرطبة بعد وفاة ابن فطيس "فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانماية ألف درهم" (٢).

ومما سبق ذكره يفهم أن مادة الورق كانت وفيرة في الأسواق الأندلسية، بحيث شاع استعمال الورق للكتابة بين الخاصة والعامة، ولم يقتصر استعماله على فئة معينة من الناس، ومما يؤكد ذلك أنه ما زال يوجد في مكتبة الإسكوريال مخطوطات مكتوبة بالعربية والإسبانية على أوراق مصنوعة من القطن تعود إلى بدايات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٣).

وبفضل وفرة الورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، توصل الأندلسيون إلى اختراع الطباعة، اذ ألف أحدهم كتاباً في هذا المجال إلا أنه لم يصل إلينا (٤)، ولكن أشارت بعض المصادر إلى أن بدر (٥) وصيف الأمير عبد الله، أعتقه الأمير وصرفه في الخطط الشريفه، ثم ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد، وكان "ينفرد بالولايات فتكتب

---

(١) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص ٨٧ - ٨٨. بروفنسال، الشرق الأسلامي، ص ٣٦

(٢) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق ١، ص ٣٠٩ - ٣١٠؛ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، ص ٤٧٨.

(٣) Imamuddin, The Economic History of Spain, P ٢١٨

(٤) يذكر محمد كرد علي أن مؤلف هذا الكتاب هو: أبو بكر القدسي الأندلسي. انظر: محمد كرد علي، الإسلام والحضارة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٥) هو بدربن أحمد الصقلي وصيف الأميرعبدالله، وقدسبقت الإشارة اليه. ومن الغريب:أن تصفه المصادربالخصى، ويكون له رغم ذلك أبنان هماعبدالرحمن وعبدالله.انظر:ابن الأبار،الحلة السيراء،ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه، فتبعث في العمال وينفذون على يديه"(١). وبذلك يكون الأندلسيون قد عرفوا الطبع قبل مخترعه المشهور غوتنبرغ الألماني بأربعمائة سنة، ولكن بغير الحروف المنضدة(٢).

ويؤكد البعض أن مدينة شاطبة (Jativa) اشتهرت بصناعة الورق منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(٣)، ومن ثم انتقلت هذه الصناعة إلى مدينة طليطلة (Toledo) في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(٤). أما في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فقد اشتهرت صناعة الورق في كل من غرناطة (Granada) , وبلنسية (Valencia) , وشاطبة(٥)، وقد حظيت شاطبة بشهرة واسعة في هذا المجال إذ كان "يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض، ويعم المشارق والمغارب"(٦). وكانت شاطبة تصدر ورقها إلى معظم بلدان أوروبا الغربية وبأسعار معقولة، مما ساعد على انتقال صناعة الورق في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، إلى ممالك إسبانيا المسيحية وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا والمانيا(٧).

ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الإسبانية أن الورق الأندلسي كان يصنع من القطن والكتان والقنب، وكذلك من ألياف نبات الشهدانج(٨). ومن

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢) اخترع غوتنبرغ الطباعة في حوالي سنة ٨٤٤ هـ/ ١٤٠٠م. انظر: طه حسين بك، آراء حرة، ص ٦٦ - ٦٧. الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات ص ٢١٧، ستانوود كب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ص ١٠٠، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٣) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٣٨.

(٤) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٣٨؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٤٧.

(٥) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٣٨؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٤٧؛ العبادي الحياة الاقتصادية ص ٣٤٨؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ٢١٠.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٦؛ انظر: المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٩.

(٧) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص ٥٠؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ٢١٠
Imamuddin, The Economic History of Spain, P. ٢١٩ - ٢٢٠

(٨) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٨؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ٢١٠.

الجدير ذكره أن الأندلسيين نجحوا أيام المرابطين في صناعة الورق الملون(١)، ومن ثم تقدمت هذه الصناعة وتطورت خلال العصر الموحدي، حتى أنها بلغت الغاية في الجودة والإتقان، فقد روى المقري أن أحد المغاربة كتب إلى الملك الكامل ابن العادل الأيوبي (٦١٥ - ٦٣٦ هـ/ ١٢١٨ - ١٢٣٨م) "رقعة في ورقة بيضاء إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود"(٢)

وقد نوه المقري بالورق المنصوري(٣) في بلاد الأندلس. وكان لهذا الورق شهرة بعيدة في كثير من الأقطار الاسلامية حتي أنه صار يصنع في جملة أماكن، من بينها العراق ومصر والأندلس، وذلك من باب التقليد والاقتباس(٤). واستمرت الأندلس بصناعة الورق خلال عهد الدولة النصرية. وكان الورق الإسلامي - خلال هذه الفترة - لا يستعمل إلا في جزيرة الأندلس ومدينة فاس، بينما بقية بلدان المغرب الاسلامي كانت تستعمل الورق الرومي(٥).

أما عن كيفية صناعة الورق في الأندلس، فقد زودنا المكناسي (ت ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م) بنص مهم جداً، يوضح الطريقه التقليدية لهذه الصناعة، حيث شاهدها في مدينة شقوبية (Segovia) الإسبانية. ورغم إن المصدر متأخر قليلاً، إلا أنه يمكننا الإفادة منه، وبخاصة إذا ما عرفنا أن الإسبان قد نقلوا صناعة الورق عن مسلمي الأندلس.

وفي ذلك يقول المكناسي:

"وقد أرونا بشقوبية الدار التي يصنع بها الكاغيد، وذلك أنهم عمدوا إلى وادي شقوبية .. وأخذوا منه ساقية كبيرة ابتنوا عليها الدار المذكورة والآلات التي يخدم بها الكاغيد كلها بحركة الماء. وكيفية ذلك أنهم يجمعون من خرق الكتان المتلاشي شيئاً كثيراً يجلب اليهم من سائر البلدان، وقد أرونا من ذلك مخازن كثيرة مملوءة منه،

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٢٦ - ٣٢٧؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٤.

(٣) الورق المنصوري: ذكر السمعاني في كتابه الأنساب ضرباً من الورق ، سماه "الكاغد المنصوري". قال: وممن عرف بالكاغدي: "أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحمن الكاغدي، من أهل سمرقند وإليه ينسب الكاغد المنصوري المشهور ببلاد خرسان. توفي سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١م بسمرقند". انظر: كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٢٣.

(٤) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص ٤٢٣.

(٥) الونشريسى، المعيار المعرب، ص ١، ص ٨٥.

ويخرجون منه شيئاً فشيئاً إلى نساء عجائز يميزون منه الجيد والوسط والرديء، وعندهم صهريج من خشب كبير تصب فيه أنابيب الماء يرسلونها وقت الاحتياج إليها ويمسكونها بعد، فيجعلون في الصهريج المذكور الخرق من جنس واحد بعد تمييزه، ويطلقون عليه الماء حتى يمتلىء الصهريج، ويغسلون الخرق المذكورة من الأوساخ حتى ينظفونها كما ينبغي، ويخرجونها من الصهريج ويجعلونها في موضع أخر متراكم بعضها فوق بعض، ويتركونها أياماً إلى أن تتلاشى وتنتن رائحتها وتعفن، ويقطعونها بعد ذلك اربا اربا. ولهم موضع فيه جفن مستطيل، في طول نحو الثلاثين شبراً وعرض نحو الخمسة أشبار، وقد نصبوا عليه قوائم الخشب في رؤوسها حدائد مثل المدي لها حركات بالماء تضرب في الجفن المذكور، فيجعلون الخرق الممزقة فيها، وترسل حركات الماء على قطع الخشب وتضرب في الجفن على الخرق إلى أن تصير مثل العجين، وينقلونها إلى موضع آخر فيعيدونها بالخدمة إلى أن تصير خدمة ذلك الغاية المعتادة، وعندهم صهريج آخر يملؤونه ماء، ويجعلون فيه الكتان المخدوم، ويحركونه بأعمدة، ويأتي المعلم بالقالب من السلك الرقيق فيغمسه في الماء، فيرفعه وقد علق به شيء من ذلك الماء الأبيض، فيقبضه من عنده معلم آخر ويضع القالب على حصيرة صغيرة من الحلفاء على قدر قالب الكاغيد، فيضع القالب عليها وقد علق بها ما كان به، وهي ورقة، ويجعل فوقها حصيرة مثلها، ويجعل عليها قالباً آخر وهكذا حتى يجعل رزمة مثل نصف قامة، ويجعلونها تحت تخت(١) ويديرونها عليها حتى يخرج جميع ما علق بها من الماء، وياتي معلم آخر ويخرج الرزمة من التخت وينترع الحصيرة العليا ويزيل الورقة التي تحتها ويجعلها على لوح، ويستمر على عمله إلى أن يزيل جميع ما بتلك الرزمة من الأوراق، ويجعلها بعضها فوق بعض وبها بقية بلل، فيضعها في خزين معد عنده لذلك، وقد أدخلني إليه فوجدته مملوءاً من ذلك، وقد أدخلني موضعاً أخر فوجدته مملوءاً من أطراف صغار من جلد البقر وأصفاق ورقائق الجلد، فيطبخون من ذلك شيئاً فشيئاً وماؤه هو بمنزلة النشا، فحين يطبخ يخرجون الماء من الطنجير ويصبونه في جابية من الحجر، ويأتون بالرزمة من الكاغيد، وقد يبست وتلاصقت أوراقها، فيجعلونها في ماء الجلد المذكور إلى أن يتخللها البلل.. ويجعلها تحت تخت، ويديره عليها الى أن يخرج جميع ما علق بها من الماء، ويخرجها من تحت التخت، ويزيل الأوراق واحدة بعد واحدة، بعد أن ينفخ على كل منها وينشرهم على أحبال حتى ييبسوا)(٣).

---

(١) التخت: آلة تستعمل لعصر الورق.

(٢) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ١٣١ - ١٣٢.

٣ . الزيوت والصابون

اشتهرت الأندلس بصناعة زيت الزيتون، وكان الزيت يستخلص بثلاث طرق وهي: العصر أو الطحن أو الغلي(١). وكانت معاصر الزيت منتشرة في مناطق لَوْشَة(٢) (Loja) , وبلّش(٣) (Velez) وغرناطة(٤)، وألش (Elche) وإشبيلية (Sevilla) . وقد كان في مدينة ألش مائة واحدى وعشرون معصرة بينما كان في مدينة إشبيلية أكثر من ثلاثمائة معصرة(٥). وكانت معاصر الزيت تدار إما بقوة الماء أو الحيوانات(٦).

وتعتبر مدينة إشبيلية من أشهر المدن الأندلسية التي اختصت في انتاج الزيت. ويمتاز زيتها بالرفعة والجودة لدرجة أنه يبقى برقته وعذوبته أعواماً دون أن يتغير طعمه (٧). ولذا كان يشكل تجارة رابحة لأهل إشبيلية، إذ احترف بعض السكان تجارة الزيت(٨)، فكان الفائض منه يصدر إلى سائر بلاد الأندلس وبلاد الروم والمغرب وإفريقية ومصر والإسكندرية، وقد يصدر بعضه إلى اليمن(٩).

---

(١) أشارت كتب الفلاحة الأندلسية الى بعض الطرق التي استخدمها الأندلسيون لعصر الزيتون واستخلاص الزيت منه، فمنهم من كان يبني بعضه على بعض بغصون الصفصاف ويلف عليه حبلاً ثم يكبسه باليد فيخرج الزيت النقي الصافي، ومنهم من كان يطحنه طحناً شديداً ثم يعصره فيخرج زيت أغلظ من الأول، ومنهم من كان يطحنه ويلقي عليه الماء الساخن ثم يرفعه في إناء لمدة ثلاثين يوماً فيخرج الزيت الصافي، وهو من أجود أنواع الزيت. انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص ٥٤ - ٥٥؛ أبو خير الأندلسي، الفلاحة، ص ٥٨ - ٥٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٩.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٩٤.

(٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ٧، ص ١٤٠.

(٤) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤١.

(٥) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص ٣٩ - ٤١، ١٥٨ - ١٥٩.

(٦) Imamuddin, The Economic History of Spain, P ١٨٦.

(٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤١؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥١.

(٩) الزهري، الجعرافية، ص ٨٩.

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اختصت بصناعة زيت الزيتون، مدينة شوذر (jodar) التابعة لجيان، وتعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها(١). ومدينة لورقة(٢)، ولَقّنت(٣)، وَقَبْرة(٤)، وتدمير(٥)، وقُلمرية(٦).

وبالإضافة لزيت الزيتون برع الأندلسيون في استخلاص الزيوت والأدهان من النباتات والبذور(٧)، ومن جملتها زيت الجلجلان والكتان والجوز والشيرج (زيت السمسم)، ودهن اللوز والبطم والقطن والسوسن ودهن نوى المشمش(٨) والبنفسج والبابونج(٩). وكانت هذه الأدهان والزيوت تستعمل بكثرة من قبل العطارين والصيادلة(١٠).

وكانت الزيوت تستعمل في تحضير أطباق الطعام الشهية، فضلاً عن استخدامها كمادة للإنارة، وعلى سبيل المثال نذكر أن مسجد قرطبة الجامع في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان يستهلك من الزيت سنوياً مائة وخمسة وعشرين قنطاراً(١١)، منها في شهر رمضان خمسة وسبعون قنطاراً، ومن هذه ثلاثون قنطاراً في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان(١٢).

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧.

(٢) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٥٢.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٢.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤ - ٥.

(٦) Imamuddin, The Economic History of SPain. P ١٨٦

(٧) كان لهذه النباتات والبذور معاصر خاصة بها حتى لا تختلط بزيت الزيتون. انظر: السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٢؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة ، ص ١٠٥.

(٩) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٧٥، ٩١.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤١ - ٤٢.

(١١) القنطار الواحد = اربع أرباع، والربع = ٢٥ رطلاً، والرطل = ١٦ أوقية. وبالتالي فإن القنطار = ١٠٠ رطل أي ما يعادل ١٦٠٠ أوقية. انظر: السقطي، في آداب الحسبة، ص ١٣، ٢٧ - ٢٨.

(١٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨ - ٢٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٧؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٤٩.

والزيت من المواد الأساسية التي تدخل في صناعة الصابون، كما كانت تستعمل في تحضيره بعض المواد الاخرى، كمادة القَطران التي كانت تستخرج من شجر العرعر(١). ويطلق على صانع الصابون وبائعه في الأندلس لقب "الصّابوني"(٢). ورغم قلة المعلومات الواردة عن هذه الصناعة، إلا أنه يفهم من بعض الإشارات انها كانت من بين الصناعات الأندلسية الرائجة، حيث كان الأندلسيون يعتنون عناية فائقة بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، "وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه"(٣). ومن هذه الإشارة يفهم أن مادة الصابون كانت متوافرة في أسواق المدن الأندلسية، ومن بينها أسواق مدينة قرطبة التي انتشرت بها دكاكين صناعة الصابون(٤).

كما يجب أن نأخذ بالاعتبار ظاهرة انتشار الحمامات العامة في المدن الأندلسية وما تستهلكه من مادة الصابون، وخاصة إذا ما علمنا أن عدد الحمامات قد وصل إلى (١٢٠٠) حمام في مدينة قرطبة وحدها(٥)، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

٤ . الخزف

اشتهرت الصناعات الخزفية(٦) في الأندلس منذ وقت مبكر، فوجدت في مالقة (Malaga) وبلنسية (Valencia) وطليطلة (Toledo) وقلعة أيوب (Calatayub) ومرسية (Murcia) وبرشلونة (Barcelona) (7). وامتازت المصنوعات الخزفية بتنوعها من حيث الشكل وطرق الزخرفة وأساليب الصناعة، إذ تأثرت هذه الصناعة بالمنتجات الخزفية الايرانية والعراقية والبيزنطية والقوطية(٨).

---

(١) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٢٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٥٠؛ المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٠٩.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص ٦٨٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٧٩.

(٦) الخزف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخّاراً ، واحدته خزفة، ويقال لمحترف هذه الصناعة الخزاف والفخار. انظر: ابن منظور، لسان العرب ج ٩، ص ٦٧؛ زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٢٢.

(٧) Williams, The Arts and Crafts II, P.١١٨ - ١١٩

(٨) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٩ - ٣٧٠؛ كولان، الأندلس، ص ١٧٩.
Imamuddin, The Econoic History of Spain, P. ٢٢٣

وبلغت الصناعة الخزفية منذ مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي درجة كبيرة من الإتقان والرقي. فبرع الفخارون في إنتاج أنواع عديدة من الأدوات والأواني الفخارية لتلبية احتياجات الناس ورغباتهم. ومن جملة ذلك: القدور والجرار والقلل والقصاع والأباريق والكؤوس والأطباق والصحون والقوارير والقناديل والمصابيح(١). وتدل البقايا الخزفية من آثار الزهراء (Alzahra) وإلبيرة (Elvira) وقرطبة (Cordoba) على وجود ثلاثة أنواع من الخزف في عصر الخلافة، وهي: الخزف الشعبي، والخزف المزجج، والخزف المذّهب(٢).

أما "الخزف الشعبي"، الذي شاع استعماله بين عامة الناس، فينقسم إلى نوعين: الأول، مجرد من الزخرفة، والثاني يزدان بزخارف ساذجة مدهونة بألوان مختلفة على سطح الآنية مباشرة، تمثل في معظم الأحيان رسوماً هندسية من دوائر ومعينات (٣). وأما الخزف المزجج، فقد عثر على كميات كبيرة منه مختلفة الأشكال والألوان، وكان من جملتها جرار مخروطية، وقدور ذات أربعة مقابض مزخرفة، وأباريق مختلفة الأشكال، وقلل، وقصاع، وقناديل، ومصابيح، وأكواب مخروطية، وطاسات مطلية باللون الأصفر والأخضر، وجرار وأطباق تحمل زخرفة مطلية باللون الأبيض على الطمي الأحمر، وتزدان بزخارف تمثل دوائر ومعينات ونقط وسيقان نباتية، وأطباق وصحون مزدانة برسوم حيوانية وآدمية، وكتابات كوفية حسنة الزخرفة، وقد جرت العادة أن تزدان الأطباق المزججة باللون الأصفر بزخاف من لون أسود(٤).

أما الخزف المذهب المسمى "بالخزف ذي البريق المعدني"، فقد ازدهرت صناعته في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ثم انتقلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(٥)، حيث اكتشفت قطع من هذا النوع في مدينة الزهراء، وأكبرها قطعة يظهر فيها رأس حصان، وهناك "قطع أخرى

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٧٠ - ٣٧٣.

(٢) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٢؛ عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ١٤٩-١٥٠.

(٣) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨٢؛ عاشور، المدنية الإسلامية، ص ١٨٨ - ١٨٩.

عليهـا كتابات وليست بذات أهميـة كبيرة. ولكن تفوق ما استـورد من قطع أخرى عثر عليهـا في الـزهراء وببشتر ومـدينـة سـالم، وتختلف عن تلك إلى حد يجعلنـا نوقـن بأنهـا صنعـت في إسبـانيا نفسها من طينـة .. ذات لـون شديد الصفـرة معتم في غير نقـاء، مـع وجود ضرب جديد من الكتابة الكوفية"(١). وإذا كانت المعلومـات المباشرة عنها تعوزنا فـالمعروف أنه كـان يعمـل في الأندلـس في القـرن الـرابع الهجـري / العـاشر الميلادي فخـارون مشـارقة، وفي مـدينة طليطلـة سجـل مـن ذلك العصـر يتضمـن إشـارة إلى أن القصاع المذهبة كانت من الصناعات المحلية فيها(٢).

وازدهـرت الصناعات الخزفيـة في الأندلس في عهد المرابطين. وكـانت أهـم مراكز إنتاجه في مالقة(٣) والمـرية(٤) (Almeria) وبحريط (Magerit). وهـذه الأخيرة اشتهرت بصناعة البرام (القدور)، التي تمتاز بقوتها ومتانتهـا وخاصيتها في حفظ الطعام، فكانت "تستعمل على النار عشرين سنة لا تنكسر، وما طبخ فيهـا لا يكاد يتغير في حر الهـواء وبردهـا"(٥). وبرع الفخـارون في صنـاعة الآنيـة والقلـل والقـدور وأقـداح الـوضوء(٦). وعرف المرابطون صنـاعة الأدوات الخزفية المـزججة والمـذهبة. وقد أشار السقطـي إلى صنـاعة الخزف المـزجج ذاكـراً أن "كل ستة أحمـال تراب طيبـة حمارية مـدروسة مغـربلة"، كانت تنتج " مـائتي قدر ثمينة وتزجج بربع ونصـف مـن الزجاج وتطبخ بأربعة أحمال حطب"(٧). وكانت مالقة من أشهر مراكز إنتاج الفخار المذهب في العصر المرابطي(٨).

وتميزت الأندلـس في أيام المـوحدين بإنتاج الخزف المـزجج المذهب، الذي اشتهرت صنـاعته في كـل مـن مرسية والمـرية ومـالقة(٩). كما اشتهرت صنـاعة الأواني الخـزفية المذهبة في قلعة أيوب، ومنها كانت تصدر إلى كل الجهات(١٠).

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب).

(٤) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٣.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧، ٧١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٣.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٧١.

(٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب).

(٩) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(١٠) الإدريسـي، نزهـة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٤؛ الحميري، صفـة جزيرة الأندلـس، ص ١٦٣؛ مـورنيو، الفـن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٨٣.

وكان يصنع في الأندلس نوع من الخزف المفصّص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع آخر يستخدم لتبليط البيوت يعرف "بالزُّلَيْجي" وهو يشبه المفصص، وله ألوان عجيبة، ويمكن أن يحل محل الرخام الملون الذي يستعمله أهل المشرق في زخرفة بيوتهم(١). وكانت إشبيلية (Sevilla) أهم مركز لصناعة الزليج في الأندلس، إذ حافظت على هذه الصناعة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي(٢).

واشتهرت مملكة غرناطة النصرية بإنتاج الخزف منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. واختصت بهذه الصناعة مدينة مالقة والمريةوبرجة (Borja) وأنتقيرة(٣) (AnteQuera) وأندراش (Andrax). وكانت منتجات أندراش خاصة، تمتاز بالجودة العالية نظراً لجودة تربتها(٤). ومن المحتمل أن مدينة غرناطة كانت مركزاً مهماً لهذه الصناعة أيضاً، فأحد أبوابها كان يسمى "باب الفخارين" كما أن أحد أرباضها يعرف بـ "ربض الفخارين"، وكانت تقع شمال شرق غرناطة قرية يقال لها "قرية الفخار"(٥). وتجدر الإشارة إلى تفرد مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب المتميز. وقد حظيت هذه الصناعة بشهرة واسعة في الداخل والخارج، ولذا كانت تشكل تجارة رابحة لأهل الأندلس، وكان الفائض منها يصدر إلى الأقطار البعيدة(٦) في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. وقد أشار ابن بطوطة (٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) - الذي زار الأندلس في أواسط هذا القرن - إلى الفخار المالقي قائلاً: "وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب، ويجلب منها إلى أقاصي البلاد"(٧).

وانتقلت صناعة الخزف إلى مدينة بلنسية الإسبانية في أواخر القرن الثامن الهجري، وكانت مدينة منسيس (Manises) الواقعة بالقرب من بلنسية هي مركز إنتاج الخزف المذهب المسمى "بالخزف ذي البريق المعدني"، الذي صدر من بلنسية إلى البلاد

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠٢. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٤، Williams, The Arts and Crafts, II, P ١٣٦ - ١٣٧

(٢) Williams, The Arts and Crafts, II, P ١٣٨.

(٣) محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩٢ - ١٩٣؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٤. رواية: (مسالك الأبصار)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٢٧، ١٣٧، ٢٠٠ - ٢٠١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٧. رواية: (مسالك الأبصار)؛ وثائق عربية غرناطية، ص ١٣٠ - ١٣١؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ١١٨. Williams, The Arts and Crafts II, P.١١٩.

(٦) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٥٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢.

(٧) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦٧٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٢. رواية: (ابن بطوطة).

الأوروبيـة في ذلـك القرن والقـرون التالية، فكان من آثار الحضـارة الأندلسيـة أنها علمت أوروبا فن استخدام الخزف وتجميل المباني به(١). وبذلـك انتقلت صناعة الخزف إلى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وغيرها من البلدان الأوروبية(٢). ومـا زالت هذه الصناعة قـائمة حتى اليـوم في بعـض المـدن الإسبـانية ولا سيمـا في إشبيليـة ومـالقة، ومـا زالت المتـاحف الإسبـانية تحـوي كثيراً مـن الأواني الخـزفية الأندلسيـة البـديعة الصنـع والزخرف(٣).

٥ . الزجاج

كـانت صناعة الزجاج معروفة في إسبانيا منذ العصور القـديمة. ورغم ذلك لم يكن إستعمـال الأواني الـزجاجية شائعـاً في الأندلـس في القرن الثـاني وبداية القـرن الثـالث الهجري / الثامن والتاسع الميلادي، إذ من المعروف أن زرياب الـذي دخل الأندلس في أوائل القـرن الثالث الهجري / كان أول من نصح الأندلسيين باستعمـال آنية "الزجاج الرفيع" بدلاً من آنية الذهب والفضة(٤). الأمر الذي أدى إلى نمـو وتطور هذه الصناعة في الأندلس إبان العهد الإسلامي.

وقـد نشطـت صناعة الزجاج في القـرن الثالث الهجري / التـاسع الميلادي، وممـا ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لها في أنحاء مختلفـة من الأراضي الأندلسية، حيث برع الأندلسيون في صناعة الزجاج من الحجارة والبلور الصخري (٥). وكان أبو القـاسم عبـاس بن فـرناس(٦) هـو أول مـن استنبـط بالأندلـس صنـاعة الـزجاج مـن الحجارة(٧).

---

(١) فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٣٠٩.

(٢) مـورنيو، الفـن الإسلامـي في إسبـانيا، ص ٣٨٥؛ عـاشور، المـدنيـة الإسلاميـة، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٣) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٤٧.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٢٢، ١٢٨. رواية: (ابن حيـان)؛ بروفنسـال، الشرق الإسلامي، ص ٢٣.
Imamuddin, The Economic History P. ٢٤١.

(٥) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٩.

(٦) هـو عباس بن فرناس التاكرني حكيم الأندلـس، وهو مولى بني أمية، الـذي اشتهر في عصر الحكم الربضي، وكـان فيلسوفاً حاذقاً وشاعراً مفلقاً، مع علم التنجيم. وهو أول من فك الموسيقـى، وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الأوقات على غير رسم ومثال، واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه بالـريش وطار في الجو مسافة بعيدة ثم سقـط، وتوفي في سنة (٢٧٤ هـ / ٨٨٧م)، انظـر: ابن سعيـد، المغرب في حلى المغـرب، ج ١، ص ٣٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٤.

(٧) ابن سعيد، المغرب، في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٣٣. رواية: (ابن حيان)؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٤.

وازدهرت صناعة الزجاج في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فبرع الزجّاجون في صناعة الأواني والتحف الزجاجية، ومن أمثلة ذلك الجرار والطاسات والقناني والأباريق والقوارير وأحجار الشطرنج، التي اشتهرت صناعتها في مدينة قرطبة(١). وهنالك بعض الأمثلة من نماذج هذه الصناعة ما تزال محفوظة إلى اليوم في بعض المتاحف الإسبانية، وهي تعود في تاريخها إلى عصر الخلافة، وتدل على تنوع في أساليب الزخرفة وطرق الصناعة، ففي إلبيرة قنينات كروية من الزجاج المنفوخ، وأخرى في الزهراء كمثرية الشكل واسطوانية، "وتمتاز إحدى القوارير التي بالبيرة وهي قمحية اللون، وكذلك الرقبة الطويلة لأحدى قوارير مدينة الزهراء، بأنهما يحملان في الجزء العلوي زخرفة من دوائر، وفي الجزء السفلي أنصاف دوائر في مجموعات قد صنعت بطريقة القوالب"(٢). كما أمدتنا مدينة الزهراء "بمجموعة من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة القوالب، وهي وإن كانت تتمشى مع طريقة فنية كانت شائعة في اوائل العهد الإسلامي بمصر، الا أنها قلدت بالأندلس على ما يظهر مع إتجاه زخرفي يفوق ما في مصر، وتنخرط في سلك الأسلوب القرطبي، وهي طاسات... غير ملونة ولكن تتخذ في حالات نادرة لوناً قمحياً أو أزرق مع زخرفة هندسية بطريقة القوالب"(٣).

واستخدم الأندلسيون الزجاج والبلور لتزيين مجالس القصور وابهائها. فجدران مجلس القبلق المسمى "بقصر الخلافة" (أحد قصور الزهراء) صنعت من الذهب والزجاج الغليظ الصافي، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس، وقامت على أعمدة من الرخام والزجاج الملون والبلور الصافي(٤). وفي هذا الصدد يشار الى قصر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة(٥) في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وذلك "أنه أتقنه إلى الغاية، وأنفق عليه

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٩ - ٤١١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٤٩؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٨٩.

Willams, The Arts and Crafts of Older Spain, II, p. ٢٣٢.

(٢) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص ٨٧؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٦ - ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(٥) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٤٥.

اموالاً طائلة، ووضع في وسطه بحيرةً، ووضع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء يتزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها، ويتصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيه لا يمسه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد فيه الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب"(١). وكان في ذلك القصر مجلس يقال له "المكرم" فيه "بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز"(٢). وكان فيه مجلس آخر يقال له "مجلس التطييب"، قد وضعت فيه أواني الزجاج، وفياشات (قناني) البلور المحفور، وقوارير المها المحكمة الصنعة، الرائقة الهيئة، التي كانت تستخدم لحفظ أنواع العطور المتخذة من المسك والعنبر ورشح البان وماء الورد(٣).

هذا، وتميزت بعض المدن الأندلسية بصناعة الأواني والأدوات الزجاجية المتنوعة، مثل: إشبيلية وبلنسية في عصر ملوك الطوائف(٤). ومالقة(٥) والمرية(٦) في عصر المرابطين. وفي هذا العصر، كان الزجاجون يصنعون القوارير والآنية وصنوج الموازين(٧). وكانوا يحرصون على ترك المصنوعات الزجاجية في أفران التبريد المعدة لهذا الغرض، مدة (٢٤) ساعة حتى تكتسب القوة والمتانة(٨). أما في عصر الموحدين، فقد اشتهرت صناعة الزجاج في كل من مرسية ومالقة والمرية(٩). وكان الموحدون يستخدمون الزجاج لتزيين منشآتهم العمرانية وخاصة المساجد(١٠).

---

(١) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٥٢٨ - ٥٢٩؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج ١، ص ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣. رواية: (ابن حيان)

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ١٣٢. رواية: (ابن حيان).

(٤) الأزدي، بدائع البدائه، ص ١٨٠؛ المقري، نفح الطيب، مج ٤، ص ٢٧١،
Williams, The Arts and Crafts of Older Spain, II, P. ٢٣٣.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب)

(٦) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ١٦٣؛ حمدي، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ٣٥٥.

(٧) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٠، ٤٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج ٢، ص ٢٥٣، ٢٨٩.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

(٩) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠٢. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٤.

(١٠) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٢.

١ . طحن الحبوب

كانت صناعة طحن الحبوب من الصناعات المزدهرة في الأندلس، وقد ساعد على ذلك وفرة المادة الأولية اللازمة، إذ انتشرت زراعة الحبوب في مختلف المناطق الأندلسية - كما ذكرنا أنفاً -، بالإضافة إلى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في الحياة اليومية. وكانت الحبوب تطحن بواسطة الأرحاء التي تدار بقوة الماء أو الحيوانات أو الرياح، وإن كانت الأرحاء المائية هي الأكثر استعمالاً في الأندلس، بسبب وفرة مياه الأنهار والعيون(١)، حتى أن الارحاء الطاحنة كانت تتخذ على بعض أبواب المنازل في كل من جيان (٢)وغرناطة(٣) وباغة (٤) وحصن يلوية من أعمال وشقة(٥).

وجرت عادةالأندلسيين على إقامة الأرحاء بالقرب من الجسور والسدود والأرصفة الواقعة على ضفاف الأنهار والعيون كما كان عليه الحال في المنكب(٦)، وفريش(٧)، وإستجة(٨)، وقبرة(٩)، وقلمرية(١٠)، وتطيلة(١١)، ووادي آش(١٢)

---

(١) انظر الزهري، الجعرافية ،ص ٨٠، ٩٧ -٩٨؛ المقري، نفح الطيب ،ج١، ص ١٢٦، ١٣٠ - ١٣١، ٢٢٦.

(٢) ذكر المقدسي ان في جيان اثنتي عشرة عينا ثلاث عليها ارحيةتقوم بالأندلس. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧١.

(٣) كان سور غرناطة وما وراءه يشتمل على أكثر من (١٣٠) رحى كما ذكر ابن الخطيب. ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص ١٣٩؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٥.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق ،ج٥، ص ٥٧١.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٦.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص ٣٥.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٠.

(٨) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ١٠٢.

(٩) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٩.

(١٠) المصدر نفسه. ص ١٦٤.

(١١) أشار الرازي إلى موقع أرحاء تطلية بقوله : "وعند باب تطيلة القنطرة المقامه على نهرإبرة، وتحت أقواس القنطرة الأرحاء التي تدفعها مياه النهر أبداً انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٦٩.

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢؛ الغساني، رحلة الوزير، ص١٥.

وطليرة(١)(Talavera) , وقونكة(٢) (Cuenca) , وبيانة(٣) (Baena) , وصَدِينِة (٤) وويذة (٥) (Huete) , وشلــب (٦) ومــالقة(٧) وبلــون(٨) ووادي بجانة(٩)(Guadpechina) , وقـرطبة(١٠) التي اشتهرت بكثرة أرحائهـا، حيث كان على واديها أكثر من خمسة آلاف حجر (١١) مخصصة لطحن الأقوات.

وابتكـر أهـل الاندلـس طـريقـة طحـن الأقـوات بواسطة الأرحاء المتنقلـة، وذلـك بتجليس هذه الأرحاء في القـوارب بحيث يكون بيت الرحى داخل القـارب والـدولاب يدور خارجه في الماء، وبهذا يسهل الأنتقال بها من موضع إلى آخر(١٢) لتقـديم الخدمة للنـاس وهم في مواقعهم. وكانت هـذه الطريقة متبعة في كـل من مرسية وسرقسـطة(١٣) وطرطوشة(١٤).

---

(١) طلبيرة: مدينة قديمة أزلية. تقع على نهر التاجة ،ولها عليه أرحاء كثيرة، ولهـا عمل واسع ومزارعها زاكية، وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤١٦.

(٣) بيانة: من أعمال قرطبة، تقع شرقي قبرة على بعد ستة أميال، وهي على ربوة مـن الارض طيبة التربة كثيرة المياه السائحة، ولها على نهرمربلة أرحاء كثيرة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٩.

(٤) صـدينة: مـدينة قـديمة مـن أعمال شـذونة، تطـرد المياه داخلها من عين ثرة تطحـن على جنـوبها الأرحاء، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٠.

(٥) وبذة مـدينة بالأندلـس، وهـي على واد بقـرب أقليـش. الحميري، الـروض المعطـار، ص ٦٠٧.

(٦) المصدر نفسه. ص ٢٤٢.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢٢.

(٨) نهـر بلون، يقع على بعد ميل من مـدينة جيان وهو نهركبير عليه ارحاء كثيرة. الإدريسـي، نزهـة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ١٨٣.

(٩) وادي بجـانة: يقـع على بعـد أربعـة أميـال مـن مـدينة المرية؛ الإدريســي، نزهـة المشتـاق، ج٥، ص ٥٦٢.

(١٠) تقـع قرطبة على نهرالوادي الكبير، وهو نهركبير عليه أرحاء كثيرة، مثـل أرحاء الزرادة وارحاء ناصح التي تقـع بين إشبيلة وقرطبة،. انظر: ابن حيـان، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، ص ٥٨؛ الإدريسـي، نزهـة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٥، ٥٧٩.

(١١) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٥؛ المقري نفح الطيب، ج٣، ص ٢١٧.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٢٨٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

(١٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٥، ص ٢٨٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٢.

(١٤) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

وكانت الأرحاء الهوائية قليلة الاستعمال إذ لم تشر المصادر الأندلسية إلا إلى ما كان موجوداً منها في طرّكونة(١)، ومدينة جبل طارق (Gibraltar) التي أمر بانشائها امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وذلك سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) (٢). وفي هذه المدينة الأخيرة صنع الحاج يعيش المهندس (٣) "رحى تطحن الأقوات بالريح"، ولكنها سرعان ما تعطلت عن العمل لعدم الاهتمام بها(٤).

أما الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات فكثيرا ما كانت تستخدم لتلبية حاجة الجند أثناء الحملات العسكرية، حيث ذكر ابن الخطيب انه كان مع الحاجب المنصورابن أبي عامر (٦) في صائفة سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م) مائة رأس: "تحمل ارحاء الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الأرواد"(٥).

وقد وصلنا نص يصف كيفية بناء الأرحاء الاندلسية ومقاييس أحجارها وأخشابها ومادة دواليبها وسدها وما يتصل ببيت الرحى من اصطبل للدواب وبرج. وذلك في نازلة وردت على ابن رشد (ت٥٢٠هـ / ١١٢٦م) من جيان، ومما جاء في وصف بيت الرحى: أن حجم كل حجر من أحجارها "شبر وثلث، وسعته أربعة أشبار ونصف بالشبر الوسط، وتكون دواليبها من البلوط بأعمدة الحديد، وقطب وحلق وصنوج وقنوات، ومنصب البيت أربعة من الألواح، ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة

---

(١) ذكر الحميري أن من الغرائب بطركونة أرحاء نصبها الأول تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها، انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٥ -٨٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٥٤ -١٥٥.

(٣) هو: الحاج يعيش المالقي، الذي يعد من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين، وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع المهمة، فهو الذي قام سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية، وتوصيله إلى داخل إشبيلية من قلعة جابر ، أنظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٨٥.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ١٨٨؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٥٥.

(٥) كان المنصور بن أبي عامر قد أرسل إلى منطقة الثغرالأعلى مائتي زوج من أزواج المطاحن التي تدار بقوة الحيوانات وذلك قبيل خروجه إلى قشتالة في صائفة سنة (٣٩٢هـ). ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ١٠٠- ١٠١ رواية (ابن حيان).

والسلل والأوتاد، ويخرج ماؤه في ساقية الرحى... (ويكون) في جوف بيت الرحى اصطبل للدواب سعته مثل بيت الرحى متصل بالبيت طوله أربعة الواح وأرتفاعة ثلاثة ألواح بالطابية(١). غلظ الحائط شبران بالشبر الوسط، وأسّه بالحجر والطين... وغطاؤه وغطاء بيت الرحى بالقرميد، ويشوّكون البرج المتصل ببيت الرحى المذكوره من ناحية الغرب بالجص..."(٢).

وكان الأندلسيون يطلقون على خادم الرحى اسم المكّاس او المقّاص(٣)، واحيانا الطحان، كما تشير إلى ذلك كتب الحسبة الأندلسية، التي أسهبت في الحديث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أصحاب هذه الحرفة(٤)

٢. صناعة السكر.

ازدهرت صناعة السكر (الطّبرزد) في الأندلس بفضل العرب المسلمين الذين أدخلوا إليها زراعة قصب السكر بعد الفتح(٥)، وقد نمت هده الصناعة وتطورت في ظل الحكم الإسلامي.

ويفهم من بعض الروايات التاريخية(٦) أن محصول قصب السكر كان كبيراً في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، وأن من أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه إلبيرة(٧) وغرناطة(٨)، والمرية (٩) وإشبيلية (١٠)، ومالقة(١١)

---

(١) الطابية: هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة أشبار. انظر: ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء ، ص ٥٢٩.

(٢) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٢، ص ١٢٠٣ - ١٢٠٦؛ إحسان عباس، نوازل ابن رشد، ص ٢٢.

(٣) الزبيدي، لحن العوام ، ص ١٧٠ ابن عبدون، في القضاء، والحسبة، ص ٥٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، ع٢، ص ١٨٠.

(٤) السقطي في آداب الحسبة، ص ٢٠ - ٣٠؛ ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ٥٣.

(٥) حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص ٢١٧؛ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٦٥ ÷ ٦٦.

(٦) انظر: القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٦١.

(٧) ابن غالب، فرحة الانفس، ص ٢٨٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.

(٨) غرناطة: هي أقدم مدن إلبيرة، تقع على بعدستة أميال من مدينة إلبيرة؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤.

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ٨٥.

(١٠) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٩٣؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٥.

(١١) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٥.

(Malga) والمنكب(١) وجليانة(٢) (Guillena) وشَمْجَلة(٣). ونلاحظ أن إنتاج السكر قد قل في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إذ كانت مدينة المنكب هي منطقة الإنتاج الرئيسية في الأندلس(٤). وبقيت هذه المدينة تحتل مكان الصدارة في إنتاج السكر وتصنيعه خلال عهدالدولة النصرية (دولة بني الأحمر ٦٣٥ - ٨٩٧هـ/١٢٣٧- ١٤٩٢م)(٥).

واستمر إنتاج السكر في الأندلس حتى سقوط الحكم الإسلامي هناك سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) لدرجة أن الإسبان سمحوا لعدد من المورسكيين - أو العرب المتنصرين - العاملين بزراعة قصب السكر بالبقاء في إسبانيا، لكنهم رفضوا، وترتب على رحيلهم تضاؤل كمية إنتاجه(٦).

ويجدر بنا أن نذكر أن السكر في القرون الوسطى كان يباع عند الصيادلة وأصحاب العقاقير(٧)، وكانت مراكز صناعته تعرف بالمعاصر والمطابخ والمسابك(٨). وكانت هذه المعاصر تشتمل على مايلي:(٩).

١ - التجهيز المائي: إذ كانت المعاصر تدار بقوة الماء التي تزودها السواقي بها.

٢ - قاعه الآلات (موضع المعاصر وآلات السحق).

٣ - قاعه معالجة السكر: وفيها توجد الأفران والمواقد والجفان والأواني، وبعد معالجة السكر يوضع في قوالب خاصة حيث يكون جاهزاً للاستهلاك(١٠).

---

(١) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١١.

(٢) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٥.

(٣) شمجلة: قرية قريبة من البحر من أعمال رية. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٣،ص ٣٦١.

(٤) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٠.

(٥) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج٢، ص ٢٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١١؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ج١٠، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٦) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٣٤٥.

(٧) بول برثي، قصب السكر، ص ٣٨.

(٨) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص ٥٤٦.

(٩) بول برثي، قصب السكر، ص ٣٥ - ٣٦.

(١٠) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٩٩.

٣ - صناعة الخمور.

كانت الخمور في الأندلس تصنع من ثمار التين والعنب وأصناف الفاكهة الأخرى(١) وذلك رغم تحريمها في الإسلام، وقد وردت بعض الإشارات التي تؤكد أن بعض الأندلسيين كانوا يشربون الخمر ويبتاعونها في أسواقهم(٢) وسمت بعض الأماكن التي كانت نقاط تجمع لشاربيها(٣) وذكرت أن بعضاً من القضاة(٤) والأمراء الأمويين كانوا يشربونها في مجالس الغناء والطرب(٥) هذابالإضافة إلى تغنى الشعراء بمجالس الشراب وأوصاف الخمر(٦).

وبذلت في عصرالخلافة (٣١٦ - ٤٢٢هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠م) جهوداً جادة لمنع صناعة الخمور ومكافحة شاربيها، إذ إن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) قرر قطع الخمر من الأندلس، وأصدر أوامره بإراقتها، وشدد في استئصال شجرة العنب ولكنه عدل عن رأيه عندما عرف أن الخمرة تصنع أيضا من التين ومصادر نباتية أخرى (٧) كما أصدر الحاجب المنصور أوامره بمنع شرب الخمر، "وشدد بأن لا يأتي شيء منه إلى الحضرة، أو يكون عند أحد"(٨).

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ق ١، ص ٤٣، المقري، نفح الطيب ج ٣، ص ١٢٤رواية: (الشقندي).

(٢) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٩٢، ١٩١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٤٣- ٤٥.

(٣) كما هو الحال في قرية منية نصر التي تقع شرقي قرطبة، حيث فيها موضع يتجمع فيه النبيذيون وينتجعه الظرفاء فلا يكاد يخلومنهم، الحميري، صفة جزيرة الأندلس. ص ١٨٧؛ حتامله، ملامح، ص ١٩١.

(٤) الازدي، بدائع البدائه، ص ٩٧ -٩٨.

(٥) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٩٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٥.

(٦) الكتاني، كتاب التشبيهات، ص ٨٨ -٩٧.

(٧) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ٤٣؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ٢١٤.

(٨) ويبدو أن المنصور قد نجح في ذلك، إذ أنه قال يوما لأبي جعفر ابن الغزال (أحد الاطباء): أريد أن تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه فامتثل أمره وجمع حوائجه وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق، وأخبر المنصور بذلك، فقال له:تطلبه من كل ناحية، وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لتكمل الترياق فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئاً منه فقال المنصور: والله ماكان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لاعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا.انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٣٦.

أما في عهد ملوك الطوائف، فكان الخمر أكثر شيوعاً في الأسواق الاندلسية، لدرجة أن الضرائب كانت تفرض على باعتها (١) وكان الملوك والامراء يشربون الخمرة في مجالسهم وباحات قصورهم (٢) وازدهرت صناعة الخمور في عهد المرابطين وانتشر شربها بين بعض أمرائهم وبين كثير من العامة، حتى أن ابن عبدون اقترح على المحتسب أخذ السلاح من الشباب قبل أن يشربوا في الأعراس،(٣) ولم تبذل الدولة الموحدية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية. ومنع الموحدون الخمر في دور الثورة، ولكن في طور الدولة أحلوا الرب المصنوع من العنب ولذا فإن الكثير من الناس كانوا يصنعون الخمر في منازلهم وبخاصة الفلاحين منهم (٤).

ومن المراكز المشهورة التي اختصت في تصنيع الخمور مدينة باغة من أعمال إلبيرة (٥) في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومدينة مالقة(٦) ومرسية(٧) ولقنت(٨) ولورقة(٩) وبلنسيةوإشبيلية(١٠) في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، كما اختصت غرناطة في إنتاج الخمر في ظل دولة بني الأحمر(١١). ويذكر أن غرناطة تتميز باعتمادها الكبير علىفصل العصير - الذي كان يقام عند جني محصول العنب وعصره - وفي هذاالفصل يترك أهل غرناطة دورهم ناقلين معهم ما يلزمهم من الأثاث والمتاع هم وعائلاتهم ومعهم من الأسلحة ما يردون به العدوان(١٢).

---

(١) ابن حزم، رسائل، ج٣، ص ١٧٦؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٩٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة ج٢، ص ١٢٢، ١٢٤.

(٢) الأزدي، بدائع البدائه، ص ١٠٧ -١٠٨، ٢٢٥، ٣١٠: (رواية ابن بسام)؛ عز الدين موسى،النشاط الاقتصادي، ص ٢٤١.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٤؛ عزالدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص.٢٤١

(٤) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ١٥٤. رواية: (الرازي).

(٦) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٣٢٤.

(٧) اختصت مرسية بتصنيع الخمر من التين والزبيب. ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ج٢، ص ٢٧٤.

(٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ٢٧٤.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧١.

(١٠) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٢.

(١١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠؛ انظر: فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٢.

(١٢) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٤٨.

٤ .الطباخة.

تعتبر الطباخة من الحرف المعروفة عند الأندلسيين(١). وكان المطبخ الأندلسي مشهوراً بمأكولاته المتنوعة، حيث كانت الأطعمة تقدم حسب نظام جديد أدخله زرياب (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م) إلى الأندلس. فكانت تقدم أصناف الحساء أولاً فالأطعمة المطبوخة باللحوم والطيور، فالمأكولات المتبلة بالخل والمري، فأطباق الحلوى. وبين كل صنف من هذه الأصناف تقدم أنواع الثرائد والعجائن(٢) ومختلف أطباق الكسكسو(٣). وكان زرياب هو أول من سّن في الأندلس أكل بقلة الهيليون المعروفة بالإسفراج(٤) وأكل التفايا(٥) والفول المعروف بالفول الزريابي(٦).

وكانت المطابخ العامة منتشرة في الأسواق الأندلسية، لتقديم خدمة الطعام والشراب لأصحاب الحرف والصناعات ولعامة الناس(٧) وتعد قرطبة من المدن المشهورة

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٦.

(٢) بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص ٢٣؛ بولنس، الطبيخ الأندلسي ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٣) الكسكسو: وهي "أنواع منها المسقى ويعرفه جميع الناس، ومنها الفتياني، ومنها نوع يصنع بفتات خبز الدرمك، وذلك أن يؤخذ الفتات ويحك بالكف في القصعة ... ويجعل في قدره المثقوب، فإذا خرج بخاره أنزل في قصعة وحك بالدسم أو يسقى بمرق اللحم المعدّ له" انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ١٨٠ -١٨١.

(٤) كانت بقلة الهليون تطبخ في العادة مع اللحوم وقد أشار صاحب كتاب الطبيخ إلى طريقة تحضيرها. انظر مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ ابن دحية، المطرب، ص ١٣٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٧.

(٥) التفايا: عدها صاحب كتاب الطبيخ من بسائط الأطعمة، وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضيرها من لحم الضأن الفتى السمين في قطع صغار، ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء، ومغرفة من الزيت العذب وماء، وتجعل على نار لينة، وتحرك ويجعل فيها بندق ولوز مقشر، ومنها تفايا مبيضة باللوز، وأخرى مقلية، مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٨٥-٨٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٨-١٢٩.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ٣٢١؛ ابن دحية، المطرب، ص ١٣٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٨.

(٧) اختص بعض الطباخين في تحضير الولائم في المناسبات العامة وفي حفلات الأعراس، وكانوا يتقاضون أجراً معلوماًمن صاحب العرس. انظر ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٢.

في هذا المجال، إذ تخصص أهلها في المطاعم والمشارب،(١) ووجدت في أسواقها أماكن خاصة للطباخين.(٢) وذكر صاحب كتاب الطبيخ أنه كان يطبخ خارج باب القصر - في قرطبة - في كل يوم خمسة أقفزة(٣) من الحمص، وذلك في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفه الحكم المستنصر.(٤)

واشترط المحتسب في المطابخ العامة أن تكون مجصصة مسطحة للتمكن من غسلها في كل الأوقات وعلى الطباخين مراعاة شروط النظافة العامة، كتنظيف أبدأنهم وملابسهم، وتنظيف الأواني والقدور المستعملة في الطبخ وتنظيف اللحوم وسائر المأكولات قبل طبخها، وتغطيتها "بمنديل نظيف"(٥).

أما الأدوات المستعملة للطبخ فكانت تتألف من: الصحاف والقدور والمقالي والمصافي(٦) والمهارس (جمع مهراس ويقال له الهاوون)(٧)، والمغارف والملاعق المتخذة من الخشب الصلب، والألواح الخشبية وعليها تقطع اللحوم وتمد أطعمة الخبز(٨) والآلة التي يصنع بها المركاس، وهذه تتخذ من الزجاج الأبيض أو من

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص٣٧.

(٢) ابن جُلْجل، طبقات الاطباء ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) القفيز: كان القفيز في قرطبة يتسع ل ٤٤ مداً من أمداد النبي (صلعم)، أي أنه كان يكيل ١٦، ٤٤ لتراً فالترهنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٨.

(٤) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٨١.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٥-٣٧؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٧٨-٧٩.

(٦) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٦ -٩٧؛ ابن هشام اللخمي، المدخل ،ج٢، ص ١٧٤، ١٧٧.

(٧) المِهراس: كان يتخذ من حجر الرخام الأبيض أو من عود يكون من الخشب الصلب مثل خشب البلوط أو البطم أو الزيتوت أو الدردار أو البقس أو العنّاب، وكان يستخدم لدق الملح والثوم والكزبره الرطبة والبصل والنعنع وغيرها من الأحباق والبقول، ولدق الفواكه مثل التفاح والسفرجل والرمان، واللحم والشحم واللوز والحشو الذي يصنع للكعك وأطعمة الخبز. انظر: ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٧٤؛ مؤلف مجهول كتاب الطبيخ، ص ٨٤.

(٨) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٨٤.

الفخار المزجج أو من الخشب الصلب، وآلة الأمخاخ المتخذة من الزجاج، والطواجن المتخذة من الفخار، والانية المسماة الفرطون (وهي شكل كأس كبيرواسع الفم وقعره ضيق)(١)، والمخوض وهي الأداة التي يحرك بها الشراب، والمسحتة وهذه تتخذ من الحديد وتستعمل لدق اللحم(٢).

كانت الأطعمة الأندلسية متنوعة تنوعاً فرضه تعايش الأجناس البشرية المتنوعة والمجموعات الدينية المختلفة، فكل له عاداته في الأكل ومحرماته وطرقه في الطبخ(٣) ومن أنواع الأطعمة التي كانت تطهى وتباع في الأسواق المركاس(٤) والأحرش(٥) والبلاجة والإسفنج والهرائس والمجبنات واللحوم المشوية والمقلوة(٦) وكان لهذه الأنواع من الأطعمة طباخون، هم: السفّاجون(٧) والهرّاسون(٨) والشوّاؤون والقلاّؤون(٩) وكان أهل الأندلس يصنعون المربى من السفرجل والتفاح والتوت والرمان والجوز والقرع والزنجبيل والشقاقل والأترج والجزر والصعتروالنعنع

---

(١) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢٧، ٣٧، ٨٥، ٩٠، ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ١٧٥، ٣٣٢.

(٣) بولنس، الطبيخ الأندلسي، ص ٥٦٧.

(٤) المركاس: نوع من اللحم المدقوق يحضر من لحم الضأن بحيث يحرك في قصعة بشيء من الزيت ويسير من المري النقيع وفلفل وكزبرة يابسة وسنبل وقرفة، ثم يضاف إليه الشحم ويعرك الجميع حتى يمتزج، ويحشى به المصران بواسطة آلة خاصة معدّة لذلك ثم يقطّع قطعاً صغاراً وكباراً، ويقلى بزيت عذب، فإذا نضج وأحمر صنعت له مرقة من خل وزيت، ويستعمل ساخنا. انظر مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢١،٢٤.

(٥) الأحرش: نوع آخر من اللحم المدقوق يحضّر من لحم الغنم الأحمر بحيث يحرك بشئ من المري والخل والزيت والثوم المدقوق والفلفل والزعفران والكمون والكزبرة، ويضاف إليه الشحم المقطع واللحم المقشر مدقوق ومقسوم ويسير من البيض، ويصنع منه قرص على قدر الكف أو أصغر، وتقلى بزيت كثير حتى تحمر ثم تصنع لها مرقة بخل وزيت وثوم، ويترك قسم منها دون مرقة فهي طيبة ولذيذة.انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢٢.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٦، ٣٧، ٣٩؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٧ -٩٨، ١٠١.

(٧) السفّاج: محترف إعداد الإسفنج" وهو من الفطائر المعروفة التي تتخذ من الدقيق والزيت، وتباع في حوانيت خاصة منذ الصباح الباكر انظر: عبد القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

(٨) الهراس: محترف إعداد "الهريسة"، ويقال هرست الشيء أهرسه هرساً إذا دققته دقا. فإن كثر منك الفعل فأنت هراس، فاما الهريس فالحب المهروس قبل ان يطبخ، فاذا طبخ فهو الهريسة. ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص٣٢٤.

(٩) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٧-٩٨، ١٠١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة ، ص٤٥.

والعنب(١) كما كانوا يصنعون الشراب والأشربة من التوت والكمثرى والتفاح والعناب والرمان والتمر الهندي والقسطل والحصرم، والصندل، والمصطكى(٢) والنعنع والجزر والريحان والبنفسج والأترج والبلوط(٣) ونظراً لما للأشربة من فوائد علاجية، كان الصيادلة يختصون بتصنيعها(٤).

وكان الأندلسيون يصنعون أصنافاً متعددة من الحلوى مثل: الكعك والمسمّنات(٥) والخبيص والزلابية(٦) والمجبنات؛ وهي نوع من القطائف تصنع من العجين وتحشى بالجبن وتقلى بالزيت، ثم يرش عليها السكر والقرفة المسحوقة. ومن الناس من يأكلها بالعسل أو بشراب الورد،(٧) ولما كانت مجبنات شريش (Jerez) تمتاز بجودتها ومذاقها الطيب، فقد قالوا في أمثالهم :"من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"(٨).

وكانوا يستعملون المجبنات في بعض المناسبات كحفلات الأعراس والختان والنزه التي كان يخرج إليها الأساتذة مع طلبتهم(٩) أما في الاعياد والمناسبات العامة فكانوا يصنعون تماثيل مختلفة من الحلوى مثل "مدائن ينير" التي كانت تصنع في عيد النيروز،

---

(١) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٧٧، ٨٩، ١١٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٤؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) المصطكى: هي صمغة معروفة تجلب من جزائر الرمانية، وشجرها من أصناف الضّرو وقد يوجد بالمغرب الأقصى مختلطاً بالضرو.انظر: ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص ٨٥.

(٣) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٧٥، ٨٩، ١٠٣، ١١٩، ١٣١، ١٧٣؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٦. مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢٣٥-٢٤٨.

(٤)السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص ٢٦٨.

(٧) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ١٩٩-٢٠٠؛ الزجالي، ق ١، ص ٢٣٤، المقري نفح الطيب، ج ١، ص ١٨٤.

(٨) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص ٢٣٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٨٤.

(٩) ابن سعيد، اختصار التقدح المعلي، ص ١٨٤.

وهي عبارة عن مدائن مصغرة ذات أسوار، ومما جاء في وصفها أنها كانت "تنقش وتصنع فيها أشكال من العجين مركبة على البيض المصبوغ بالحمره أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها، ثم يفرم الجميع بالزعفران، ويطبخ في الفرن، ويجمع إليه أصناف الفواكه، ويحتفل كل إنسان في انتخابها وتجويد صنعهتا، ويتباهى في الإنفاق فيها على قدرٍ وسعة واعتناء بذلك، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصاغر إدخالاً للسرور عليهم وتوسيعاً في الترفيه لأحوالهم، وتبشيراً بخصب عامهم، وتفاؤلاً لبسط الرزق فيه لهم، فيلهجون ويتمكن جذلهم، ويتفاخرون بمقاديرها بينهم، وتتمادى لديهم أياما بحسب كثرتها وقلتها، ثم يأتون عليها أكلاً وتفكهاً بما معها من أصناف الطرف والفواكه"(١).

أما "النصبات" -وهي نوع آخر من المدائن - فقد روي في احتفال أهل الأندلس بها: "... أن النصبة ببعض بلاد الأندلس -جبرها الله وأمنها -يبلغ ثمنها سبعين ديناراً أو يزيد على السبعين لما فيها من قناطير السكر... وأنواع الفواكه، ومن عراير التمر وأعدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز والقسطل والصنوبر والبلوط الى قصب السكر، ورائع الأترج والنارنج والليم..."(٢).

وكان المطبخ الأندلسي مشهوراً بأصناف مأكولاته المتنوعة، وهو وحده شاهد من شواهد الحضارة الغنية التي عرفتها شبه الجزيرة الأندلسية في العهد الإسلامي. وقد صنف بعض الأندلسيين كتباً في الموضوع تدل على تميز هذا المطبخ وتفرده بفنون المأكولات والمشروبات، ومن ذلك كتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي(٣). "وكتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين"، وهذا الكتاب الأخير يتناول صفة ألوان الطعام وطرق الطبخ ووسائله وكيفيات تقديمه وفوائده(٤)

---

(١) رواية: (المراكشي في كتابه الذيل والتكملة)، انظر: الزجالي، أمثال العوام، ق ١، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص ٢٣٩.

(٣) الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٨٤؛ بولنس، الطبيخ، ص ٥٦٥.

(٤) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ١٥، ٨٥.

فيتحدث عن صفة ألوان من اللحم المدقوق مثل المركاس والبنادق والأحرش(١)، واللحم المطهو والمشوي ، فيفصل الكلام عن شواء الدجاج ولحم الضأن والبقر(٢) والطيور(٣)، ويتكلم عن الأطعمة التي تقوم أساساً على الدقيق مثل أنواع الثرائد والعجائن والكسكسو والمجبنات والقطائف والسكريات والهرائس والفداوش والخبز وأنواع الحلوى(٤). ويتحدث عن الأطعمة المتخذة من الأسماك وألوان الحوت،(٥) والأطعمة المعمولة من الباذنجان.(٦) ويتحدث عن أصناف الشراب والأشربة والمعاجين ويذكر فوائدها العلاجية،(٧) ويشير في معرض حديثه إلى أسماء بعض المدن الأندلسية التي اختصت بصناعة الطبيخ مثل قرطبة وإشبيلية وشريش وطليطلة ولبلة(٨).

واهتم الأندلسيون بصناعة العسل(٩)، ومشتقات الحليب(١٠)، وحفظ الحبوب والفواكه اليابسة للاستفادة منها في أوقات لا تكون فيه متوافرة بشكل طازج،(١١) وتعتبر سرقسطة(١٢) وغرناطة(١٣) من أشهر المناطق التي اختصت بهذه الصناعة. وتبدو أهمية هذه الصناعة من إشارة كتب الفلاحة الأندلسية إلى أساليب تجفيف الفواكه وطرق حفظها(١٤).

---

(١) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٢١-٢٢، ٥٥، ٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩ -٣٢، ٥٦ -٦٠، ١٢٥- ١٣١.

(٣) مثل الحمام، اليمام، الزرازير، الحجل، الأوز. انظر المصدر نفسه، ص ٤٣، ٥١، ٦٩، ٧٠-٧٤، ٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٥، ٧٧، ١٧٩-١٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٢-١٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٥-٢٥٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٦، ١٧٦، ١٨٨، ٢٠٠-٢٠١، ٢٠٩.

(٩) كان العسل يصنع من عسل النحل وقصب السكر. ومن أشهر مناطق إنتاجه وتصنيعه: إشبيلية، باجة، الأشبونة (لشبونة) لبلة وأورية. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩١ -٢٩٢؛ القزويني، آثار البلاد.

(١٠) من اشهر مراكز هذه الصناعة: طليطلة، قلمرية، قلعة رباح وقادس. انظر: ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٢؛ ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة، ص ١٠٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢.

(١١) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠، حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩١.

(١٢) الزهري، الجعرافية، ص ٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٩٧.

(١٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠.

(١٤) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع، ص ١٦، ٣٢ - ٣٨، ٤٨ -٥٣؛ أبو خير الأندلسي، الفلاحة ص ٥١-٥٣:

واحترف بعض الأندلسيين الجزارة، وهي من الحرف التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي،(١) وعليها كانت تقوم بعض الحرف والصناعات الأخرى كحرفة (الكرّاش والسّلاخ والسّبار والطبّاخ ودابغ الجلود والحدّاد والرّواس (٢) والبلاج والسرّاج(٣). والفرّان والزّقاق(٤) والرّقاق(٥) والموّاق(٦) وبائع الأخفّاف والخفّاف والكبّار(٧) والدقّاف والحرّار(٨) والقرّان(٩) والغربال والشكّاز(١٠) وصانع الاوتار للعيدان وصانع المصحف والسقاء)(١١) ومن هذا تبدو لنا أهمية هذه الحرفة -الجزارة - وأثرها في الحياة الاقتصادية الأندلسية.

واحترف بعض الناس العطارة، وعرف واحدهم بـ (العطار)(١٢) واختص العطارون بصناعة وبيع مختلف الأعشاب والعقاقير الطبية، وأنواع العطور والطيوب ومن جملتها الحناء والعنبر والمسك والبخور والزعفران والبان والخولان

---

(١)ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٤٤٥.

(٢) الروّاس: محترف شيّ رؤوس الغنم وبيعها والجمع روّاسة: زمامة أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٤.

(٣) السّراج: صانع السروج وبائعها، زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

(٤) الزّقاق: الزق من الأهب، وهو كل وعاء اتخذ لشراب، وقيل هو الذي تنقل فيه الخمر، ويقال لصانعه الزقاق، ابن منظور، لسان العرب،ج١، ص ١٤٣.

(٥) الرّقاق: من الرق وهي الصحيفة البيضاء، وقيل: الرق، ما يكتب فيه وهو جلد رقيق، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٢٣.

(٦) الموّاق: الموق، ضرب من الخفاف يصنع من الجلد، والجمع أمواق، وقيل: وهو الذي يلبس فوق الخف، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٣٥٠.

(٧) الكبّار: صانع الطبول، فقد جاء في لسان العرب أن الكبر طبل له وجه واحد، وقيل هو الطبل ذو الرأسين وجمعه وكبارٌ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٠٦؛

(٨) الحرّار: من الحرر وهو خياطة الأدم، وقد خرز الخف وغيره يخرزه خرزاً، والحراز صانع ذلك وحرفته الحرازة. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٣٤٤.

(٩) القرّان، وهو الذي يستعمل قرون الحيوانات في بعض الصناعات مثل صناعة سنان الرماح، ابن منظور، لسان، العرب، ج١٣، ص ٣٣١.

(١٠) الأشكزّ ضرب من الأدم أبيض. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٣٦٢.

(١١) ابن مطروح السرقسطي، ص ٤١ - ٤٢ - ١١٣ - ١١٥.

(١٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٨٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ١٢٤، ج٣، ص ٤٧٨.

والفلفل والزنجبيل والسنبل والقرفة والمصطكى والكهرباء والأدهان المتخذة من النباتات والبـذور.(١) وكانت صناعة العطـارة من الصناعات الأندلسيـة المزدهرة بفضل النباتات الطبية والعطرية، وحسن استغلالها من قبل المسلمين.

واختص الصيادلة بصناعة المعاجين (٢) والأشربة والعقاقير الطبيـة والأكحال والشيافات والكافور والمسك والعنبر والزعفران (٣)

---

(١) السقطـي، في آداب الحسبـة، ص ٤١ - ٤٣؛ ابن عبـد الـرؤوف، في آداب الحسبـة، ص ٨٦ -٨٧.

(٢) كـانت المعـاجين تصنـع من ثمار الجـوز والسفـرجل والجزر والورد والبنفسـج والنعنـع والنـارنج والكراويا والقرنفل والمسك والقرصعنة وغيرها، وكان لها فوائد علاجية كثيرة. أنظر: مؤلف مجهول، الطبيخ، ص ٢٤٨ - ٢٥٤.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٤ - ٤٧.

١ - صناعة الأسلحة

برع الأندلسيون في صناعة أنواع عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية(١). وكانت الأسلحة الدفاعية تتألف من التّراس والدّروع والبَيْضات والدرق والتجافيف والسواعد والجواشن والمغافر. وكانت الأسلحة الهجومية الخفيفة تتألف من: السيوف والرماح والحراب والقسي والسهام والمزارق والطبرزينات (الفؤوس) والمعاول. أما الأسلحة الهجومية الثقيلة التي كانت تستخدم في حصار المدن، فكانت تتألف من: المنجنيقات والعرادات والدبابات.

وقد استخدم المسلمون "الدبابة" في بداية الفتح الإسلامي للأندلس، حين أمر القائد موسى بن نصير بعمل "دبابة" لنقب أسوار مدينة ماردة (Merida). وفي ذلك يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: وعمل موسى دبابة، "فدب المسلون تحتها الى برج من أبراجها، فنقبوا صخره، فلما نزعوا صخره أفضوا في داخله إلى الصماء التي يقال لها اللاشّه ماشّه بلسان أهل الأندلس، فنبت عنها معاولهم وفؤوسهم، فبيناهم يضربون فيها إذ استفاق عليهم العلوج، فاستشهد المسلمون تحت الدبابة، فسمي ذلك البرج برج الشهداء"(٢) والدبابة: هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبود من الجوانب لحماية الجنود الذين يعملون تحته، وكانت تتحرك على بكرات أو اسطوانات خشبية، فتدفع إلى الأمام حتى تلتصق بالأسوار(٣).

واستخدم الجيش الأندلسي من أدوات القتال في عهد الإمارة: القسي، وكانت تتخذ من قرون الأيل والتيوس البرية(٤) والجعاب، وهي أوعية السهام التي تتخذ من الجلد(٥) والسيوف التي اختص بصناعتها الصياقلة (جمع صيقل)(٦) والمزارق وهي الرماح

---

(١) ذنون طه، تنظيمات الجيش، ص ٢١.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ أنظر كذلك المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٠.

(٣) ذنون طه، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

(٤)القرطبي، تقويم قرطبة، ص١٠٥؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٩.

(٥) ابن سيدة، المخصص، ج٢، س٦، ص٦٩.

(٦) ابن سيدة، المخصص، ج٢، س٦، ص٢٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب،ج١، ص٤٢.

القصيرة(١)، والمنجنيقات، وهي من أسلحة الحصار الثقيلة، التي ترمي بواسطتها الحجارة والأنفاط، وهي آلة "لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبة خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر أو النفط منه فما يصيب شيئاً إلا عصف به عصفاً "(٢) وقد ورد أن الأمير عبد الرحمن الداخل استخدم ستة وثلاثين منجنيقاً في إحدى حملاته العسكرية على مدينة سرقسطة(٣)(Zaragoza). كما استخدم الجيش الاندلسي دروع الفضة لوقاية أجسادهم من ضربات العدو، فذكر ابن الكردبوس أن جيش المسلمين انتهى في أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط إلى "مائة الف فارس منهم عشرون ألفاً بدروع الفضة"(٤).

وتعد قرطبة وطليطلة من أشهر مراكز صناعة السلاح في عهد الإمارة. وكانت طليطلة تنتج أنواعاً عديدة من الأسلحة كالسيوف الفولاذية التي حظيت بشهرة واسعة، والدروع الحديدية والبيضات(٥) أو (الخوذات) التي تستخدم لحماية الرأس، وتصنع في العادة من الحديد، وقد سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام(٦) وكانت صناعة الأسلحة مزدهرة في طليطلة قبيل الفتح الاسلامي، ويبدو أنها توقفت بعد الفتح كنتيجة لحالة الفوضى وعدم الإستقرار التي صاحبت عملية الفتح، إذ إن من المعروف أن الأمير عبد الرحمن الأوسط، هو الذي عمل على إحياء هذه الصناعة في طليطلة، فتطورت وازدهرت من جديد، واستمرت فيها طوال العصر الإسلامي(٧).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٣٩؛ مؤلف مجهول،، أخبار مجموعة، ص٦٠.

(٢) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٥-١١٦؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص ١٩.

(٤) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٧.

(٥) Imamuddin, The Economic History of Spain, p٢٢٦،٢٢٩.
؛ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٥٣، ١٨٨؛ كيب، مدنية المسلمين في إسبانيا، ص ٤٣.

(٦) ابن سيدة، المخصص، ج٢، س٦، ص٧٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٢٤-١٢٥.

(٧) Imamuddin, The Economic History of Spain , p٢٢٩؛
عبد الرحمن زكي، صناعة السيف، ص ١١٨.

وحرص الأمويون في عصرالخلافة على تزويد الجيش الاندلسي بالمعدات والآلات الحربية اللازمة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطر الممالك المسيحية في الشمال(١). لذا حظيت صناعة الأسلحة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، فتقدمت تقدماً كبيراً وبلغت الغاية في الجودة والإتقان.

وقد أنشأ الخليفة عبد الرحمن "داراً لصناعة الآت السلاح للحرب" في مدينة الزهراء(٢)(Alzahra) . وكانت معامل الأسلحة تنتج أنواعاً مختلفة من العدد والآلات الحربية، كالرماح والأقواس والنبال والدروع والبيضات(٣) والحراب والتراس المذهبة والمفضضة(٤)، وهي من الأسلحة الدفاعية التي يتوقى بها، وتصنع في العادة من الحديد، ويقال لصانعها التراس(٥). والمغفر(٦)، وهذه تصنع من صفائح أو رقائق حديدية وتغطي الرأس كله باستثناء العينين والأنف والفم، ويلبس المقاتل تحتها كوفية تضم شعره(٧)، والدرق، وهي نوع من التراس تتخذ من الجلود، وتستخدم لحماية الجسم من ضربات العدو وسهامه(٨). والتجافيف، وهي التي توضع على الخيل من حديد أو غيره، وقيل: ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح(٩). والدبابيس، وهي أعمدة ذات رؤوس حديدية مدورة ومضرسة(١٠) والمنجنيقات، والعرادات (جمع عرادة)، وهي آلة

---

(١) حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥-١٩٦.

(٢) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣١٢.

(٣) الكتاني، التشبيهات، ص١٩٩-٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤-٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٠ -١٠١. رواية: (ابن حيان).

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٤٧-٤٨، ١١٧-١١٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص٨٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص٣٢؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص١٠١.

(٦) المغفر: قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس، وقيل زرد من الدرع ينسج على قدر الراس يلبس تحت القلنسوة، ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٢٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢٤٨.

(٧) Williams, The Arts and Crafts, I، ٢٢٤-٢٢٥

(٨) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، مج١٠، ص٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٣؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٩.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٣٠؛ ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص ٣٠٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨.

(١٠) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٩.

أصغر من المنجنيق ترمى بواسطتها الحجارة أو السهام أو قدور النفط(١). والسيوف المموهة بالذهب والفضة(٢) وأغمدة السيوف ومقابضها، وهذه تصنع من السّفن الذي يتخذ من جلود الأسماك(٣) والجواشن، وهي نوع من الزرد الذي يغطى به الصدر(٤).

ومما يصور تقدم وتطور صناعة السلاح في عصر الخلافة، الهدية التي قدمها ابن شهيد للخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م). إذ أنها كانت تشتمل على مائة ألف سهم من النّبال البارعة الصنعة، وألف ترس سلطانية، وثمانمائة من التجافيف التي تستخدم في أيام البروز والمواكب(٥). والهدية التي أنعم بها الخليفة الحكم المستنصر على حاجبه جعفر المصحفي يوم توليته الحجابة، وكانت تشتمل على مائة مملوك إفرنجي متقلدين "السيوف والرماح والدّروق والتراس والقلانس الهندية، وثلاثمائة ونيف وعشرون درعاً مختلفة الأجناس، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة بيضة هندية، وخمسون خوذة خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب [التي] يسمونها الطشطانة، وثلاثمائة حربة إفرنجية، ومائة ترس سلطانية، وعشرة جواشن فضة مذهبة"(٦).

وازدهرت صناعة الأسلحة كثيراً في عهد الحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر، حيث كانت المصانع تنتج في كل عام إثنى عشر ألف ترس عامرية لقصري الزهراءوالزاهرة(٧) وذكر ابن الخطيب في رواية أخرى أن "دار التراسين" كانت تنتج من أصناف التراس في كل سنة ثلاثة عشر ألف ترس، ومن أصناف القسي إثنى عشر ألف قوس، منها ستة آلاف قوس عربية تنتج في دار التراسين بقرطبة، وكان القائم على صناعتها رجل يدعى أباالعباس البغدادي، ويلقب "بالمعلم الأكبر".

---

(١)ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٦١، ١٧١-١٧٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٣، ص٢٨٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٣٠-١٣٣.

(٣) اختصت بهذه الصناعة مدينةمالقة كما ذكرنا سابقاً؛ انظر، الأصطخري، مسالك الممالك، ص٤٢.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٢، رواية: (ابن حيان)؛ ذنون طه، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

(٥) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣٠٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٣.

(٦) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص ٣١٢-٣١٣. رواية (ابن حيان)؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٨٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٨٥.

وستة آلاف قوس تركية -أي تصنع على نمط القوس التركي- تنتج في دار التراسين بمدينة الزهراء، وكان يتولى الإشراف على صناعتها رجل صقلبي يدعى "طلحة الصقلبي"، وكانت تنتج من أصناف النبال في كل شهر عشرين ألفاً(١).

واشتهرت مدينة سالم (Medinaceli) بإنتاج المجانيق والتراس والسهام وغير ذلك من العدد والآلات الحربية وقد زودت هذه المدينة الحاجب المنصور بستة مجانيق، ومائتي ألف سهم وخمسة آلاف ترس سلطاني، ومائتي زوج من أزواج المطاحن وآلات الحديد، وذلك حين خرج إلى قشتالة (Castilla) في صائفة سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م)(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض أنواع الأسلحة وأدوات القتال التي اصطحبها معه الحاجب المنصور في هذه الصائفة، فقد كان من جملتها: ستمائة ترس عامري، وألف ترس سلطاني، والفي حربة إفرنجية، والفي وَضَم للرَّجم، إضافة إلى الزيت والنفط والقطران، وآلات المنجنيق، وتوابيت النبال، والأخبية. وهذه الأخيرة كان يصنع منها في كل سنة ثلاثة آلاف خباء كعدة للجند(٣).

ويضاف إلى ذلك الكثير من الأسلحة المحفوظة في "خزائن السلاح"، والمعدة للتوزيع على رَّجالة قرطبة وغيرهم من حشود المتطوعين أيام البروز والاحتفالات. فقد كان في مدينة الزاهرة (Azzahira) وحدها أربعون ألف ترس، ومن أبدان* الدروع سبعة آلاف درع، ومن أصناف الدروع السوابغ والغلائل السابرية* خمسة آلاف درع، ومن الجواشن سبعمائة قطعة(٤).

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠١. رواية: (ابن حيان)؛ ذنون طه، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠١، رواية: (ابن حيان)؛ذنون طه،تنظيمات الجيش، ص٢٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٠-١٠١. رواية: (ابن حيان).

(٤) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص١٠٢. رواية:(ابن حيان)؛ ذنون طه،تنظيمات،الجيش، ص٢٢-٢٣. * البَدَن، هي الدروع بأنواعها السابغة: هي الدروع الواسعة. الغلالة، تلبس تحت الدرع من ثوب أوغيره، وربما كانت درعاً صغيراً تحت العُلْيا. ابن سيدة، المخصص، ج٢، ص٦، س٧٠-٧١.* السابري من الثياب: الرقاق، وكل رقيق: سابري، والأصل فيه الدرع السابرية، منسوبة الى سابور. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٤٢.

ومن الجدير بالذكر أن جميع أنواع الأسلحة في عصر الخلافة، كانت تحفظ في "خزائن السلاح"(١) المعدة لهذا الغرض في حال خروجها من المصانع، وكان يتولى الإشراف عليها موظف رفيع المستوى يطلق عليه اسم "خازن الأسلحة"(٢)، ولأهمية كان الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيينه وعزله،(٣) وعليه كانت تقع مسؤولية خزن السلاح وحفظه وتوزيعه على الجند عند الحاجة، ومثال ذلك أن الخليفة الحكم المستنصر "أنفذ عهده إلى الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان بجمع رجالة قرطبة من أحداثها وفتيانها المحسنين لحمل السلاح، واكتتاب أسمائهم على تطبيقهم في أرباضهم واعطائهم التراس والحراب من خزائن السلاح، ليشاهدوا يوم الموكب إلى الزهراء"(٤). وأن المظفر عبد الملك بن المنصور (٣٩٢-٣٩٩/١٠٠١-١٠٠٨م)، قد "عهد في غزوته التي فتح فيها حصن منغص من ثغر برجلونة إلى الخزان بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدراعين"(٥).

وكان المسلمون في عهد ملوك الطوائف يستعملون في حروبهم القسي العقّارة(٦) والتراس والنبال والرعادات(٧) وغيرذلك من أنواع الأسلحة التي اشتهرت صناعتها

---

(١) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٧؛ ابن حيان، المقتبس، ج٥،ص ٨١، ٩٧، ٤٤٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٩٢؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص ١٠٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٣١؛ التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية بالأندلس، ص ٣٩٨.

(٣) فمثلا في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ولى عبد الرحمن الناصر كلًا من عبد الملك ابن سليمان الخولاني، وموسى بن سليمان الخولاني خزانة السلاح، وفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) ولى محمد بن يمليح خطة السلاح، وعزل خلف ابن أيوب عنها. وتولاها الطيب أبو عبد الملك الثقفي في عهد الناصر والمستنصر، انظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، ٨١، ٩٧، ٤٤٨؛ ابن أبي أصيبة، عيون الأنباء، ص٤٩٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٨٧. رواية: (ابن حيان).

(٦) نوع من الأقواس الكبيرة التي شاع استخدامها في المغرب الإسلامي، وتميزت ببعد مداها، وكانت تستخدم في وضعية الجثو من قبل جنود أقوياء البنية، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٧٦.

(٧) الصنهاجي، التبيان، ص١٢٠.

في كل من طليطلة(١) وغرناطة(٢)وإشبيلية والمرية،(٣) ويبدو أن إنتاج الأندلس من الأسلحة في هذه الفترة حقق فائضا، فقد استورد يوسف بن تاشفين سنه (٤٧٤هـ/١٠٨١) كميات كبيرة منها(٤).

واهتم المرابطون بصناعة الأسلحة، بعد أن بسطوا سيطرتهم على الأراضي الأندلسية، فأكثر الأمير يوسف بن تاشفين من عمل السهام والمطارد* والعرّادات، وغير ذلك من الآلات الحربية(٥) واستخدم جيش المرابطين من أنواع السلاح الدرق، والرماح الطوال، والمزاريق، والتراس(٦) ولم يألف المرابطون في بدء أمرهم لبس الخوذات والدروع مثلما كان الأندلسيون يفعلون، لكن حروبهم مع النصارى الإسبان اضطرتهم لاتخاذها والأكثار منها خاصة في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،(٧) ومما يذكر في هذا الصدد أن مدينة وشقة(Huesca) اشتهرت بعمل الدروع والبيضات الرشيقة(٨)، وأن الأمير تاشفين بن علي (٥٠٠ - ٥٣٧هـ/١١٠٦ - ١١٤٢م)، أمر بضرب السهام وعمل التراس والدروع والبيضات والسيوف في مدينة غرناطة سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م)(٩).

أما في عهد الموحدين، فقد اهتم أهل الأندلس بإنتاج آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر.(١٠)وقد حرص الخليفة الموحدي عبد

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩.

(٢) الصنهاجي، التبيان، ص١٢٠.

(٣) عبد الرحمن زكي، صناعة السيف، ص١١٨-١١٩.

(٤) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٣٧-٣٨.

* المطرد: نوع من الرماح القصيرة. ابن سيدة، المخصص، مج١، س٦، ص٣٢.

(٥) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٦٨.

(٦) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١٧٥، المالقي، الشهب اللامعة، ص ٣٩٥ -٣٩٦.

(٧) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٢.

(٨) الزهري، الجعرافية، ص٨٢؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٠.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٤٥٧ - ٤٥٨.

(١٠) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

أما في عهد الموحدين، فقد اهتم أهل الأندلس بإنتاج آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر.(١)وقد حرص الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤- ٥٥٨هـ/١١٢٩ - ١١٦٢م) على "استجلاب الخيل للجهاد، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له كل يوم عشرة قناطير"(٢) وكانت أدوات الحرب المستعملة في عصره تتمثل في السيوف، والرماح الطوال والدروع والبيضات والتراس والقسي والسهام(٣) والدرق اللمطية(٤)، ثم صار الموحدون يتشبهون بالنصارى في أزيائهم وأسلحتهم، فكانوا يستوردون الأسلحة الإفرنجية من المناطق المجاورة لهم، لا سيما السيوف المعروفة بالبرذليات، نسبة إلى مدينةبرذيل أوبوردو (Bordeaux) الواقعة شمال مدينة برشلونة(٥).

وكانوا يعتمدون في حروبهم على التراس والدروع والرماح الطويلة الثقيلة، على عادة النصارى الذين يقاتلونهم(٦)، ولكنهم لا يعرفون الدبابيس، ولا قسيّ العرب، بل يستعملون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد، وهي تكون بيد الرجالة عندالاصطفاف للحرب(٧).

وتطورت صناعة الأسلحة تطوراً كبيراً في عهد الموحدين، ومما يدل على ذلك استخدام الجيش الموحدي للكرات الحديدية الملتهبة في دك الحصون، والمجانيق الكبار التي يرمي الواحد منها مائة ربع من الحديد(٨). واستخدامهم للمجانيق والسلالم والمساحي والفؤوس والمعاول والرقائق والحبال والدروع والسيوف والرماح والبيضات والتراس والدرق والقسي وذلك في الحملة العسكرية التي وجهها الملك الناصر محمد بن يعقوب (٥٩٥- ٦١١هـ/١١٩٨ - ١٢١٤م) إلى جزيرة ميورقة سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)(٩).

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٠١.

(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤٣، ١٣٧، ١٤٨، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٣٤٤ -٣٤٥.

(٥) قال ابن سعيد: وفي شمالي برشلونة مدينة بردال التي تنسب اليها السيوف البردالية. انظر: ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٨١؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص١١٤؛ ابن السباهي، أوضح المسالك، خ، ص٣٠/ب؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٥، ص٥٣ -٥٤. رواية: (ابن سعيد)؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣. رواية (ابن سعيد).

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣. رواية: (ابن سعيد).

(٨) عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي، ص٢٥٢.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٨.

هـذا، وقد كانت مرسية والمرية ومالقة وإشبيلية من أشهـر مراكز صناعة السلاح في العهد الموحدي(١).

أمـا سلاطين بني نصر ملوك غـرناطة، فقد استخدموا الأسلحـة التقليـدية المعروفة كـالسيوف والخنـاجر والدروع والـدرق والجـواشن والبيضات والقسـي والـرماح، التي اشتهـرت صناعتها في كل من المـرية وغرناطة (٢)، واستخدمـوا في حروبهم "الأمداس" وهـي "العصي الطويلة المثناة بعصى صغار ذات عرى في أوساطهـا، تدفع بالأنامل عند قـذفها"(٣)، والاقـواس القذافـة أو "راجمـات النبال" التي ترمـي مجمـوعة سهام دفعة واحدة، وتعرف باسم الأقواس الأفرنجية. وكان مشاة الجيش الأندلسي يتدربون بصورة مستمرة على هذاالسلاح لمايتطلبه من دقة في الرماية(٤)

كمـا استخدم الجيش الأندلسـي أنواعاً عديدة من الأسلحـة الخفيفة والثقيلة، حين خرج لفتح (حصن أشر) Lzanjar في عهد السلطان الغني بالله محمد بن يوسف (٧٥٥ - ٧٦٠هـ/١٣٥٤ - ١٣٥٨م). وفي ذلـك يقول ابن الخطيب الـذي رافق السلطان في هذه الحملـة: "واستصحبنا أعجالاً تحمل جوالقات السهام، وآلات الهـدم، وماعون النقب من الـدبابات والستـائر الخشبيـة والنفـوط والترسـة والـدرق إلى الحصـاصيد والسلالم"(٥) وغيرذلـك ممـا كـان ينتـج في مصـانع الأسلحـة المنتشـرة في مملكـة غـرناطةالنصرية.

وقـد تأثرت مملكـة غـرناطة بالنظـم الحـربية للبلاد المسيحيـة المجـاورة كقشتـالة وأرجون،(٦) وذلـك بعـد أن تمكـن النصـارى الإسبان من بسـط سيطـرتهم على معظـم الأراضـي الأندلسيـة، فأخذ المسلمـون يقلـدونهم ويتشبهون بهـم في ملابسهـم وشارتهم وأسلحتهم، لأن المغلوب - كما يقول ابن خلدون - " مولع ابداً بالاقتـداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" "كما هو الحال في الأندلـس لهذا العهد مع أمـم الجلالقـة، فإنك تجدهم يتشبهـون بهم في ملابسهم وشارتهـم والكثير مـن عوائدهم وأحوالهـم".(٧) وفي هذا الصدد يروي ابن الخطيب في وصـف ملابس الجيش الأندلسي

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠١ -٢٠٢، رواية:(ابن سعيد)؛ عبد الرحمن زكي، صناعة السيف، ص١١٨.

(٢) ابن الخطيـب، الإحاطـة، ج١، ص٥٣٤؛ ابن عـاصم الغـرناطي، جنة الرضا، ج٢، ص٢٣-٢٤؛ محمـد شبانة، يوسف الأول، ص١٩٨.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٢؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٩.

(٤) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص٩٣؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦ -١٩٧.

(٥) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج١، ص١٤٦، ١٤٨.

(٦) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٤٣-٤٤.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٦٢٠-٦٢١.

وأسلحته ما يلي:

(وجنـدهم صنفان أندلسي وبربري، الأندلسـي منه يقوده رئيـس مـن القرابة (أي قرابة السلطـان) أو أحظياء الدولة، وزيهم في القديم شبيه بزي جيرانهـم وأمثالهم من الروم في إسبـاغ الـدروع وتعليـق الترسـة وجفـاء البيضات، واتخـاذ عـراض الأسنـة وبشاعة قـرابيس السـروج واستركـاب حملـة الـرايات خلفهم: كل منهـم بسمـة تخـص سلاحه، وشهـرة يعـرف بها. ثم عدلوا الآن عـن هـذا الزي إلى الجـواشن المختصـرة والبيضـات المذهبة، والسروج العربية، واليلب اللمطية والأسل اللطفية"*(١).

واستخدم مسلمو الأندلس الزفت والقطران والنيران والمجانيق للدفاع عن مدينة المرية حين هاجمهـا البرجلوني صـاحب أرغـون (Aragon) سنـــة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، "فدافعهم المسلمون وطرحوا عليهم الزفت والقطران، ورموا بالنيران، حتى فـر النصارى عنهـا وتمكن المسلمون من كثير منهـم"(٢) وقد "كان لأهل البلـد- أي المرية -منجنيق واحد يرمون بها براً وبحراً بحسب الحاجة، فلما تكسرت لحجرأصابها صنعوا ثلاثة مجانيق أخرى".(٣) وفي ذلـك دلالـة واضحـة على تخصـص أهـل المـرية في صنـاعة الأسلحـة والمعـدات الحـربية، وبراعتهم في صنـاعة المجـانيق خاصة، وإشـارة جليـة إلى استخـدام الأسلحـة النـارية في الأندلس في أوائل القـرن الثامن الهجـري/ الـرابع عشر الميلادي.

ففي هده الفترة توصل المسلمون إلى اكتشاف خاصية جديدة للنفـط كمادة هادمة متفجـرة إذا اختلطـت بملح البارود أو النشـادر، وحصـى الحديد في درجة حرارة عـالية. وهــذا الإكتشــاف أدى إلى ظهــور المـدافع والأسلحـة النـارية.(٤) وقــد استخــدم

---

* اليلب: جلود يُخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة، وقيل: هـي جلود تلبس مثل الدروع، وقيل: جلود تعمل منها الدروع* والأسل: اسم يجمع بين النَّبل والرماح. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ع١. ص١٥، ٨٠٦.

(١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٩.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٣٨، ١٤١.

(٣) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٤٧.

(٤) العبادي، الحياة الإقتصادية، ص٣٥١.

وتطورت صناعة المدافع والأسلحة النارية حتى أضبحت من الصناعات المتقدمة عند مسلمي الأندلس. فصنف أحد الأندلسيين كتاباً متخصصاً في الموضوع، وهو كتاب "العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع"(١)، ومؤلف هذا الكتاب هو "إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي"(٢) وهو من بقايا مسلمي الأندلس (الموريسكيون أو العرب المتنصرون) الذين أخفوا إسلامهم، وكان خبيراً بالمدفعية وصناعة البارود، وقد ورث هذا العلم أبا عن جد منذ عصور الأندلس. وقد وصف المؤلف في هذا الكتاب كيفية صناعة المدافع والآلات الحربية البارودية، وكيفية إدارتها واستعمالها وتعميرها، ووصف اثنين وثلاثين نوعاً من المدافع المختلفة الأحجام والصناعة والأغراض، ووصف أصناف البارود، وأنواع الحجارة التي يقذفها المدفع، ووصف صناعة المدفع وطريقة وزنه بميزان خاص للتأكد من دقة إصابته للهدف. ومن الجدير ذكره أن هذا الكتاب مزود برسوم توضيحية ملونة لمختلف أنواع المدافع، ومختلف القطع التي تركب منها(٣).

٢ . سك النقود

السكة: "هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عدداً، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً. ولفظ السكة كان اسماً للطابع*، وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك، والنظر في استيفاء

---

(١) يوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة، إحداهما بخزانة الرباط العامة تحت رقم [١٤١]، ونسخة مصورة عنها في مكتبة الجامعة الأردنية، ميكروفيلم رقم [٢١٩]. وهذا الكتاب خارج نطاق دراستنا. ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته.

(٢) يرجع تاريخ هذا الكتاب الى أواخر القرن [١٠هـ] وأوائل القرن (١١هـ) /١٦ - ١٧م، وقد ألفه إبراهيم بن أحمد بلغة "الألخيمادو" الشهيرة، وهي لغة رومانية قشتالية تكتب بأحرف عربية، وقام بترجمته إلى العربية كاتب موريسكي يدعى الشهاب الحجري، أبا العباس أحمد بن قاسم. وقد توفي في تونس حوالي سنة (١٠٥٠هـ /١٦٤٠م). انظر: محمد عنان، من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي، ص ١١ - ١٩؛ انظر كذلك، الفنجري، العلوم الإسلامية، ج ٣، ص ٤٩ - ٥٠.

(٣) عنان، من تراث الأدب الأندلسي، ص ١٤ - ١٨؛ الفنجري، العلوم الإسلامية، ج ٣، ص ٥٠.

* يعرف الطابع الذي تطبع به الدنانير والدراهم في الأندلس باسم الروسم. انظر:ابن هاشم اللخمي، المدخل، ج٢، ص٢٠٨.

مسلمو الإندلس لمقاتلة النصارى الإسبان، آلات تقذف اللهب والحجارة ويصحبها دوي مخيف كدوي الرعد،(١) وظهرت براعتهم في استعمال هذه الآلات في عدة مواقع؛ ففي شهر رجب سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) حاصر سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج (٧١٣ - ٧٢٥هـ/١٣١٣ - ١٣٢٤م) مدينة أشْكُر (Huescar) في جنوب الأندلس " ونشر الحرب عليها، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة، طاق البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها... فعاثت عياث الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسراً على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر"(٢).

وفي وصف هذه الآلة العظمى يقول الشاعر أبو زكريا بن هذيل:

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما ... فحاق بهم من دونه الصعق والرعد

غرائب أشكال سما هرمس بها ... مهندمة تأتي الجبال فتنهد.

ألا إنها الدنيا تريك عجائباً ... وما في القوى منها فلا بد أن يبدو(٣)

ومما يذكر هنا أن المصادر الإسبانية المعاصرة في وصفها لأحداث هذه الحرب، أشارت إلى هذا السلاح الجديد. ففي حوليات ثوريتا الإسبانية، نجد العبارة التي تقول ما معناه: "وانتشرت الإشاعات أن ملك غرناطة يمتلك سلاحاً جديداً مبيداً(٤).

كما استعملت مثل هذه الآلات في موقعة وادي لكه(Rio Guadalete) سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، وفي الدفاع عن الجزيرة الخضراء سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) وذلك في عصر السلطان أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥هـ/١٣٣٢- ٢٣٥٤م)(٥) وفي الدفاع عن مدينة مالقة سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)(٦). ويبدو من وصف هذه الآلات أنها كانت نوعاً من المدافع الساذجة التي تحشى بالحديد والحجارة وبعض المواد الملتهبة، التي كانت فيما مضى عماد الحراقات أو الأنفاط الشرقية(٧).

---

(١) محمد عنان، نهاية الاندلس، ص٢١٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٣٨٥، ٣٩٨؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٧٨، ٨٥.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٣٩٨؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية،ص ٨٥.

(٤) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٥٢.

(٥) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص ٢١٢،

(٦) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٩٢-٩٣.

(٧) ذكر صاحب كتاب نبذة العصر أنه كان لصاحب قشتالة سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م. أنفاط يرمي بها صخوراً من نار، فتصعد في الهواء وتنزل على الموضع وهي تشتعل ناراً فتهلك كل من نزلت عليه وتحرقه. وقد استخدمها في حصار إلبيرة وحصن مكلين وقلبيرة. انظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٨٠ - ٨١، ٨٦؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص ٢١٢.

حاجاته وشروطه، وهي الوظيفة، فصار علماً عليها في عرف الدول. وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة"(١).

والسكاك: محترف صناعة ضرب النقود، وحرفته السكاكة(٢) أما صاحب السكة، فهو الذي يتولى مهمة الإشراف على دار السكة، ويكون من أهم واجباته الإشراف على ضرب العملة، والنظر في العملة المتداولة بين الناس في معاملاتهم التجارية، وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص(٣).

وكانت العملة في المجتمعات الإسلامية تضرب على شكل مستدير، وتتم الكتابة عليها في دوائر متوازية، يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهليلاً وتحميداً وصلاة على النبي وآله، وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة(٤).

وقد تأثرت العملة التي سكها المسلمون بعد توسع فتوحاتهم بمؤثرين قويين هما: الفارسي الساساني والبيزنطي، وكان أهم فرق بينهما أن النظام البيزنطي كان يسوده طابع المركزية الذي ميز الأمبراطورية البيزنطية وريثة الحضارة الرومانية، مما جعل السكة تكاد تكون موحدة في جميع أنحاء إمبراطوريتهم. أما الإمبراطورية الفارسية فقد انتشرت فيها سكك مختلفة متعددة. وأما المسلمون فإنهم بعد امتداد فتوحهم إلى شمالي إفريقية وإسبانيا كانوا أقرب إلى الأخذ بالنظام البيزنطي في سكة نقودهم، وكانت العملة المضروبة في الشمال الإفريقي تحمل اسم إفريقية والمضروبة في إسبانيا تحمل اسم الأندلس(٥).

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨٠٨ - ٨٠٩.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١٧، ١١٩، ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٤٧.

(٤) وذلك كما كان عليه الحال أيام الأمويين والعباسيين والعبيديين. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٠.

(٥) لويس، ملاحظات حول سكة النقود ، ص ٢٤٢.

وكان المسلمون في بداية الفتح الإسلامي للأندلس "يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق"(١) فضلاً عن استعمال النقود المضروبة في إسبانيا قبل الفتح. وقد تأثرت العملة التي سكها الفاتحون الأوائل بالعملة التي وجدوها في البلاد من حيث الشكل والنقوش، فكان يكتب على العملة في بداية عصر الولاة حيث كانت الأندلس تابعة لخلافة المشرق في هذا العصر - نصوص لاتينية إسلامية الطابع، وذلك في الفترة الواقعة ما بين سنة (٩٦ هـ/٧١٤م(، وسنة(٩٧ هـ/٧١٥م)، ثم أخذت تظهر اللغة العربية إلى جانب اللغة اللاتينية منذ سنة (٩٨ هـ/ ٧١٦)، ولكن هذه المرحلة لم تدم كثيراً إذ سرعان ما اختفت اللاتينية وبقيت العربية بصفة نهائية اعتباراً من سنة (١٠٢ هـ/٧٢٠م)(٢).

وفي عهد الإمارة استقلت الأندلس سياسياً عن المشرق الإسلامي، إلا أنها من الناحية الدينية بقيت تابعة للخلافة العباسية، إذ لم يجرؤ الأمراء الأمويون على التسمي بألقاب الخلافة، وفي هذا دليل واضح على أنهم ظلوا يحترمون الخلافة المشرقية ويخشونها، وقد ترك ذلك أثره على سكة نقودهم إذ أنهم لم يضربوا عملة ذهبية بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس(٣). ويؤكد ذلك ابن الفقيه الهمداني (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٢م) الذي أشار الى العملة المتداولة بين الناس في عهد الإمارة، ذاكراً أن للأندلسيين فلوسا "يتعاملون بها ستين فلساً بدرهم ودراهم تسمى طَبْلّيا"(٤). وقد كان الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من اتخذ داراً لسك النقود في مدينة قرطبة، وضرب الدراهم باسمه(٥). وكانت دار الضرب في موضع يقال له "باب العطارين"(٦)، مما يشير إلى وجود دار السكة خارج القصر في العهد الأموي.

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٢.

(٢) محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٧٨.

(٣) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٣.

(٤) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٨.

(٥) قال الرازي، أن عبد الرحمن الأوسط أحدث بقرطبة دار السكة، وضرب الدراهم باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب. انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٢.

(٦) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٨.

وكـان لبعـض الثوار الخارجين على بني أميـة في القرن الثـالث الهجـري / التاسع الميلادي دور سكـة خاصـة بهم، فـديسم بن اسحاق(١) الخارج على الأمير عبـد اللـه بن محمـد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) في مـدينة لورقة (lorca) مـن أعمال تدمير "عثر على معـادن الفضة بتدمير فضـرب الدراهم على اسمه". واستمـر على ذلك إلى أن غـزاه الأمير عبـد اللـه، فـأعلـن الـولاء والطـاعة وضـرب الـدراهم باسـم الأمير(٢).

ويبدو أن إنتاج دار السكة كان كبيراً في عصر الإمارة، إذ كـانت تصدر نقوداً في كل سنة بصفة مستمرة منتظمة، ومما يدل على ذلك التواريخ المنقـوشة على مجموعة من النقود المنتمية إلى هذا العصر والتي عثر عليهـا في منطقة إستيا (Esteila) في مملكـة نبرة (Navarra) شمال إسبانيا. الامر الذي يدل على قيام تبادل تجاري في ذلك الوقت مع هذه الدولة، ويؤكد النفوذ القوي الذي كان للنقود الإسلاميـة على إسبانيا المسيحية في تلـك الفترة، بل يمكن أن نؤكد أن الحياة الاقتصادية في الممـالك النصرانية بإسبانيا لا سيمـا الشرقية منها كانت تقوم على أسـاس هذه النقود، ومـن المحتمل أنها كانت تصل إلى الشمـال وتستعمـل هنـاك بعـد فترة قصيرة مـن ضـربهـا في عـاصمة الأندلـس الإسلامية(٣).

وكـان عهد الخلافة الأموية، عهد الاستقلال السياسي والـديني الكامل عن المشرق الإسلامي، إذ أعلن عبد الرحمن الناصر لدين الله قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٨م)(٤)، وأمـر بإنشاء دار للسكة داخل مدينة قـرطبة(٥)، لضرب الدنانير

---

(١) ديسـم بن اسحـاق: كان ديسم بن اسحـاق من فرسان عمر بن حفصون المنتزي ببشتر، ثم أنه ملـك لـورقة وغلظـت شوكته، وكثر اتباعه وأعلن بالخلعـان، وحارب أهل الطاعة، توفي بمـرسية سنـة ٢٩٣/ ٩٠٥م: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١ - ١٢.

(٣) لـويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٣؛ محمد عبد الحليم،العلاقات بين الأندلـس الإسلاميةوإسبانيا النصرانية، ص ٤٧٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٣.

(٥) قـال أحمد بن محمد الرازي؛ فيها اتخذ الناصر لدين الله دار السكة لعيـاره، وقد كان الضرب للنقد معطلاً قبله بدهـر، فعظمـت به منفعـة الناس واكتملـت خصـال دولتـه. انظر: ابن حيـان، المقتبـس، ج ٥، ص ٢٤٣.

والدراهم من خالص الذهب والفضة، وفي ذلك يقول ابن حيان: وفي سنة ٣١٦هـ "أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم، فاتخذت هناك على رسمه، وولى خطتها أحمد بن محمد بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان منها، فقام الضرب فيها من لدن هذا التأريخ من خالص الذهب والفضة"(١). وكانت هذا الدار تصدر في كل سنة مائتي الف دينار، وكان هذا مرتبطاً بالرخاءوالازدهار الاقتصادي الذي بلغته الأندلس في تلك الفترة(٢).

وقد حظيت دار السكة باهتمام خاص في عهد الخلافة، إذ نلاحظ أن اسم "صاحب السكة" كان يضرب على قطع النقد إلى جوار اسم الخليفة(٣). وكان الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيين وعزل صاحب السكة(٤)، الذي كان يختار في العادة من بين العائلات المشهورة، ومن رجالات الدولة المقربين للخليفة كالوزراء والولاة والقضاة(٥)، ومنهم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مثلاً: أحمد بن محمد بن موسى بن حدير، الذي تولى السكة سنة (٣٢٠ هـ/ ٩٣٢م)، ومحمد بن فطيس سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، وسعيد بن جساس سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣، وعبد الله بن جساس سنة (٣٢٧هـ / ٩٣٨م) ثم تولاها سعيد بن جساس للمرة الثانية، واستمر فيها إلى أن عزله الناصر سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)(٦). وفي هذه السنة تولى الإشراف على دار السكة قاسم بن خالد "صاحب العيار الجيد المضروب به المثل إلى اليوم"(٧) واليه تنسب "الدراهم القاسمية"(٨) التي شاع استعمالها في البلاد، حتى أنه ورد ذكرها في بعض دساتير مملكة ليون (Leon) تحت اسم (Kazimi) أو (Cathimi), مما يدل على رواجه في إسبانيا المسيحية(٩)، وأثره في الحياة الاقتصادية آنذاك.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٢٤٣؛ ص ٢٤٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢١١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤.

(٣) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ١٠٨ - ١٠٩؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، ٤٧٠، ٤٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢١٥.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٤، ٤٨٦؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٤١، ٧٢؛ ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، مج ١، ص ٦٣.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٣. رواية: (أحمد بن محمد الرازي).

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٨) الدراهم القاسمية: منسوبة إلى عامل دار ضربها وكانت فضة خالصة بالكيل القرطبي، انظر: ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٤٨٦ - ٤٨٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦١.

(٩) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٩، هامش رقم (٢).

وكان عبد الرحمن الناصر يباشر موضوع السكة بنفسه، ويشتد في عقاب كل من يحاول التلاعب بالعملة، ففي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)، "عزل الناصر لدين الله سعيد بن جساس عن خطتي الوزارة والسكة معاً، وسخط عليه وحبسه مهاناً، لما اطلع عليه من غشه في السكة وعملها، وبدا له من فساد نقد المال، الذي ضرب في مدته"(١). وفي سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) عزل "عبد الله بن محمد عن السكة، وسخط عليه لتقصير ما كان فيه، وأمر بسجنه"(٢).

وفي هذه السنة نقلت دار السكة من قرطبة إلى مدينة الزهراء، بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣)، وقلدها عبد الرحمن بن يحي الأصم"(٤). حيث أغلق دار السكة بقرطبة، مما يؤكد طابع المركزية في سك النقود، وحرص الخليفة على إصدار عملة موحدة يتم التعامل بها في جميع أرجاء البلاد.

أما أشهر من تولى دار السكة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فهو وزيره جعفر ابن عثمان المصحفي، الذي ينسب إليه "الدينار الجعفري" المشهور بالأندلس(٥) كما تولى خطة السكة قاضي إشبيلية وصاحب المواريث محمد بن أبي عامر الملقب بالحاجب المنصور، وإليه تنسب الدنانير العامرية(٦) وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) تقلدها صاحب الشرطة العليا بجيان يحي بن إدريس الذي قال عنه ابن حيان: أنه لم يستقل بأمر السكة "ولا تهيأ له قعود فيها ولا ضرب ديناراً ولا درهماً إلى أن صرف عنها بأحمد بن حدير في صدر رمضان من هذه السنة"(٧).

وقد تولى الخلافة بعد وفاة المستنصر ابنه هشام المؤيد (٣٦٦ -٣٩٩هـ/٩٧٦ -١٠٠٨م) فحجر عليه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، ولم يترك له سوى الخطبة "والضرب باسمه للدينار والدرهم"(٨).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٤٨٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٢٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٤.

(٥) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٧.

(٦) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، ع١، ص٦٣؛ المراكشي، المعجب، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ع٣، ص٨٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس،ص ٧٢.

(٨) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٢.

وكان النشاط النقدي في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، امتداداً لما كان في عصر الخلافة. ونلاحظ أن النقود التي سكها بنو حمود ملوك مالقة (Malaga) في ذلك الوقت، كانت تشبه إلى حد كبير نقود الخلفاء الأمويين. إلا أنها تختلف عنها في أن هؤلاء كانوا يهتمون بنقش اسم ولي العهد على قطعهم، ولعل ذلك كان محاولة لضمان الاستقرار السياسي في تلك الفترة التي تميزت بالاضطراب والصراع الداخلي المتواصل(١). وكان من مميزات عصر الطوائف أنه بالرغم من تمزق الدول الأندلسية، وكثرة الامراء المتغلبين على سائر أجزائها فإن النقد كان موحداً، وقد كانت معظم قطع النقود تضرب باسم الخليفة هشام المؤيد حتى بعد وفاته، وكان يصحب ذلك نقش اسم الأمير المتغلب على كل ناحية إلى جوار اسم الخليفة باعتباره حاجباً له(٢).

وكانت النقود في عصر الطوائف تضرب من الذهب والفضة، ومثال ذلك النقود التي ضربها بنو جهور ملوك قرطبة.(٣) وبنو عباد ملوك إشبيلة.(٤) ويفسر ذلك بنصيب ملوك الطوائف المحدود من الغنى والثروة إذا ما قسناهم بخلفاء بنى أمية، وكذلك بقلة وسائلهم الصناعية ودور سكهم بعكس ما كان في عهد الخلافة حين كانت دار سكة قرطبة وحدها تقوم بطبع نقود الأندلس كلها، حيث تركزت جودة الصناعة ومهرة الصناع حينئذ في العاصمة(٥).

وقد بقي أثر النقود الإسلامية على حياة إسبانيا المسيحية في هذه الفترة رغم ازدياد قوتها السياسية والعسكرية، وتعليل ذلك أن ملوك اسبانيا كانوا يتقاضون جزية نقدية سنوية من ملوك الطوائف مقابل الكف عن قتالهم، الأمر الذي ساعد على انتشار العملة الإسلامية في ممالك إسبانيا المسيحية.(٦)

---

(١) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ٦، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٤) ابن رشد، فتاوى، ج١، ص ٥٧٠ - ٥٧١.

(٥) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤.

(٦) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤ - ٢٤٥؛ محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

وأما المرابطون فلم يسكوا نقوداً في الأندلس إلا بعد سنة (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وكانوا يسكون نقودهم قبل ذلك في إفريقية(١). وكانت العملة الرئيسية للدولة المرابطية هي الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد في الدولة. فقد ضرب يوسف بن تاشفين دنانير ذهبية مستديرة الشكل، وكتب في أحد وجهيها العبارة التالية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحت ذلك "أمير المسلمين يوسف بن تاشفين"، وكتب في الدائرة الآية الكريمة التالية: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين" وكتب على الوجه الآخر ما يفيد الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية الروحية ونصه: "الأمير عبد الله العباسي"، وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه(٢). وكان أول من ضرب الدراهم المرابطية في الأندلس، تميم بن بلقين(٣) صاحب مالقة، الذي قدم فروض الولاء والطاعة ليوسف بن تاشفين(٤). وكان اسم ولي العهد ينقش على النقود المرابطية ابتداءً من أيام علي بن يوسف بن تاشفين(٥).

ومن أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين: الدينار المشرقي (وهو مشوب بالنحاس)، والدينار العبادي (وهو مخلوط بالفضة)، والدينار المرابطي (وهو ذهب خالص). ومن أنواعها الدراهم الثلثية (وهي فضة مشوبة بالنحاس)، والدراهم الثُمنيه، والقراريط اليوسفية، التي تنسب إلى يوسف بن تاشفين(٦)، وكانت تضرب من الفضة(٧). وقد كانت النقود المرابطية بوجه عام أكثر جودة في الصناعة من نقود عصر الطوائف، بسبب وحدة الدولة وقوتها السياسية، وتحسن أوضاعها

---

(١) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٤٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦ - ١٣٨؛ انظر كذلك: حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣١٩ (٣) هو تميم بن بلقين بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب مالقة وأخو عبد الله بن بلقين أمير غرناطة. انظر: الصنهاجي، كتاب التبيان، ص ١٦٢.

(٤) الصنهاجي، كتاب التبيان، ص ١٦٢.

(٥) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٦) ابن رشد، فتاوى، ج١، ص ٥٧٠ - ٥٧٢؛ إحسان عباس، نوازل ابن رشد، ص ١٢ - ١٣.

(٧) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٤.

الاقتصادية(١). وانتشرت دور سك العملة في أنحاء مختلفة من الدولة المرابطية. فضرب المرابطون العملة الذهبية والفضية في مدن: إشبيلية (Sevilla)، والجزيرة الخضراء (Algeciras)، وغرناطة (Granada)، وقرطبة (Cordoba)، ومالقة (Malga)، وشريش (Jerez) وقُونكة (Cuneca)، وبلنسية (Valencia)، وشاطبة (Jativa)، ودانية (Denia)، والمريّة (Almeria)، ومارْتُلة (Mertpla)، وسرقسطة (Zaragoza)، ومرسية (Murcia) (٢)، ولذا كانت العملة المضروبة مختلفة ومتعددة.

وقد ظلت النقود المرابطية - لا سيما المضروبة في مرسية منتشرة بشكل واسع بين المسيحيين، ومما يدل على ذلك هذه العملة التي جرى مسيحيو قشتالة على تسميتها بـ (Morabetinos Lopinos) التي ظلوا يتعاملون بها خلال فترة طويلة من الزمن.(٣)

أما الموحدون، فقد سكوا نقوداً مربعة الشكل، وكان المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في المغرب أول من ضرب الدرهم المربع، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مستديرة(٤)، ويؤكد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) بقوله: "ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملأ من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً، ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد"(٥).

وقد جرى خلفاء الدولة الموحدية على سنة المهدي في ضرب النقود، فضربوا الدراهم والدنانير المربعة(٦). وكان ينقش على العملة الموحدية عبارات دينية وسياسية، تمثل ثورتهم الدينية مثل "الله ربنا ومحمد نبينا والمهدي إمامنا" و "لا قوة إلا بالله"(٧).

---

(١) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٢) عز الدين موسى؛ النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣؛ حمدي، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٢٠.

(٣) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١١.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص ٨١٠.

(٦) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١١.

(٧) المصدر نفسه ص ١١١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

وقد بلغ الدينار الموحدي ضعف الدينار العادي في الوزن، ولهذا عرف باسم Dobla-وهي عملة ذهبية - عند النصاري. وضرب الموحدون في أيام أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٨م) نصف دينار موحدي يزن ديناراً عادياً. وكان الوزن القانوني للدينار قبل الموحدين (٢ر٣٥جرام) فأصبح (٤ر٧٠جراماً).(١).

وكانت الدراهم تضرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، حيث كانت "ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها، إلى أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه اليعقوبية"(٢)، بينما كان الدينار الموحدي يضرب بمدينة فاس والأندلس، حيث كان فيهما دارا سكة أُعدتا لهذا الغرض، ثم نقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور (٥٩٥ - ٦١٠هـ/ ١١٩٩ - ١٢١٣م) لدار أعدها في قصبة أو (قلعة) مدينة فاس حين بناها سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م)، ومنذ ذلك الوقت أصبح الدينار الموحدي يضرب في هذه الدار فقط(٣).

وأما العملة التي سكها سلاطين بنو نصر في مملكة غرناطة، فقد كانت من الفضة الخالصة والذهب الإبريز(٤). وقد احتفظت الدراهم الفضية بالتقليد الموحدي فيما يتصل بهيئتها، أي أنها كانت مربعة لا مستديرة فكان لهم درهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين(٥).

وكانت العملة المتداولة بين الناس في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، هي: الدينار، والدرهم، والقيراط (وهو نصف الدرهم)، والربع (وهو نصف القيراط)(٦). وقد قدم لنا ابن الخطيب - المعاصر لهذه الفترة - معلومات تفصيلية عن هذه العملة، فذكر أن وحدة الوزن بينها جميعاً هي (الأوقية)، والتي كانت تعادل في الوزن سبعين درهماً، في حين كان الدينار الواحد يساوي ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية، وكانت الأوقية تساوي ستة دنانير وثلثي دينار"(٧).

---

(١) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١١؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٣.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٧) المصدر نفسه.

وأشار ابن الخطيب إلى الكتابات التي كانت تنقش على العملة، فالدرهم كتب على أحد وجهيه عبارة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر شعار بني الأحمر ومكان الضرب (لا غالب إلا الله، غرناطة)، والقيراط كتب على وجهه الأول (الحمد لله رب العالمين) وعلى وجهه الثاني (وما النصر الا من عند الله). وكتب على الربع في شق (هدى الله هو الهدى) وفي الشق الآخر (العاقبة للتقوى). أما الدينار، فقد كتب على أحد وجهيه الآية الكريمة (قل اللهم مالك الملك بيدك الخير) وفي الدائرة قوله تعالى: (إلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم). وكتب على الوجه الثاني اسم الأمير الذي ضربت في عهده العملة وهو (الأمير عبد الله يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحجّاج، بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن نصر، أيد الله أمره)، ويستدير به شعار هؤلاء الامراء (لا غالب إلا الله). أما الدينار الذي ضرب في عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر، فقد كتب على وجهه الأول قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" ويستدير به شعار بني الأحمر (لا غالب إلا الله)، وعلى الوجه الثاني (الأمير عبد الله الغني بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر، أيده الله واعانه) وفي الدائرة ضرب (بمدينة غرناطة حرسها الله)(١).

والعملة المتداولة في الأندلس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تعرفنا عليها من خلال كتاب (وثائق عربية غرناطية)(٢) الذي زودنا بمعلومات قيمة عنها، إذ يرد في هذه الوثائق ذكر للدينار الفضي العشري(٣)، وللدينار الذهبي العيني الجديد من سكة السلطان أبي عبد الله الصغير(٤)، وللدينار العيني السعدي (أي من ضرب السلطان سعد)(٥)، ولدينار الذهب من السكة البالية المطبوعة(٦)، والسكة الجديدة الطيبة(٧). كما يجدر ذكر الدنانير والدراهم الفضية الغالبية (نسبة الى السلطان الغالب بالله)(٨)، والريالات القشتالية التي شاع استعمالها في غرناطة خلال هذه الفترة(٩).

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٣ - ١٤٤. ومن الجدير بالذكر أن الامير محمد تولى الحكم في سنة ٧٩٣ - ٧٩٧هـ/ ١٣٩٠ - ١٣٩٤م.

(٢) وثائق عربية غرناطية، ص ١٨ (مقدمة)

(٣) انظر: وثيقة رقم (٨٧)، المؤرخة بـ (٢٩ صفر ٨٩٩هـ /٧ ديسمبر ١٤٩٣م)، ووثيقة رقم (٩٢)، المؤرخة بـ (١١ جمادى الثانية ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٣٧، ١٤٤.

(٤) انظر: وثيقة رقم (١٩أ)، المؤرخة بـ (٢٨ جمادى الأولى ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٨مقدمه، ٤٠. وأبو عبد الله الصغير، هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سعد الذي شهد تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكين فرديناند وازبيلا سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، انظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ١١٦ - ١٣٢.

(٥) وثائق عربية غرناطية، ص ١٨مقدمه. والسلطان سعد هو سعد بن على بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة، كان يلقب بأمير المسلمين المستعين بالله (ت ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)، مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٨٧.

(٦) وثائق عربية غرناطية، ص ١٣٨.

(٧) وثائق عربية غرناطية، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٨) انظر: وثيقة رقم (٨٧) و (٩٢)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٨مقدمه، ١٣٧، ١٤٤.

(٩) وثائق عربية غرناطية، ص ١٨مقدمه.

ويتضح من الوثائق أن بعض العملات الفضية التي سكها سلاطين بني نصر قد أعطيت قيمة عملة ذهبية معينة، واحتفظت بالتقليد الموحدي فيما يتصل بهيئتها، أي أنها مربعة لا مدورة كما كانت الدبلة (dobla) - وهي عملة ذهبية - "وهذه الهيئة المربعة هي التي حيرت علماء النميات إذ أنهم لم يكونوا يتصورون أن هذه الدوبلات الفضيةٍ أو الفضة المموهة بالذهب أو النحاسية كانت تتداول بين الناس بقيمة العملة الذهبية، وظنوا أنها عملات مزيفة سكت لتحل محل العملة الذهبية عن طريق الغش"(١)

ويتبين من الوثائق أن الدينار الذهبي كان يساوي سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير الفضية(٢)، ويساوي (٧٥) درهماً فضياً، كما أن دينار الفضة كان يساوي (١٠) دراهم فضية.(٣)

٣ - العاج

برع الأندلسيون في الصناعات الفنية الدقيقة، كصناعة التحف العاجية، التي كانت تستخدم لحفظ الحلي والعطور النسائية. وكانت هذه التحف مقتصرة على العلب التي تشبه الصناديق الصغيرة. وأشكالها إما أسطوانية مع غطاء مقبب، وإما مستطيلة مع غطاء مسطح، أو على شكل هرم ناقص(٤).

ولقد وصلت إلينا من هذه التحف أمثلة كثيرة تكشف بأشكالها وزخارفها عن جمالها ودقة صنعها. ومعظم هذه التحف تحمل نصوصاً تاريخية، تتضمن أسماء من صنعت لهم وتاريخ صنعها، وأسماء الصناع الذين تولوا صناعتها، وفي بعض الأحيان اسم المكان الذي صنعت فيه، الأمر الذي يزيد من أهميتها ويجعلها بحق من أصدق المصادر التي تعيننا على دراسة هذا الفن الصناعي وتطوره(٥).

وقد بدأت صناعة العاج في الأندلس ببداية التوسع الخلافي في المغرب الأقصى، عندما احتك الأندلسيون بسكان المناطق الداخلية في المغرب، وكانت تجارة العاج من التجارات الرائجة التي يشتغل بها الغانيون والمغاربة ما بين غانة والسودان في الجنوب، وبلاد المغرب في الشمال(٦). وقد استوردت الأندلس كميات كبيرة من العاج، مما وفر المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة، فاشتهرت قرطبة (Cordoba) والزهراء(Alzahra) بإنتاج المصنوعات العاجية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(٧).

---

(١) وثائق عربية غرناطية، ص ١٦ - ١٧مقدمه؛ شبانة، يوسف الأول، ص ٢٠٢.

(٢) انظر: وثيقة رقم (٥٤)، المؤرخة بعام ١٤٨٥م.

(٣) انظر: وثيقة رقم (٦٥)، المؤرخة بـ (٢٧ جمادى الأولى ٨٩٦هـ/ ٧ إبريل ١٤٩١م)، وثائق عربية غرناطية.

(٤) مرزوق، (صفحات من الفن الإسلامي ص ١ - ٣؛ انظر كذلك: مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٥؛

(٥) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٤؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٢.

(٦) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٢.

(٧) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٥ - ٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٢؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٧؛
Imamuddin, The Economic History of spain, p 244.

ويبدو أن دار الصناعة في قرطبة قد بدأت في الأنتاج منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ومما يشير إلى ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أهدى لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) نماذج من التحف العاجية كان من بينها "حُقّ عاج أبيض فيه عود بخور مطري بعنبر، وحُقّ عاج آخر بأوصال فضية أيضا داخله قدح عراقي مملوء غالية مرتفعة، وحُقّ عاج ثالث بأوصال فضية مبسوطة الأعالي فيه بخور الملوك... وحُقّ عاج رابع أوصاله فضة أيضاً فيه ذريرة للصيف تستعملها الملوك... وغشاء ديباج فيه مشط عاج كبير سلطاني لتسريح اللحية"(١) كما استخدم العاج في تزيين قصور مدينة الزهراء التي أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة (٣٢٥هم / ٩٣٦م)، اذ كان يوجد في كل جانب من جوانب المجلس المسمي (بقصر الخلافة) في الزهراء "ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب"(٢).

ومن أهم نماذج هذه الصناعة صندوق يتكون من لوحين مستطيلين من العاج تربطهما ببعضهما من ناحية واحدة مفصلتان تساعد على فتح هذين اللوحين أو قفلهما كأنهما كتاب. وفي كل منهما تجويفات عميقة كانت في الغالب معدة لوضع الحلي والعطور وغير ذلك من أدوات الزينة. وكان هذا الصندوق مما عمل للخليفة عبد الرحمن الناصر، وهو الآن محفوظ في المتحف الأهلي للآثار بمدينة برغش (Burgos) (3).

وازدهرت صناعة التحف العاجية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ونستدل على ذلك من خلال بعض النماذج العاجية التي ما تزال ماثلة للعيان في عدد من المتاحف الأوروبية، ومن جملة ذلك: علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب، وهي محفوظة اليوم في المتحف الأهلي للآثار بمدينة مدريد، وتزدان بزخارف نباتية

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣٥٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الاسلامي، ص ٤ - ٦؛

Imamuddin, The Economic History of spain, p247.

جميلة بينها صور طيور وحيوانات متقابلة. وقد صنعت بمدينة الزهراء ، بأمر الحكم المستنصر، للسيدة أم عبد الرحمن(١) على يدي (دري الصغير) الفتى الصقلبي في سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)(٢).

وهناك نموذج آخر صنع بمدينة الزهراء سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) على يدي الصانع (خلف)، وهو عبارة عن صندوق مستطيل الشكل، يزدان بزخارف نباتية جميلة، محفوظ الآن في كنيسة أبدوشية فيتيرو بنبرة (Navarra) (3). ونجد في أسفل غطائه المسطح النص العربي الآتي مكتوباً بالخط الكوفي: "بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لأحب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة خمس وخمسين وثلث مائة عمل خلف"(٤).

وفي متحف الفنون الزخرفية بباريس (Musee des Arts Decoratifs) صندوق مستطيل مسطح الغطاء يزدان بزخارف نباتية وهندسية، وقد صنع سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) في عهد الخليفة الحكم المستنصر(٥). وفي متحف فيكتوريا والبرت بلندن علبة اسطوانية صغيرة الحجم، تزدان بزخارف متقطعة، تمثل في تقاطعها أشكالاً هندسية مختلفة يتخللها زخارف نباتية، وقد صنعت بأمر الحكم المستنصر على يدي (دري الصغير)(٦).

وفي متحف اللوفر بباريس علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب، تمتاز برسوم تمثل مجالس الأنس والشراب، ومناظر الصيد والطعام، وتزدان بزخارف نباتية جميلة

---

(١) السيدة أم عبد الرحمن، هي حظية أو زوجة الخليفة الحكم المستنصر، وتسميها الكتب العربية "صبح"، أما الكتب الأجنبية فتطلق عليها (Aurore) . وعبد الرحمن هو ولدها الأول من الحكم، وقد توفي وهو طفل وأنجبت صبح بعده من هذا الخليفة ولده هشام: مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٤.

(٢) مرزوق، صفحات من الفن الاسلامي، ص ٤؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٣؛ مورنيو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص ٣٥٥.

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الاسلامي، ص ٥؛ مورنيو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ص ٣٥٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٣.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الاسلامي، ص ٥؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٤٧.

(٥) مرزوق، صفحات في الفن الإسلامي، ٨.

(٦) المرجع نفسه، ض ١٠ - ١١

تتخللها صور طيور وحيوانات ، وصور آدمية. وقد صنعت هذه التحفة للمغيرة ابن الخليفه عبد الرحمن الناصر سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٧م)(١)، ونستدل على ذلك من نقش كتابي في أسفل الغطاء المقبب، ونقرأ فيه: "بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيرة ابن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث مائة"(٢).

وبعد وفاة الحكم المستنصر توقف النشاط الفني في صناعة العاج إلى أن كانت أيام الحاجب عبد الملك بن المنصور (٣٩٢ - ٣٩٩هـ/ ١٠٠١ - ١٠٠٨م) فأحيا هذه الصناعة إذ ظهرت قطعتان رائعتان يرجع تاريخهما الى سنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)(٣)، وأولى هاتين القطعتين صندوق مستطيل له غطاء على هيئة هرم ناقص، يزدان بزخارف وصور آدمية وحيوانية، تمثل مناظر لحياة البلاط في قرطبة، ومناظر صيد ومبارزات(٤). وكان عبد الملك بن المنصور قد "أمر بعمله على يدي الفتى الكبير نمير بن محمد العامري مملوكه سنة خمس وتسعين وثلث مائة" (٥)، وهو محفوظ اليوم في كاتدرائية بنبلونة باسبانيا(٦).

والقطعة الأخرى محفوظة في كاتدرائية براج (Braga) , وتتوزع فيها عقود حذوة الفرس التي تضم أشجاراً كثيفة الأوراق تتنافر بين أوراقها العصافير، ورجلين صغيرين ينتزعان فروعا منها، هذا الى جانب حيوانات أخرى في دوائر صغيرة(٧).

---

(١)مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٩؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٦.

(٢)مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٩ - ١٠.

(٣) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٧؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٦٥.

(٤)مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٠ - ١١؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٥)مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١١.

(٦) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٣٤.

(٧) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٧.

ولا شك في أن خراب قرطبة والزهراء في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إثر اشتعال الفتنة في الأندلس، قد أدى إلى توقف دار الصناعة في كل منهما عن الإنتاج، فانتقل محترفو صناعة العاج للعمل في أماكن أخرى، كان من بينها مدينة قونكة (Cuenca) , إحدى مدن مملكة طليطلة في عصر الطوائف(١). وكان ملوك بني ذي النون في طليطلة (٤٠٠ - ٤٧٨هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٨٥م)، هم الذين أقاموا مصنعاً للعاج في قونكة تحت إشراف رجل يدعى محمد بن زيان، وقد وقع باسمه سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) على صندوق عاجي، محفوظ إلى الآن في دير سيلوس (Silos) بأسبانيا.(٢).

ومن نماذج هذه الصناعة التي اختصت بها مدينة قونكة في عصر ملوك الطوائف، صندوق مستطيل الشكل له غطاء على هيئة هرم ناقص، يزدان بزخارف محفورة تمثل حيوانات متقابلة بينهما شجرة الحياة وفروع نباتية جميلة. وقد صنعه عبد الرحمن ابن زيان في مدينة قونكة سنة (٤٤١هـ/ ١٠٤٩م)(٣)، بأمر" الحاجب حسام الدولة ابو محمد اسماعيل بن المأمون ذي المجدين بن الظافر ذي الرياستين أبي محمد بن ذي النون أعزه الله"(٤). وقد انتقلت صناعة العاج إلى إسبانيا المسيحية بعد سقوط طليطلة في أيدي الإسبان سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥)(٥).

ويبدو أن بعض محترفي هذه الصناعة قد هاجروا إلى مدينة غرناطة واستقروا فيها، الأمر الذي ساعد على نمو وتطور صناعة العاج في ظل دولة بني الأحمر، إذ استخدم العاج في صناعة الصناديق الصغيرة، وعلب العطور، وأحجار الشطرنج، كما استخدم في تزيين مقابض وأغمدة السيوف، وطعّمت السقوف والصناديق وحشوات الأبواب والمنابر الخشبية بزخارف من العاج تمثل النجوم وآلات الموسيقى ورسوم الطيور وسائر الحيوانات(٦)، وقد ذكر ابن فضل الله العمري أن منبر المسجد الجامع في غرناطة مصنوع من العاج والأبنوس(٧).

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٥، ٣٦٨؛ عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة في قرطبة، ج٢، ص ١٣٤.

(٢) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٨.

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي ص ١٣؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٨.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٤.

(٥) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٦٩؛ بروفنسال، حضارة العرب في إسبانيا، ص ١٢٧.

(٦) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٧؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص ١٩٤.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩. رواية: (مسالك الأبصار)

٤ - الرخام

واشتهرت الأندلس بإنتاج الرخام المتعدد الألوان، كالخمري، والمجزّع والأبيض والأحمر(١). وكانت أهم مراكز إنتاجه في عهد دولة بني أمية منتشرة في أنحاء مختلفة من الأندلس، وبخاصة في ناحية قرطبة التي اشتهرت بإنتاج الرخام الأبيض الناصع اللون والخمري(٢). وفي قرية ناشرة من أعمال المرية، التي تميزت بعمل الأعمدة الرخامية(٣) وفي مدينة باغة (priego) من أعمال غرناطة، حيث كانت مركزاً مهماً لإنتاج الرخام الغريب الموشى بالحمرة والصفرة وغير ذلك من الرخام الحالك والمجزّع(٤). وفي طركونة (Tarragone) التي اختصت بإنتاج الرخام الأبيض والأسود(٥).

كما اشتهرت رية (Rejio) بإنتاج الرخام المجزع(٦)، والمرية (Almeria) بالرخام الأبيض(٧)، وسلبانّية من أعمال البيرة بإنتاج الرخام الأبيض الملكي الناصع اللون(٨). وتميزت قَسْطيلية -وهي حاضرة إلبيرة وفحصها- بعمل الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقاق من الرخام الأبيض اللين(٩) إذ يمتاز بسهولة عمله وتشكيله.

وقد ساعدت وفرة الرخام على استعماله بكثرة في أعمال البناء. ولذا اهتم الرّخامون بعمل السواري والأعمدة والألواح التي تستعمل في كسوة الجدران والأرضيات والسقوف، واهتموا بعمل الأحواض وأماكن الوضوء. وقد استعملت مثل هذه المنتجات لتزيين المنشآت العمرانية(١٠)، وبخاصة المساجد والقصور التي ابتنيت في عصر الخلافة، كمسجد قرطبة الجامع، ومنشآت مدينة الزهراء.

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٢٧؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠١. رواية: (الرازي).

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١. رواية: (الرازي).

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠١. رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص ١٩٤.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٠١.

(٦) المقري،أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٧٠. رواية (ابن حيان).

(٧) المقري، ازهار الرياض ج ١، ص ٢٧٠. رواية: (ابن حيان).

(٨) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٣.

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٣. رواية: (الرازي).

(١٠) انظر: العذري، ترصيع الأخبار ١٠-١١؛ الزهري، الجعرافية، ص ٨٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٩؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج٢، ص ٢٥-٢٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٥٢.

أما المسجد الجامع، فقد كان فيه من أعمدة الرخام ألف ومائتان وثلاثة وتسعون عموداً(١). وكانت أرضية المحراب مفروشة بالرخام الأبيض، وجدرانه مكسوة بثمانية ألواح من الرخام، وسقفه مكسو برخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة قد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعه(٢). وكان "على رأس المحراب خصة رخام قطعة واحدة مشوكة محفورة منمقة بأبدع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان"(٣)، وكان للجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة الرائقة الشكل والمثال، وكان يستدير بها صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن(٤)، وكان فيها من أعمدة الرخام نحو مائتين وخمسين عموداً، وكانت عدة ألواح الرخام التي تكسو جدرانها أربعة وخمسين لوحاً(٥).

وذكر ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، أن الحكم المستنصر أقام أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي، "وقد أجرى في جميعها الماء في قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة إلى أن صبت ماءها في أحواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار، وأجرى فضل هذا الماء العذب إلى سقايات أتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية، أجراها هنالك إلى ثلاث جواب من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير، وألقاه الرخّامون هنالك، واحتفروا أجوافها بمناقيرهم في المدة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة لأعين الناس، فخفف ذلك من ثقلها، وأمكن من إهباطها إلى أماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع...فتهيأ حمل الواحد منها فوق عجلة من ضخام خشب البلوط على فَلَك موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوثاق الحبال قرن لجرها سبعون دابة من أشد الدواب، وسهلت قدامها الطرق والمسالك، وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة في مدة اثني عشر يوماً ، فنصبت في الأقباء المعقودة لها"(٦) ومن ذلك يستدل على ضخامة هذه الأحواض، وعلى براعة محترفي هذه الصناعة ومدى إتقانهم لصنعتهم.

---

(١) وفي رواية أخرى (١٢٧٣) عموداً، نظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٤٧. رواية: صاحب كتاب "مجموع المفترق".

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٧.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٤.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٦.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٦) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٥٥؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص ١٥٢.

أما مدينة الزهراء التي ابتدئ بنيانها في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، من أول سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م)، فقد ازدانت منشآتها وقصورها بأصناف الرخام الملون، إذ أن الخليفة الناصر شجع الصناع على جلب الرخام إلى هذه المدينة، فكان يصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير(١)، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها(٢)، فجلبوا إليها الرخام من طركونة، والرخام الأبيض من المرية، والمجزع من رية، والوردي والأخضر من قرطاجنة وإفريقية وتونس والقسطنطينية. وكان الامناء الذين يجلبونه هم: عبد الله بن يونس، وحسن القرطبي، وعلى بن جعفر الإسكندراني(٣).

هذا، وقد اقيمت سواري الرخام في مباني مدينة الزهراء، فبلغ عددها أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاث عشرة سارية، منها ألف وثلاث عشرة أحضرت من إفريقية، ومائة وأربعون من القسطنطينية، وسائر ذلك من رخام الأندلس(٤). كما استخدم الرخام في تزيين مسجدها الجامع، حيث فرش صحنه المكشوف بالرخام الخمري(٥).

واستخدم الرخام بكثرة في عهد ملوك الطوائف، إذ أنهم تنافسوا في تشييد وبناء القصور، وحرصوا على تزيينها بكل مظاهر الروعة والجمال، فازدانت مجالسها وأبهاؤها بالأحواض والسواري والألواح الرخامية. فقد كان في قصر المأمون بن ذي النون في طليطلة، بحيرتان، "وقد وضع في قعر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمى المُذَبّح، محفور من رفيع المرمر، كبير الجِرْم، غريب الشكل، بديع النقش؛ قد أبرزت في جَنَباتِه صور حيوان وأطيار وأشجار"(٦) وكانت مجالس "بستان الصمادحية" في مدينة المرية، مفروشة كلها بالرخام الأبيض(٧). وكان قصر مملكة بني عباد في إشبيلية، مفروشاً كله بالرخام الأبيض، وكان فيه من سواري الرخام مائة وأربع سوار(٨).

وتجدر الإشارة هنا إلى أشهر المراكز الأندلسية التي اختصت بإنتاج الرخام في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي والثاني عشر الميلادين، وهي: قرطبة(٩) وغرناطة(١٠) وفريش والمرية، وهذه الأخيرة تميزت بإنتاج الرخام الصقيل الملوكي(١١)، وأشتهرت فريش بأجود أنواع الرخام الأبيض، الذي يمتاز بصفائه وشدة صلابته(١٢).

---

(١) ذكر ابن عذاري في رواية أخرى أن الناصر كان يصلهم على كل رخامة ثلاثة دنانير، وعلى كل سارية ثمانية دنانير. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٢.
(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٢٧. رواية: (ابن حيان).
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٥٢٧؛ المقري، أزهار الرياض، ٢٧٠.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣١؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ٢٦٨.
(٥) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٦٦.
(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، مج١، ص ١٣٤.
(٧) بني هذا البستان في عهد المعتصم بن صمادح (٤٤٤هـ-٤٨٠/١٠٥٢-١٠٨٧م) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٤-٨٥.
(٨) المكناسي، الإكسير، ص ٣٤-٣٥.
(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٥٢٤.
(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٢١٥.
(١١) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص ٢٢٠.
(١٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص ٣٧.

الباب الثالث

الحالة الاجتماعية

للعاملين في الحرف والصناعات

الفصل الأول

شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية

لم تكن الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وإنما كانت تمارس من جميع الفئات، من العرب والبربر وأهل البلاد الأصليين والموالي والصقالبة واليهود وموالي اليهود، حتى أن المرأة الأندلسية ،مارست بعض الحرف والصناعات واتقنتها. وسنعرض فيما يلي لكل من هذه الفئات، ولطبيعة الحرف والصناعات التي مارستها:

١ - العرب: كان العرب أبعد الناس عن الحرف والصناعات، والسبب في ذلك - كما ذكر ابن خلدون - أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها(١). ولذا سار عرب الأندلس في بداية أمرهم على هذا النهج، فلم يهتموا بالحرف والصناعات وتركوها لغيرهم من فئات المجتمع الأندلسي، وأشغلوا أنفسهم بشؤون الحكم والإدارة والجيش، ومن ثم عمل البعض منهم بالحرف التي تحظى بمكانة إجتماعية رفيعة، كالوزارة والكتابة عند الملوك، وولاية الأقاليم، والإشراف على الأسواق (ولاية الحسبة)، وتدريس العلوم والوراقة، ونسخ الكتب، وتعليم الصبيان في الكتاتيب، وإمامة المساجد وصيانتها وإصلاحها، وقبض أجرة الحوانيت الموقوفة عليها.(٢)

وعندما انخرط العرب في المجتمع الأندلسي مارسوا مختلف أنواع الصناعات والحرف(٣)، فقد احترفوا التجارة(٤)، والدباغة(٥)، والفخارة(٦)،

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٢٩؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٥٩.

(٢) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٥.

Shatzmiller, Maya, Professions and Ethnic origin : ١٥٠ - ١٥١
urbanp

(٣) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٨٣؛ المكناسي، الإكسير، ص ١٦١.

(٤) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢،ص٣٥٤؛ ابن الأبار،المقتضب، ص١٨٨؛ المقري، نفح الطيب،مج٢، ص٥٨.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ٦٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٩١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٦٨.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، السفر٥، ق١، ص٣٢٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٥،٩١.

والخياطة(١)، والخرازة(٢). وعملوا في صناعة الديباج(٣)، والقنازع (القبعات)(٤)، وتسفير (تجليد) الكتب والمصاحف(٥). واشتغلوا بالزراعة والبستنة، ومارسوا صناعة سبك الشمع وغزل الكتان ونسج الحرير وبيعه كمادة خام. كما اشتهروا ببيع الأقمشة والمنسوجات، وبيع العطور والخضار والفواكه والخبز ومشتقات الحليب.(٦)

٢ - البربر

أما البربر، فكان أهل القرى والأرياف منهم يحترفون الفلاحة وتربية المواشي والنحل والدواجن. ولذا اشتهروا بإنتاج الصوف - كمادة خام - والعسل ومشتشقات الحليب. كما احترفوا صناعة عصر الزيتون وطحن الحبوب، واستخراج الملح، وعملوا في قطع الأخشاب وإعداد الفحم. وأما أهل الحاضرة من البربر، فقد احترفوا العمل بصناعة السلال والأطباق والبراذع* (المكانس) والحبال والشطاطيب لكنس أرضيات البيوت.(٧)

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ١٨٦؛ المراكشي، الذيل والتكملة، السفر ٥، ق١، ص ٣٠٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٢٣٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٢١٣.

(٢) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص ٤٩٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص ١٣٠.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص ٣٧.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٧٢٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٦٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٢٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٤٥ - ٤٦؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٦) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٥؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban.p151

* البراذع، اى المكانس التي تستعمل للكنس تحت الحيوانات، واللفظة عامية مغربية. مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٥.

(٧) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٥؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban. p.151-153.

ومارسوا صناعات أخرى مختلفة، فكان منهم: خرازون، وبناؤون، وسقاؤون، وقبابون* وصيادو طيور، وطباخون للجير والجبص، وحمالون يعملون في الأسواق، ويقومون بنقل السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى (١).

٣ - اهل البلاد الأصليون

أما أهل البلاد الأصليون - من الإسبان - الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح، وكانوا من سكان البادية وأهل الجبال، فقد احترفوا العمل في زراعة الحدائق والبساتين، وفي تربية المواشي، وإنتاج العسل. وعملوا أيضا في قطع الأخشاب وإنتاج الفحم. وأما سكان المناطق الساحلية منهم، فقد اشتهروا بصناعة السفن والمعدات اللازمة لها. ومارس بعضهم حرفة صيد الأسماك، فكان صيادو السمك يجلبون الحوت والسردين من الساحل إلى المناطق الداخلية (٢)، حيث كان يباع في أسواق المدن الأندلسية (٣).

٤ - الموالي

وقام الموالي بمختلف الحرف والصناعات السائدة في المجتمع الأندلسي، فكانوا يحترفون الدباغة والحياكة والنجارة والحدادة والفخارة والخرازة وبيع النعال المخروزة، والخراطة؛ ويقصد بها صناعة أواني الخشب المخروطة (٤). وكانوا يعملون بصناعة الصابون (٥)، وصناعة المنسوجات والأقمشة، وصناعة الأسلحة والمعدات الحربية، والسروج، والأدوات النحاسية، وطحن الحبوب (٦).

---

* القباب: هو صانع القباب الخشبية المستعمله عادة في الحمامات زمامة، اسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٢٣.

(١) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦، ٨٤ - ٨٥؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban. p. ١٥٣ - ١٥٤

(٢) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban.p.١٥٤

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٠٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٦٨.

(٤) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٦٨٢.

(٦) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban.p.١٥٤

واحترفوا كذلك العمل بالحجامة والجزارة وحفر القبور وحمل الموتى وتسمير البهائم وعلاج المرضى وصيانة المساجد وحراسة الأسواق والفنادق. وكان من بينهم حمالون ينقلون السلع والبضائع بين المدن الأندلسية(١).

٥ - الصقالبة

أما الصقالبة، فالمقصود بهم في المصادر العربية، "سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى، التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي. على أن كلمة صقلب (Esclave) فرنسية قديمة، ومعناها عبد أو رقيق: وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب إسبانيا، ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية، واستخدموهم في القصر الخليفي".(٢) وقد جاء أغلب الصقالبة إلى الأندلس أطفالاً وربوا فيها تربية إسلامية، ودربوا على أعمال القصر، وهم وان كانوا رقيقاً، إلا أنهم لم يستخدموا في الحرف المتهنة، بل تطور الأمر إلى استخدامهم في الحرس والحاشية والجيش. واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي، فصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب المكتبات الكبيرة(٣). واحترف بعضهم صناعة الأدوية والعقاقير الطبية، فقد كان في قصر الخليفة الحكم المستنصر اثنا عشر صبياً من الصقالبة يعملون في صناعة المعاجين والأشربة.(٤) وقد تولى كثيرون منهم مناصب إدارية رفيعة المستوى منها الإشراف على مصانع ومخازن الأسلحة(٥) وعلى معامل الطراز، حيث كانت تنسج ثياب الأمراء والخلفاء وأعيان الدولة من الديباج والحرير المختم المرقوم بالذهب المختلف

---

(١) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛

Shatzmiller,professions and Ethnic origin of urban.p.151

(٢) العبادي، الصقالبة في إسبانيا، ص ٨ - ٩.

(٣) العبادي، الصقالبة في إسبانيا، ص ١١.

(٤) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ١١٢-١١٣؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء، ص ٤٨٧.

(٥) التهامي الراجحي، نظم وإدارة ، ص ٣٩٨.

الألوان(١). ومن بين الصقالبة الذين تولوا مهمة الإشراف على معامل الطراز في عصر الخلافة: "فائق الفتى الكبير الصقلبي" (٢) و "ريان الفتى" و "خلف الفتى الكبير"(٣).

٦ - اليهود

وكان اليهود الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح يحترفون الحجامة والبلاجة* والخرازة وبيع وإصلاح النعال المخروزة، وخياطة ثياب الملف، وصناعة الأقمشة والمنسوجات، ونسج القلانس (القبعات) وتبطينها وصبغها وتصفيتها. وعمل بعضهم وسطاء تجاريين، وسماسرة - أي دلالين في الأسواق - يتوسطون في البيوع التجارية(٤).

وأما اليهود من أهل الذمة، فقد عملوا في بداية أمرهم بالحرف (الممتهنة)، كالصباغة والدباغة والصبارة والميارة، وكان أكثرهم حمالين وخياطين وكيالين.(٥) وقد ازدهرت هذه الطائفة - أي اليهود - فيما بعد وعلت منزلتها في المجتمع الأندلسي، فتقلدوا مناصب رفيعة في الدولة، كالكتابة عند الملوك، والوزارة. وتولى الكثير منهم الشؤون المالية والإدارية(٦). ومارسوا الطب والترجمة(٧) واشتغلوا بالتجارة والصيرفة والصياغة(٨). ويشير أحد الأمثال الأندلسية إلى أن معظم الصاغة كانوا من اليهود، وإذا تعاطى مسلم هذه الحرفة احتقره الناس وازدروه(٩).

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ق٢، ص ٣٠٠؛ التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية، ص ٣٨٥.

* البلاجة، حرفة كانت من متممات النجارة؛ وهي حرفة صنع المغاليق الخشبية لأبواب المساجد والحوانيت والمنازل وغيرها. وكان يطلق على محترف هذه الصناعة اسم البلاج. عبد القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٠٤.

(٢) ابن حيان المقتبس في أخبار أهل الأندلس، ص ٦٦، ١١٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٨، ١٩١.

(٤) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛

Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban. p. ١٥٤

(٥) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١٥، ١١٦.

(٦) الصنهاجي، كتاب التبيان، ص ٣١ - ٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ٢٦٤- ٢٦٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٤٤٢ - ٤٤٧.

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٢٣؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١١٧ - ١١٨؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص ٢٤٦.

(٨) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص ٢١٥، الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١١٦؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص ٢٤٦.

(٩) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص ٢١٦.

٧ - موالي اليهود

وأما موالي اليهود، فقد احترفوا العمل بالصباغة وصناعة الخبز والزيت والصابون، وصناعة الحلي، ومناسج الحياكة، وآلات الصفر، وأدوات المطبخ، وتسفير الكتب، وسك النقود، كما اشتغلوا في خدمة الحمامات، وحفر الآبار، ومعالجة المعادن، وتزويق الخشب، وقطع الرخام، وزخرفة البيوت بـ "الزليج"(١) وهو نوع من الخزف المتعدد الألوان(٢). وعملوا ببيع السمك والصوف والكتان والأدوية والآلات الموسيقية. وبرعوا في صناعة القلائد والعقود المرجانية(٣) وفي تحضير أنواع الأطعمة والمأكولات الشهية، كالثرائد والعجائن واللحوم المشوية والمقلوة، حيث ظهر من بينهم الطباخون والسفاجون والشواؤون والقلاؤون المهرة(٤).

٨ - المرأة الأندلسية

ومارست المرأة الأندلسية حرفا متنوعة، إذ تجد الطبّاخة والخبازة، والرقّامة(٥) واللبّانة(٦)، "والطبيبة، والحجّامة، والسرافة، والدلالة، والماشطة، والنائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة، والمستخدمة، والصّناع في الغزل والنسيج"(٧). وعملت المرأة في صناعة الطراز(٨) (التطريز)، وصناعة غزل الصوف والقطن والكتان(٩) فقد ذكر الزهري في معرض حديثه عن مدينة المرية أن "أهلها كلهم رجالاً ونساءً صناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومه"(١٠). هذا، وقد كانت في أسواق المدن الأندلسية أماكن خاصة للنساء يجتمعن فيها لبيع الغزل أو شرائه، ولم يكن يخالطهن في عملية البيع والشراء إلا الشيوخ الثقات المعروفون بأمانتهم وفضلهم.(١١)

ومن مظاهر اهتمام المرأة الأندلسية بصناعة الغزل والنسيج؛ اهتمامها الزائد بتحضين بيض دود الحرير ورعايته من شهر شباط الذي يوضع فيه البيض إلى شهر آذار، إذ يتولد فيه دود الحرير(١٢). ولا يخفى أن لدود الحرير دوراً فاعلاً في إنتاج مادة الحرير الخام التي تدخل في صناعة المنسوجات الحريرية.

---

(١) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛
Shatzmiller, professions and Ethnic origin of urban.p.١٥٤

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢٠٢.

(٣) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦؛
Shatzmiller, profession and Ethnic of urban.P١٥٥

(٤) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٦.

(٥) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٥٦.

(٦) اللبانة، هي المرأة التي تختص بصناعة اللبن وبيعه، ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج٢، ص ٦٦٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٤٠٩.

(٧) ابن حزم، طوق الحمامة ص ٩٧.

(٨) ابن عبدون ، في القضاء والحسبة، ص ٤٧.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آدب الحسبة، ص ٨٧.

(١٠) الزهري، الجعرافية، ص ١٠٢.

(١١) ابن عبد الرؤوف، في آدب الحسبة، ص ٨٧.

(١٢) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٤٩، ٦٣.

ومن بين الحرف الأخرى التي مارستها المرأة الأندلسية:
القبالة (التوليد)، وتربية أولادالعائلات الميسورة وارضاعهم، وخدمة البيوت(١)، والرقص في الحفلات والأعراس(٢)، وكتابة المصاحف. وفيما يتعلق بهذه الحرفة الأخيرة، ذكر ابن أبي الفياض (ت ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) في تاريخه أنه كان "بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها؟"(٣).

وقد وردت إشارات في بعض المصادر، تؤكد مزاولة المرأة الأندلسية لحرفة الطب(٤). وتبين مسؤوليتها عن سجن النساء، فقد ذكر ابن عبدون، أنه "يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء، في حكم من المحكومات، عند امرأة قابلة خيرة قد عرف القاضى فضلها، الى أن تنطلق؛ ويجعل لها القاضي أجرة على ذلك من بيت مال المسلمين".(٥)

---

(١) الودغيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص ١٧٠؛ فائزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥١.

(٣) المراكشي، المعجب، ص ٣٧٢.

(٤) انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٥٢٤.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ١٩؛ فائزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة، ص ٧٤.

الفصل الثاني
الوضع الاجتماعي لأهل الحرف والصناعات

١ - التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها

انتسب كثير من الأشخاص إلى الحرف والصناعات التي كانوا يمارسونها، وقد ظهر مثل هذا الانتساب في المجتمع الأندلسي في القرن الثالث الهجري(١)/ التاسع الميلادي، ولكنها كانت أوسع إنتشاراً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ نجد في بعض كتب التراجم والأدب والتاريخ ألقاباً تدل على التسمي بالحرف والصناعات. فقد لقب الأديب أبو بكر محمد بن عيسى الداني بـ "ابن اللبانة" نسبة إلى والدته التي كانت تعمل ببيع اللبن، "حتى غلب اسم اللبن عليها، ونسب أولادها به إليها" (٢)، وكذلك لقّب الفقيه المقريء أحمد بن سهل (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) بـ "ابن الحداد"(٣). ولقب الفقيه محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي (ت ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) بـ "ابن العطّار"(٤)، ولقب قاضي القضاة أبو الوليد يونس بن عبد الله بـ "ابن الصفار"(٥)، و"الصّابوني" كان لقب عبد الله بن محمد المعروف بابن بركة (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) إذ كان له في مدينة قرطبة "دكاكين يصنع فيها خدمته الصابون ومنه عيشه"(٦)، و"الدباج" لقب عبيد الله بن أيوب الذي كان يتعاطى عمل الديباج في مدينة قرطبة(٧)، و"ابن البنّاء" لقب الكاتب أبي بكر محمد بن أحمد الإشبيلي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)(٨)، و"ابن الحصّار" لقب أبي المطرف عبد الرحمن بن بشر إذ كان أبوه حصاراً(٩)، و"الخرّاز" لقب الأفوه البسطي إذ "أنه كان خرازاً ببسطة"(١٠)، و"بنت التياني" لقب لمهجة القرطبية إذ كان أبوها يبيع التين في مدينة قرطبة،(١١)، وكان أحمد بن عبد الوالي الرعيني (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م) يعرف بـ "العواد" صنعة أبيه الكاتب الصالح،(١٢) وكان الفقيه أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون الأنصاري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) يلقب "بالقنازعي" نسبة إلى صنعته(١٣)، وكان علي بن يحيي بن عمريل الكناني (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) المعروف بـ "ابن الفخار" يعمل مع أبيه في صناعة الفخارة(١٤)، وكان علي بن محمد بن هيصم الرعيني (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) يلقب بـ "ابن الفخار" نسبة إلى صنعة أبيه، الذي حرص على تعليم ابنه صناعة الفخارة(١٥). وهذا يدل على أن الحرف والصناعات كانت تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، ويؤكد انتساب الأبناء إلى حرف آبائهم، إذ التصق كثير من هذه الحرف بأسماء بعض العائلات الأندلسية.

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ١٠، ١١، ق٢، ص ١٨٥.

(٢) وهو من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كان معاصراً للمعتمد بن عباد. ابن بسام، الذخيرة، ق ٣، مج٢، ص ٦٦٧؛ انظر كذلك: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٠٩.

(٣) الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٩٣.

(٤) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص ٤٨٤.

(٥) من اهل القرن الرابع الهجري، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٥٥.

(٦) القاضي عياض، ترتيب المدراك، ج٣، ص ٦٨٢.

(٧) وهو من أهل القرن الرابع الهجري، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق ٢، ص ٣٧.

(٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٢٥٤؛ ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص ١١٨.

(٩) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٥٨. رواية: (ابن حيان).

(١٠) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٧٩. رواية: (الحجاري في المسهب).

(١١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٤٣. رواية: (الحجاري في المسهب).

(١٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(١٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٧٢٦.

(١٤) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(١٥) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص ٣٢٣.

وفي نظـرة استعراضية غير مستقصية للتسميات بالحرف والصناعات نلحظ أكثر من نسبـة لأشخـاص عـرفوا بصناعاتهـم وحرفهـم كمـا تكشف عنـه كتـب التراجم والأدب والتـاريخ؛ مثـل الـزجاج(١)، والقلاس(٢)، والصـواف(٣)، والغـزال(٤)، والبزّاز(٥)، والخـرّاز(٦)، والخـرّاط(٧)، والشـوّاش(٨)، والخياط(٩)، والطـرّاز(١٠)، والقطّـان(١١)، والفحّـــام(١٢)، والنشّـــار(١٣)، والخشّـــاب(١٤)، والسكّـــاك(١٥) والــــرقّام(١٦).

وقـد ينتسـب الشخص إلى حرفـة أبيه، كابن القزّاز(١٧)، وابن الحائك(١٨) وابن الجبان(١٩)، وابن الدباغ(٢٠)، وابن الزراد(٢١)، وابن الحذاء(٢٢)، وابن الصائغ(٢٣)، وابن الصبـــاغ(٢٤)، وابن النقـاش، وابـن القبـاب(٢٥)، وابـن القـــراق(٢٦). وابن

---

(١) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص ٣٦٧.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص ٥٥.

(٣) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢،ص ٥٣٩.

(٤) ابن الزبير، كتاب صلة، ص ١٨٤.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ١٠٨

(٦) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق١، ص ١٨.

(٧) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص ٥٠٣.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٥.

(٩) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ٦٣.

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٤١.

(١١) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤١.

(١٢) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص ١٣٢.

(١٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٣٣٨.

(١٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٧٧.

(١٥) المقري، نفح الطيب، ج٦، ص ٢٥٧.

(١٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٢٨٣.

(١٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ١٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٢١) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٨٦.

(٢٢) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص ٥٠٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥٥٣.

(٢٤) الضبي، بغية الملتمس، ص ٢١٦.

(٢٥) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ٤٣٢.

(٢٦) ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، ٢٠٦.

الكتّاني(١) وابن الخبّاز(٢)، وابن الزّيات(٣)، وابن الملاح(٤)، وابن الطحان(٥)، وابن القنازعي(٦)، وابن القفّال(٧)، وابن الشواش(٨)، وابن الترّاس(٩)، وابن الفرّاء(١٠)، وابن الطرّاز(١١).

ويلاحظ مما تقدم أن هذه النسب تمثل المجتمع الأندلسي بعصوره المختلفة وفئاته المتعددة، إذ لم تقتصر الألقاب الملتصقة بالحرف والصناعات على شريحة معينة من شرائح المجتمع بل كانت تشمل شرائح مختلفة، من بينها شريحة العلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين والأدباء، والتي تحظى بمكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي. الأمر الذي يدل على احترام المجتمع للعاملين في الحرف والصناعات.

٢ - التعصب للحرفة والاعتزاز بها

ويلاحظ أن الانتساب للحرف والصناعات بلغ حد العصبية للحرفة والاعتزاز بها؛ فقد حض الأندلسيون على التمسك بصنعة الآباء ولو كانت حقيرة، فقالوا في أمثالهم: (صنعة والدك، ولو كان حشّاش)، وقد يكون فيه ما يعبر عن نظرتهم إلى المهن وعدم احتقارها(١٢). وقد أشاروا إلى ما يكون من عداوة بين المشتركين في صنعة واحدة، فقالوا: (صاحب صنعتك، عدوك، ولو كان أخوك)(١٣)، وهذا يدل على غرس روح التنافس بين أصحاب الصنعة الواحدة.

ومن مظاهر تماسك أهل الحرف وقوفهم كوحدة في وجه المحتسب(١٤)، ومن ذلك "محتسب نبه على سوء عمل الخرازين فتألبوا عليه بعد ذلك وأرادوا إخراجه

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢١١.

(٢) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ٤٠٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٣٠٤.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٧) ابن الزبير، صلة الصلة، ص ٢٠٦.

(٨) ابن الأبار، المقتضب، ص ٨٣.

(٩) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٩٥.

(١٠) المصدر نفصه، ج٢، ص ١٨٢.

(١١) ابن القاضي، درة الحجال، ج٢، ص٥٠.

(١٢) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص ٢٤٨.

(١٣) المصدر نفسه، ق١، ص ٢٤٨.

(١٤) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٥.

من سوقهم، ومنعه من التصرف فيه، وأظهروا عقداً بأذاه لهم، وإضراره بهم، وتسلطه عليهم، وأنه أهل أن يخرج من السوق"(١). ومن مظاهر ذلك نجد أن أصحاب الحرفة الواحدة كانوا يخلون السوق لأحدهم يبيع فيه يوماً أو يومين إذا كان محتاجاً أو أراد أن يتزوج(٢). وهذا يدل على التعاون بين الحرفيين وشعورهم بالإرتباط الوثيق مع بعضهم.

ومما يؤكد تماسك أبناء الحرفة الواحدة، وتعصبهم لحرفهم واعتزازهم بها، أن أبا بكر يحي بن محمد المعروف "بالجزار السرقسطي" كان يتعاطى العمل بالجزارة في مدينة سرقسطة، ثم تعلقت نفسه بقول الشعر فبرع فيه وصدرت له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزراءهم، ثم ترك الأدب والشعر وعاد إلى ممارسة مهنته، فأمر الحاجب ابن هود وزيره أبا الفضل بن حسداي الإسرائيلي* أن يوبخه على رجوعه إلى الجزارة(٣)، فخاطبه بأبيات منها:

تركت الشعر من قلة الإصابة وعدت الى التحرف بالقصابة

فأجابه الجزار بقصيدة تتألف من واحد وستين بيتاً(٤)، مدافعا فيها عن القصابة:

تعيب علي مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشيء عابه
ولو أحكمت منها بعض فن لما استبدلت منها بالحجابة
لعمرك لو نظرت إلي فيها وحولي من بني كلبٍ عصابة
لهالك ما رأيت وقلت هذا هزبرٌ صيَّر الأوضام غابة(٥)

والمتتبع للقصيدة يرى أن أبا بكر الجزار يتفنن في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف "مهنته أجل وصف، في معرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس بأسلوب بارع، ولغة رشيقة"(٦)، ويمدح جماعته وعصابته، وينعتهم

---

(١) الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٣٣، رواية: (ابن سهل الأسدي).

(٢) يحي بن عمر، أحكام السوق، ص ٧١ - ٧٢.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، ج٢، ص ٩٠٥؛ ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١٣، ١٥٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٤٤٥.

(٤) للإطلاع على القصيدة، انظر: ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١٥٦ - ١٦٣.

(٥) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١٥٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤١ - ٤٢.

* أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي، أسلم وعمل في بلاط المقتدر بن هود (٤٣٨ - ٤٧٤هـ / ١٠٤٦ - ١٠٨١م) بسرقسطة. ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١٥٦.

بالبسالة والنجابة، ويفضل صناعتهم على الحجابة(١).

وفي محاورة جرت بينه وبين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن البرجي(٢) (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، على إثر خصومة وقعت بينهما، نرى الجزار السرقسطي يذكر محاسن القصابة مفتخراً بها على الفراية، ويذكر مثالب الفرائين، لأن أبا أبي الحسن البرجي كان فراء يتجر في الفراء(٣)، واتخذ الجزار من هذه الخصومة ذريعة للسخرية من الفرائين، والكشف عن عوراتهم، وترصد معايبهم، وتولى ذلك في قصيدة ميمية، حيث يحدثنا حديث العارف الخبير وهو ليس ببعيد عن مهنة الفرائين، فيذكر أساليب الغش والتدليس التي يلجؤون إليها، ويتهمهم بالتدليس في ابتياع الفراء، وانها ليست ذات جدوى في دفع غائلة البرد أو شدة الحر، وراحتها كريهة لا تطاق. ويفصل القول في أساليب بيعها وشرائها، إذ تخرج إلى ضروب محرمة تقوم على أساس الاستغلال يلجأ اليها الفراؤون(٤). ويتجاوز الأمر لدى الجزار هذا، حيث يجعل معظم ذوى المهن عالة عليه، وتبعاً له، إذ يقول: "فقد جعلنا الله سبباً لمعاش أمم كثيرة، وجعلكم مشاركين مع الذباب والكلاب بافتقاركم الينا، وطلاب معاشكم عندنا، فنحن أقوى أسباب هذا الرزق، لأكثر هذا الخلق"(٥) ويذكر هنا أكثر مهن عصره في قصيدة من تسعة أبيات يقول فيها:

فمنهم الكرّاش والسّلاخ　　اليهم السبّار والطبّاخ
والصّانع المألوف والجلاد　　ودابغ الجلود والحداد
اليهم الروّاس والبّلاجي　　ثم الفتى المدعو بالسرّاج
ومنهم الفرّان والزقّاق　　يليهم الرقّاق والموّاق
وبائع الأخفاف والخفاف　　وبعده الكبّار والدفّاف
ومنهم القرّان والخرّاز　　اليهم الغربال والشكّاز
وصانع الأوتار للعيدان　　بين مثالثٍ الى مثاني
وصانع المصحف والسّقاء　　ثم بغايا القفّة الفراء
ثم الكلاب الكثر والذباب　　لامين في قولي ولا ارتياب

ويقول للفراء "فهؤلاء أتباعنا، حاشى من لم نذكره، فمن أتباعكم، يابغاث الورى، وأضغاث الكرى"(٦).

---

(١) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١٦٤.

(٢) أبو الحسن على بن البرجي نسبة إلى برجة من أعمال سرقسطة، وكان البرجي لغوياً وأديباً، راوية للحديث، تصدر للأقراء بمدينة سرقسطة، وتوفي بوادي آش. المصدر نفسه، ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه. ١٧، ١٨، ٩٨.

(٤) المصدر نفسه.ص ٤٢ - ٤٣، ١٠٦، ١١٧ - ١٢١.

(٥) المصدر نفسه. ص ٤٢، ١١٣ - ١١٤.

(٦) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص ١١٤ - ١١٥.

٣ - أعداد العاملين في الحرف والصناعات

لا تزودنا المصادر بمعلومات وافرة عن أعداد العاملين في الحرف والصناعات، ولكن ما تزودنا به قد يزيل شيئاً من غموض هذا الموضوع، فقد قدر عدد الذين يعملون يومياً في بناء مدينة الزهراء (٣٢٥ - ٣٥٠هـ/ ٩٣٦ - ٩٦١م) بعشرة آلاف رجل(١)، كما كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة، منهم ثلاثمائة بناء، ومائتا نجار، وخمسمائة من الأجراء وسائر أهل الصنائع(٢)، وذكر النويري (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) أنه كان يعمل يوميا في بناء الزهراء ألف رجل من البنائين(٣) وكان عدد عمال النسيج والحياكة في مدينة قرطبة يقدر بثلاثة عشر ألفاً(٤)، وكان عدد العاملين في استخراج الزئبق من حصن أُبال يزيد على ألف شخص(٥).

ومما يدل على كثرة أعداد العاملين في الحرف والصناعات، وبخاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أرسل في سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) "محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه، مع ثلاثين بناءً وعشرة من النجارين، وخمسة عشر من الحفارين، وستة من الجيارين المحسنين لعمل الجير، وستة من الأشّارين لأشر الخشب، ورجلين من الحدادين، ورجلين من الحصارين، تخيروا من حذاق طبقاتهم" إلى المغرب لمساعدة حليفه موسى بن أبي العافية في إقامة بعض المنشآت الدفاعية(٦).

كما نستطيع أن نتبين أعداد الطبقة العاملة من عدد الأسواق والحوانيت التي كان يعمل الحرفيون فيها(٧)، فقد كانت الحوانيت منتشرة على نطاق واسع بين المدن الأندلسية، فحيثما سار المسافر "يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري والأودية ورؤوس

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٢٦.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١،ص٥٦٤. رواية:(ابن الفرضي)؛ انظر: كذلك المقري،أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٥.

(٣) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦. رواية: (ابن الرقيق).

(٤) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٥٣؛ شاكر مصطفى، الأندلس، ص ٦٦.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٨١؛ انظر كذلك: الحميري، صفة جزيرةالأندلس، ص ١٠.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ٣٨٧ - ٣٨٨. رواية: (ابن حيان).

(٧) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص٨٨.

الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة"(١)، وذكر أن عدد الحوانيت في مدينة قرطبة لوحدها بلغت (٨٠٤٥٥) حانوتاً ،(٢) وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومهما تكن المبالغة في هذه الأرقام، فإنها تدل على سعة الطبقة العاملة، وكثرة الصناع في المجتمع الأندلسي.

٤ - أجور العاملين في الحرف والصناعات

أما معلوماتنا عن أجور العاملين في الحرف والصناعات فتكاد تكون نادرة، ومع ذلك تزودنا المصادر بمعلومات يمكن أن نستنتج منها أن أجرة العاملين في بناء مدينة الزهراء كانت تتراوح بين درهم ونصف ودرهمين وثلاثة دراهم في اليوم(٣). وكانت أجرة الرخامين في عهد الخليفة الناصر تتراوح بين ثلاثة وثمانية وعشرة دنانير، وذلك عن كل رخامة أو سارية يجلبونها إلى مدينة الزهراء، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على قطعها ونقلها ومؤنة حملها(٤). وكانت المسامير في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تصنع بأحجام مختلفة وأوزان متنوعة، فمثلا مسمار ربع رطل كان يأكل "من الفحم عدلاً واحداً فحامياً ، وأجرة الضرابين عليه والكيار ثلاثة دراهم، وأجرة المعلم على عمله درهمان"(٥). أما العاملون في إنتاج الخبز فكانت أجورهم متفاوتة، فالعجان كان يتقاضي نصف درهم، والرفاد ثلاثة أثمان الدرهم، والوقاف نصف درهم(٦). وكان كيال الحنطة يتقاضي ثمن درهم على القفيز الواحد(٧).

ويبدو مما تقدم أن وضع الصناع بصورة عامة لم يكن جيداً، إذ كانت أجورهم قليلة، ومستواهم المعيشي متدنياً، ويؤكد ذلك ابن حوقل (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). الذي أشار الى الأسواق الأندلسية ووضع العاملين بها، فقال: "وقل سوق بها يصير إليه أهله إلا على الفاره من المركوب، ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا أهل الصنائع، والأراذل"(٨).

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٢٦.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٤١.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٥٢٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣١؛ المقري نفح الطيب، ج١، ص ٥٢٧.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٧١ - ٧٢.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢٨.

(٧) كان القفيزيساوي ستين رطلاً،المقدسي،أحسن التقاسيم، ص٢٤٠؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤١.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ١٠٩.

٤ - لباس أهل الحرف

وأما لباس أهل الحرف فتحول قلة المعلومات دون تقديم أية تفاصيل عنه. وإنما وردت بعض الإشارات التي تؤكد أنه كان "لكل عمل ثوب، ولكل مهنة زي"(١) خاص بها، وأن أهل الصناعات لم يكونوا يتميزون بلباس مختلف فحسب، بل إن أهل الصنعة الواحدة، قد يتميزون بلباس مختلف من منطقة إلى أخرى، فقد أشار ابن صاحب الصلاة (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) إلى أن لباس زياتي قرطبة يختلف عن لباس زياتي إشبيلية(٢).

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص ٣٤.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٦٧؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٦.

الفصل الثالث

علاقة الدولة باصحاب الحرف والصناعات

١ - تنظيم الأسواق على أساس التخصص الحرفي

اهتم الأندلسيون منذ وقت مبكر بأهل الحرف والصناعات، وحرصوا على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم(١)، ولذا اشتهرت مدن الأندلس في العصر الإسلامي بازدهار متاجرها وكثرة أسواقها المتخصصة(٢). وكانت هذه الأسواق تقام بجوار المسجد الجامع، إذ يعتبر هذا المكان هو مركز الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية(٣).

ولقد تميزت مدينة قرطبة في العصر الأموي بتعدد اسواقها وتخصصها، حيث نجد لأهل كل حرفة سوقاً خاصة بهم، فهنالك سوق للقصابين والحصارين(٤) والكتانيين(٥)، وسوق للمشّاطين والخرّاطين(٦) والصوافين والعطّارين والحرّارين* والشقّاقين*(٧)، والبزّازين، والصرّافين والخبازين والفرّانين(٨)، والخيّاطين(٩) والسرّاجين(١٠)، والخشابين والجزّارين والعنّازين(١١). وكانت هنالك سوق للحديد(١٢)،

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ١٠٧،٥٧.

(٢) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢١٧.

(٣) ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٩٨.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٤٢٤. رواية: (الرازي).

* المشاط: صانع المشط من قرون البقر والكباش، وسوق المشاطين شهيرة. زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٢٧.

(٦) ابن حيان، المقتبس ج٥، ص ١٤٢.

* الحرار: بائع خيوط الحرير في سوق الحرارين. والحرار: أيضاً ناسج الثياب الحريرية في الطراز، والجمع الحرارة. زمامة، اسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٠٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس ج٥، ص ٣٨٣.

* والشقة، بالضم: معروفة من الثياب السبيبة المستطيلة والجمع شقاق وشقق. والشقة: جنس من الثياب. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ١٨٤.

(٨) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٩٢.

(٩) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠٨.

(١٠) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٤٩.

(١١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ٥٦-٥٧.

(١٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٤١٩.

وسوق للدواب(١). ووجدت في قرطبة سوق خاصة للطعام والشراب، إذ تخصص أهلها في "المطاعم والمشارب"(٢).

واهتم الخلفاء الأمويون بتنظيم الأسواق وترتيبها على أساس التخصص الحرفي، ففي سنة (٣٤٣هـ/٩٥٤م) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر داراً لصناعة السفن في مدينة المرية، وجعلها قسمين، قسماً للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسماً للقيسارية. وفي هذا الأخير نظم حوانيت الصناع على أساس التخصص، فقد "رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها"(٣)

وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) كلف الخليفة الحكم المستنصر "صاحب الشرطة والسوق" أحمد بن نصر بنقل دار البرد التي بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمى، إلى دار الزوامل* التي بالمصارة طرف قرطبة، وأمره بإقامة حوانيت للبزازين بدار البرد التي تم اخلاؤها لينفسح بهم سوقهم وتتوسع صناعتهم(٤). كما أمره "بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، وهد الحوانيت المتحيفة لعرضها المضيقة لسبيلها، كيما ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين نظراً منه لكافة المسلمين واهتبالاً بمصالحهم"(٥).

وفي سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) حبس الحكم المستنصر حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين(٦).

---

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص ٤٤٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٧٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج٢، ص ٣٧

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٦.

* الزامل من الدواب: الذي كأنه يظلع في سيره من نشاطه. والدابة تزمل في مشيها وعدوها زمالاً، إذ رأيتها تتحامل على يديها بغياً ونشاطاً، ابن منظور، لسان العرب، مج١١، ص ٣٠٩، والمقصود بـ"دار الزامل" فيما يبدو، أنها دار للدواب المتميزة بسرعة العدو، وتكون خاصة بالسلطان وحاشيته.

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٦٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٧٠-٧١.

(٦) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٤٩.

وأقيمت الأسواق المتخصصة في المدن الأندلسية في عهدي المرابطين والموحدين، ويبدو أنها كانت أكثر تنظيماً من سابقتها، إذ كان من واجبات المحتسب في هذه الفترة أن "يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة"(١). ولعل أفضل ما يمثل ذلك مدينتا إشبيلية ومالقة.

ففي مدينة إشبيلية وجدت أسواق متخصصة، كان من بينها سوق الزجاجين، والفخارين(٢)، وحوانيت الطباخين والقلائين، والسفاجين، والهراسين، والخبازين، والجزارين(٣) وسوق القصارين واللبادين، والفرائين، والصباغين، والغزالين، والحشائين(٤)، وسوق السقاطين* والنجارين والصرافين والكمادين* والصفارين.(٥) وكانت أغلب هذه الأسواق مقامة بجوار المسجد الجامع المعروف بـ"جامع ابن عدبس"، واستمرت على ذلك حتى عهد الأمير الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٢هـ/١١٨٤-١١٩٥م) الذي استحدث بناء المسجد الجامع في إشبيلية(٦)، ثم أمر في سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م) بهدم الديار والحوانيت والفنادق التي كانت تحيط بساحة المسجد، كما أمر ببناء "الأسواق والحوانيت" وإعادة ترتيبها وتنظيمها، فابتنيت على أحسن وجه، وجعل لها أربعة أبواب كبار تحيط بها من جوانبها الأربعة، فلما كمل بناؤها بحوانيتها، نقلت إليها أسواق العطارين، والبزازين والخياطين، "وتزاحم الناس باعتباطهم في المزايدة في كرائها"(٧). وهذا يدل على أن أمراء الموحدين كانوا يعتنون بالأسواق، فيشيدونها على نفقة الدولة، ويؤجرونها للتجار والصناع بالمزايدة.

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥، ٤٨، ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٠.

* السقاط: يطلق على محترف إعداد معدات الفرسان من سراج ولجام وركاب. وهناك سوق السقاطين، ما زالت بها بقايا هذه الحرفة. زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

* والكَمْدُ والكُمْدَة: تغير اللون وذهاب صفائه وبقاء أثره. وكمد لونه إذ تغير، والكُمْدَة: تغير اللون. يقال: أكمد الغسّال والقصّار الثوب إذا لم ينقه. وكمد القصار الثوب إذا دقه، وهو كماد الثوب. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٥) ابن عبدون، في القضاء الحسبة، ص ١٥، ٨٥.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٩٦؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس، ص ٢١٨.

أما مدينة مالقة، فقد روعي التخصص الحرفي في تنظيم أسواقها. فقد كان فيها أسواق كثيرة متخصصة "في الربض والمدينة"(١)، ومن جملة ذلك سوق الخياطين، والقصارين، والرفائين، والطرازين، والقطانين، والحصارين، والقراقين(٢) واللبادين، والحدادين، والنشارين، والنحاسين، والفخارين والزجاجين(٣)، والخبازين، والطحانين(٤)، والعطارين، والصيادلة(٥). وكان في مالقة سوق خاصة لعمل "الخوص من الأطباق وما في معناها"(٦)، وسوق "مختصة بعمل صنائع الجلد"، وسوق مختصة بعمل "صنائع الحديد، كالسكين والمقص ونحوهما"(٧). وفي أطراف مدينة مالقة نجد أسواق الصباغين والدباغين والجيارين والجباصين(٨)، إذ كانت هذه الأسواق تقام في العادة خارج أسوار المدن تفادياً للروائح الكريهة من جهة، واختياراً للمكان الفسيح من جهة أخرى.

ومن أسواق مالقة المتخصصة، سوق الغزل(٩)، وسوق الجزارين وبائعي اللحم وأنواع المطبوخات(١٠). وقد بلغ تنظيم الأسواق في مدينة مالقة درجة كبيرة من الإتقان والرقي، حتى أن التخصص الحرفي يبدو بين أصحاب الحرفة الواحدة، إذ نرى المحتسب يأمر بائعي اللحم، بأن لا يبيع أحد منهم لحم ماعز وضأن في حانوت واحد، ولا في حانوت بين حانوتين، وإنما جعل لكل نوع من ذلك حوانيت تخصه، وتعلم به، منفصلة عن غيرها، وأمر "بائع لحم العنز أن ينفخ جلد عنز ويعلق بأول الحوانيت المعدة لبيع العنز".(١١) وغرض المحتسب من ذلك حماية المستهلك من غشهم وتدليسهم، كما سنرى

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٨.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣-٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥، ٦٧، ٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١-٢٢، ٢٦، ٦٩-٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٢. رواية: (ابن السديد).

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٢، رواية: (مسالك الأبصار).

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣-٦٤.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٣٣٣.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٢-٤٠.

(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٤.

واستمر الإهتمام بمراعاة التخصص الحرفي في تنظيم أسواق المدن الأندلسية، ويبدو ذلك واضحاً في عهد دولة بني الأحمر، إذ نجد أن مدينة غرناطة كغيرها من المدن الأندلسية الأخرى، تزخر بالأسواق المتخصصة، فكان بها لأهل كل حرفة محل خاص في السوق، من مثل حوانيت الصاغة والقراقين والحدادين(١) والعطارين(٢). ومحال صناع وتجار المواد الغذائية، من جزارين وسماكين وطباخين وشوائين وقلائين(٣). وكان بها أيضاً محال أهل الحرف الذين يصنعون الآنية والأدوات تحت أعين مبتاعيها، مثل تجار المصنوعات الحديدية، وتجار المصنوعات النحاسية، وتجار طقوم الخيل، وتجار السروج(٤)، إضافة إلى ما كان بها من حوانيت الفخارين(٥) والدباغين والطوابين(٦).

٢ - الأسواق الجامعة

وإلى جانب الأسواق المتخصصة، وجدت في المدن الأندلسية "أسواق جامعة لكل صناعة ومتجر"(٧) يباع فيها مختلف أنواع البضائع والسلع، ونجد مثل هذه الأسواق في مدينة، طرطوشة(٨)، ومالقة(٩)، وجيان(١٠)، ولورقة(١١) وبسطة(١٢) والجزيرة الخضراء(١٣).

---

(١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص ٢٨٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٠٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٢٧، ١٣٧، ٢٠٠-٢٠١؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ١١٨.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٠٧. رواية: "مسالك الأبصار".

(٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٤، ١٦٢.

(٨) المصدر نفسه ص ١٢٤.

(٩) المصدر نفسه ص ١٧٨.

(١٠) الحميري، الروض المعطار، ص ١٨٣.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٢.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص ٥٦٨.

(١٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣.

كما وجدت أسواق أسبوعية جامعة، تعرف باسم اليوم الذي تعقد فيه، ومثال ذلك سوق الثلاثاء في مدينة شوذر(١) وسوق الخميس في مدينة قرمونة(٢)، وسوق الخميس في مدينة قبرة(٣) وسوق الخميس في غرناطة.(٤) ويبدو أن الدولة اهتمت بتنظيم هذه الأسواق الجامعة، حتى يتمكن التجار والصناع من بيع بضائعهم ومنتجاتهم، وحتى يقوم المستهلك بشراء كل ما يحتاجه من هذه الأسواق، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الإنتاج، ويساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية في البلد.

وتميزت الأندلس بصورة عامة بكثرة أسواقها المنتشرة بين المدن لتزويد المسافرين بما يحتاجون إليه من ضروب الأطعمة. فقد ذكر الزهري، أن من بركة الأندلس "أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره"(٥)، وذكر المقري في رواية أخرى أن المسافر "حيثما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري والأودية ورؤوس الجبال، لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك"(٦).

ويلاحظ مما تقدم اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها وترتيبها على أساس التخصص الحرفي، بهدف تسهيل عملية الرقابة والإشراف فيما يبدو، وربما كانت الدولة تهدف إلى إثارة روح التنافس بين أصحاب الحرفة الواحدة، حتى تضمن الدقة والجودة في الصناعة. كما يبدو أن الحرفيين أنفسهم كانوا يحرصون على أن يتجمع أهل كل حرفة منهم في سوق خاصة بهم، لأن هذا يقوي الرابطة بينهم، ويزيد من تماسكهم وتعاونهم وتكتلهم.

٣ . التنظيمات الحرفية

كان الحرفيون في الأندلس يتجمعون في أحياء وأماكن خاصة بهم، تحمل أسماء صناعاتهم، كربض الرقاقين، وربض حوانيت الريحاني، وباب العطارين في قرطبة(٧)، وربض الفخارين، وباب الدباغين، وباب الفخارين في غرناطة(٨).ومما يؤكد تجمع أهل

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٣.

(٤) وثائق عربية غرناطية، ص ٣٤.

(٥) الزهري، الجعرافية، ص ٨٠.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٢٦.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ص ١٠٣؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٦٨.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٧. رواية: (مسالك الأبصار).

الحرف وتكتلهم في أحياء خاصة وجود بعض المساجد، تحمل أسماء حرفهم وصناعاتهم، مثل مسجد الصباغين، ومسجد التبانين(١)، ومسجد الفخارين(٢) في إشبيلية، ومسجد الجزارين في سرقسطة(٣)، ومسجد الجزارين في الجزيرة الخضراء(٤). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مظهر من مظاهر التنظيمات الحرفية في الأندلس، حيث كان لأهل كل طائفة أو جماعة حرفية سوق خاصة بهم، كما كان لهم أحياء خاصة يتجمعون فيها.

ومن مظاهر تنظيمات الحرفيين أن أهل كل صناعة كانوا يتخذون يوم الجمعة منذراً يسمعهم التكبير إذا كبر الإمام. وكان أهل الأسواق عامة، يرتبون منذراً يشعرهم بأذان الظهر والعصر في كل يوم، وكانوا "يجمعوا له كل يوم جمعة شيئاً يستعين به في معيشته، يجبرهم على ذلك القاضي والمحتسب"(٥).

أما المقصود بالتنظيم الحرفي، فيرى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بأنه "مؤسسة نقابية، تقوم بتنظيم الحرفة وحفظ أسرارها وتثبيت أسعار عادلة للمنتجات الصناعية والحفاظ على مستوى الصناعة البشرية"(٦). ويرى بروفنسال أن "أساسها عقد تأسيسي يحدده العرف، ويسلم به الداخلون في الجماعة، ويقسمون على احترامه"(٧). وقد استعملت مصطلحات متنوعة للدلالة على التنظيمات الحرفية في المجتمع الأندلسي، فكان يشار لأهل الحرف بـ "أهل الصنائع"(٨) و "أصحاب الصناعات"(٩)، و "أرباب الصنائع"(١٠)، و "أصحاب الصنايع والمهن"(١١) و "أهل

---

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، س ٥، ق ١، ص ٣٢، ٢٠٦.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٦.

(٣) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج ١، ص ٣٩٦.

(٤) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ٨٧٩.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٣.

(٦) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ٦٩.

(٧) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٨٩؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ٦٩.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٥٢.

(٩) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠، ٤٩.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩.

(١١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، خ، ج ٥، ص ١٣.

الصناعات والمهن"(١) و "أهل الحرف والصنائع"(٢) و "أهل الصنائع والحرف"(٣). كما كان يشار إليهم بـ"الأصناف"*، فهذا السقطي يقول عن ذابحي الجزور وبائعي اللحم وأنواع المطبوخات أنهم:"أصناف ولكل صنف منهم نوع يخصه وطريق يجري عليها"(٤). وذكر ابن صاحب الصلاة أنه اجتمع في مدينة إشبيلية سنة (٥٦٧ هـ/١١٧١م) "من أصناف النجّارين والنشّارين والفعلة لأصناف البناء أعداد، من كل صنف صناع مهرة في كل فن من الأعمال أفراد" للمشاركة في بناء "الجامع الكبير"(٥). كما اجتمع في مدينة شريش سنة (٦٨٤هـ/١١٨٨م) "جميع أصناف الصنائع والتجارة، فأخبر من تفقد أسواقها أنه رأى فيها أصناف الصناع، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته"(٦). وكان يشار إليهم أيضاً بـ"الطوائف"(٧)، فقد ذكر أن الموحدين حين شرعوا في تجليد (تسفير) المصحف العثماني حشروا "له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين، .. فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين"(٨).

ونستدل من ذلك على أن أهل كل حرفة كانت تجمعهم طائفة واحدة مستقلة عن غيرها، لها أصولها ونظمها الخاصة بها. وقد جعل على رأس كل طائفة منها رئيس من أهلها يسمى "الأمين"(٩)، فكان هنالك أمين

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٨٦٦.

(٢) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٥٥؛ المكناسي، الإكسير، ص ٨٣.

(٣) المكناسي، الإكسير، ص ١٦١.

* صنف: الصِّنف والصَّنف، النوع والضرب من الشيء، والجمع أصناف وصنوف. والصِّنف طائفة من كل شيء، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة. ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٢.

(٥) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٦) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٣٥٢.

(٧) بروفنسال، سلسلة محاظرات، ص ٨٩؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص ١٣١.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٦١١. رواية: (ابن طفيل)

(٩) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٤.

عـن غيرها، لها أصولها ونظمهـا الخاصة بها. وقد جعل على رأس كـل طائفة منها رئيس مـن أهلهـا يسمى "الأمين"(١)، فكـان هنالك أمين للعطارين(٢)، وأمين للجـزارين(٣)، وأمين للـوزانين، وأمين لسـوق الـدواب(٤)، وأمين لسـوق الغـزل(٥)، وأمين لـدار الطـراز(٦). وقـد أكـد المحتسـب على ضـرورة أن يكـون في كـل صنـاعة أمين(٧).

ويشترط في الأمين أن يكـون عـارفاً بصنعتـه خبيراً بالجيـد والـرديء مـن حرفتـه، مشهوراً بالثقة والأمانة(٨). ولهذا كان ينتخب باقتراح يقدم للمحتسب، إذ جرت العادة أن يكـون تعيينـه من قبل القـاضي أو المحتسـب(٩).وكان مـن أهـم واجباته أن يحل الخلافات التي تقوم بين أهل الحرف وعملائهم، وأن يبلغ المحتسب مطالب الجماعة فيما يخص تقدير تكاليف السلعة وتحديد ثمن بيعها(١٠). كما كان يرجع إليـه عند الاختلاف في أمـر مـن أمور الحرفة،(١١)، وربمـا يقـوم بدور المعلم لأهـل صنعتـه، فيعلمهـم طرقها وسننهـا إذا اقتضت الضرورة ذلـك (١٢). ومن واجباته منع الغـش والتدليس بين أهل حرفتـه، ومراقبة الدقة والجودة في الصنـاعة، فكان يحتفظ بنمـاذج من المصنوعات الجيدة يرجع إليهـا عند الضرورة، وكان لـديه طابع خاص يختم به على المنتجـات الصناعية بعد التأكد من دقة صنعها ومطابقتها للمقاييس والمواصفات المتعـارف عليها بين الصنّاع(١٣).

---

(١) حسين مؤنس، فجر الأندلس،ص٤٦٤.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م ٢، ص ٢٨٧؛ المقري، نفح الطيب، م ٢، ص ١٩٤.

(٣) ابن عبـدون، في القضـاء والحسبـة، ص ٤٤؛ ابن عبـد الـرؤوف، في آداب الحسبـة، ص ٩٣.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٩ - ٤٠، ٥٣.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٨٥.

(٦) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٩١ - ٩٢.

(٧) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٣.

(٨) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٥٥ - ٥٦.

(٩) بروفنسـال، سلسلـة محـاضرات، ص ٨٩؛ عـز الـدين مـوسى، النشـاط الاقتصـادي، ص ٢١٦.

(١٠) بروفنسـال، سلسلـة محـاضرات، ص ٨٩؛ الشيخلي، الأصنـاف في العصـر العبـاسي، ص ١٦٩.

(١١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٣.

(١٢) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٣.

(١٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٩ - ٤٠، ٥١، ٥٣، ٥٨.

وإلى جانب الأمين نجد في التنظيم الحرفي في الأندلس رتبة "العريف". ويكون في العادة من الأساتذة المهرة في الصناعة(١)، ويختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع(٢). ويشترط فيه أن يكون فقيهاً عالماً خيراً، مشهوراً بالثقة والأمانة والتقوى، وأن يكون حاذقاً متقناً لصنعته عارفاً بصيراً بأسرارها(٣).

وقد كان لأهل كل صناعة عريف من صالح أهلها(٤)، يعينه القاضي أو المحتسب(٥). فكان هنالك عريف للخياطين(٦)، وعريف للجزارين وبائعي اللحم، وعريف للطباخين، وعريف للعطارين، وعريف للصيادلة(٧)، وعريف للبنائين(٨)، وعريف للجيارين، وعريف للنجارين(٩).

وكان من أهم واجبات العريف، مراقبة أهل حرفته وتفقد أحوالهم والبحث عن أخبارهم ومعرفة أسرارهم. كما كان يكشف عن أساليب غشهم ومكرهم وتدليسهم، وينبههم على ذلك في السر والعلن(١٠). وكان يأمرهم بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم، ويحثهم على العناية بنظافة المنتج وأدوات الإنتاج، وعلى إتقان الصنعة وجودة المصنوعات(١١). ومن اختصاصات العريف أيضاً، أن يساعد المحتسب في تنظيم طرق العمل بين أهل الأصناف(١٢)، وأن يقوم بحل الخلافات التي تقع بين أهل صنفه،

---

(١) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٤؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٧٠.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤، ٥٨؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩، ٣٣ - ٣٤، ٤٣.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق ٣، ج ١، ص ٢١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٦٠.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٣ - ٢٤؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٣٧.

(٦) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٦٢؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٥.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٣٧، ٣٩ - ٤٠، ٤٣.

(٨) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٨٦، ٣٧٦؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ق ٢، ٣١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٧٨.

(٩) ابن صاحب الصلاة، المن الإمامة، ص ٨٥ - ٨٦.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩، ٣٣، ٣٧، ٤٣.

(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٤٠.

(١٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٧٠.

ويحكم بها دون إبلاغها إلى الحاكم(١). وكان للعريف دور في تثبيت العرف الذي يتبعه أهل الصناعة. ويؤكد ابن عبدون ذلك حين يقول: "يجب للقاضي أن يجعل في كل صناعة رجلاً من أهلها، فقيهاً، عالماً، خيراً، يصلح بين الناس إذا وقع بينهم الخلاف في شيء من أمورهم، ولا يبلغون إلى الحاكم، .. وذلك أن يرجعوا إلى حكمه ورأيه؛ فهو أرفق وأستر لانكشافهم"(٢).

ويلحظ أن التنظيم الإداري للحرف والصناعات كان في غاية الدقة والإتقان، فإلى جانب ما كان يسمى بـ"الأمين" و "العريف" نجد في كل مهنة المعلم، والعامل المدرَّب، والمتعلم (الصبي)(٣). وقد أوجدت الدولة جهازاً خاصاً للإشراف والرقابة على الأسواق، كان يطلق عليه اسم "الحسبة"، وكان يرأسه موظف خاص يدعى "صاحب الحسبة" أو "المحتسب". وكان عليه أن يبحث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها "أهل الحرف والصنائع" المختلفة، كما سنرى.

٤ . الإشراف والرقابة على الأسواق:

خضعت الأسواق في المجتمع الأندلسي منذ وقت مبكر للإشراف والرقابة. فقد كان يتولى أمر الرقابة والإشراف على الأسواق موظف خاص يدعى "صاحب السوق"(٤) وكان يعرف بصاحب الحسبة، "لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة وتفقد مكيال وميزان وشبهه"(٥). وقد عرفت خطته باسم "ولاية السوق"(٦) أو "أحكام السوق"(٧)، ثم أصبح يقال لها "ولاية الحسبة"(٨)، وأحياناً "خطة الإحتساب"(٩). ويبدو أن اسم الحسبة لم يكن شائعاً في الأندلس قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ومما يؤكد ذلك أن ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن أحمد الرعيني المعروف بابن المشاط (ت ٣٩٧هـ/١٠٠٦م)، يذكر أن الحاجب المنصور "ولاه أحكام الحسبة المدعوة عندنا بولاية السوق"(١٠).

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤؛ السدوري، نشوء الأصناف والحرف، ص ١٢.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ٢٤ - ٢٦؛ عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي، ص ٢١٦.

(٤) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ٥٤٨؛ الونشريسي، المعيار المغرب، ج١٠، ص ٧٧؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٣٥، ١٣٧-١٣٨، رواية: (ابن سهل).

(٥) الونشريسي، المعيار المغرب، ج١٠، ص ٧٧. رواية: (ابن سهل).

(٦) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص ١٠٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص ٣٠٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٤٦.

(٧) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص ٥٢٢، ٥٥٢.

(٨) الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٧.

(٩) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢١٨؛ الفاسي، خطة الحسبة ص ١٧.

(١٠) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص ٣٠٨.

وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يتحلى بصفات وخصائص تميزه عن غيره حتى يستطيع القيام بعمله على خير وجه، فلا بد ان يكون رجلاً، مسلماً، عفيفاً، خيراً، ورعاً، غنياً، محنكاً، فطناً، عالماً، فقيهاً في الدين، قائماً مع الحق، نزيه النفس لا يميل ولا يرتشي، عالي الهمة، معلوم العدالة، عارفاً بجزئيات الأمور، وسياسات الجمهور، ذا أناة وحلم وتيقظ وفهم ووقار، وأن يكون حازماً لا تأخذه في الله لومة لائم(١). ويجب أن يكون عارفاً بأصناف الصناعات والمعايش وحيل الباعة، إذ بذلك "يتوصل الى معرفة الغش والتدليس، ويميز بين التحقيق والتلبيس"(٢).

هذا، وقد انشئت خطة الحسبة أو "ولاية السوق" في وقت مبكر من تاريخ الأندلس، ورغم أن المصادر الأندلسية لم تشر الى ذلك صراحةً، فإنه يمكننا أن نستشف ذلك من خلال بعض الإشارات التي وصلتنا. فقد ذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/٨٢١ - ٨٥٢م)، كان أول من "ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، وصير لواليها ثلاثين ديناراً في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار"(٣). وهذا يدل على أن ولايتي السوق والشرطة، قد كانتا تسندان لشخص واحد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستمر الأمر على ذلك حتى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث فصل بين الوظيفتين وميز بينهما، فأصبح لكل خطة منهما مهمات وواجبات خاصة بها تميزها عن الأخرى.

ويبدو أن الفصل بين الوظيفتين استمر خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ نرى الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، يعزل موسى بن محمد حدير عن ولاية المدينة، ويولي مكانه محمد بن عبد الله الخروبي، حيث "نقله من ولاية السوق إليها، وولى السوق مكانه أحمد بن حبيب بن بهلول"(٤).

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٠؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٥؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٠؛ المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٤٤.

(٢) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٠.

(٣) ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الأندلس، ص ٢٨٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٦.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ١٠٣.

ونلاحظ اعتباراً من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، أن ولايتي الشرطه والسوق، قد اصبحتا تجمعان في الغالب في يد والٍ واحد، بهدف تحقيق التكامل بين هذين الجهازين المشرفين على النظام والأمن، ولدينا أمثلة عديدة على ذلك:

فهذا أحمد بن نصر، من أهل قرطبة، ولي أحكام الشرطة والسوق في عهد الخليفة الحكم المستنصر(١)، وهذا أبو العباس أحمد بن يونس الجذامي المعروف بالحراني، ولي خطتي الشرطة والسوق في زمن الخليفة هشام المؤيد(٢). كما ولي محمد بن محمد بن إبراهيم القيسي (ت ٤٣٢هـ/١٠٤٠م) أحكام الشرطة والسوق في مدينة قرطبة(٣)، وولي الفقيه عبد الرحمن بن مخلد أحكام الشرطة والسوق، في عهد أبي الوليد بن جهور، ولم يزل متقلداً لهذه الوظيفة حتى وافته المنية سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م)(٤). وكان ممن تولى "أحكام الشرطة والسوق"، حسن بن محمد بن ذكوان القرطبي، يكنى أبا علي (ت ٤٥١هـ/١٠٥٩م)(٥)، ومحمد بن مكي بن مختار القيسي، من أهل قرطبة، يكنى ابا طالب (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)(٦)، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي الغرناطي، (ت ٥٩٨هـ /١٢٠١م)(٧).

وشهدت الحسبة في الأندلس تطوراً وازدهاراً كبيراً، إذ أولى الأندلسيون فقه الحسبة عناية كاملة، فكانت "لهم في أوضاع الإحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها، كما تتدارس أحكام الفقه، لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات"(٨). ووصفت خطة الحسبة بأنها من أعظم الخطط الدينية، وهي بين خطة القضاء وخطة الشرطة(٩). كما اعتبرت نوعاً من أنواع القضاء المتميز بسرعة البت في القضايا، وعهد بولايتها إلى كبار الفقهاء من طبقة القضاة، وكان متوليها يتقاضى راتباً معيناً من بيت المال(١٠).

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٥٠.

(٢) الفاسي، خطة الحسبة، ص ٧٢.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق ٢، ٥٢٢.

(٤) الفاسي، خطة الحسبة، ص ٧٢.

(٥) الفاسي، خطة الحسبة، ص ٧٢.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ق ٢، ص ٥٥٢.

(٧) الفاسي، خطة الحسبة، ص ٧٢.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢١٩.

(٩) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٤٢.

(١٠) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٠؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٠٤، ٢١٨.

وكـانت الحسبة في عهد دولـة بني أميه تدخل ضمن اختصـاصات القضـاة، ويؤكد ذلـك ابن خلـدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) بقـوله: وقد كانت الحسبـة "في كثير مـن الدول الإسلاميـة مثـل العبيديين بمصـر والمغـرب، والأمويين بالأندلـس داخلـة في عموم ولاية القـاضي يولي فيهـا باختيـاره"(١). وكـان القـاضي يتـولى بنفســه عمليـة تعيين وعـزل المحتســب، ولكن بعد الرجوع إلى صاحب الأمر (الخليفة أو السلطـان) في الدولة، فقد ذكر ابن عبدون أنه "يجب للقاضي أن لا يقدم محتسباً إلا أن يعلم الرئيس بذلك، لتكون للقـاضي حجـة عليه إن أراد أن يعـزله أو يبقيه"(٢). ويفهـم مـن ذلك أن الخليفة هو الـذي يمتلك أمر تعيين وعزل المحتسب، وإنما القاضي ينسب مـن يراه مناسباً لتولي هذا المنصب. وهذا يدل على أهمية الحسبة في الأندلس، حيث أوليت عناية خاصة، وأدرجت تحت اهتمامات القضاة لما تتطلبه من عدل وحسن تدبير، وخاصة إذا ما عرفنا أن القضاة كانوا يرتبطون مباشرة بالولاة والحكام، وأن عملية تكليفهم بالقضـاء تتطلب علماً وفقهاً ومعرفة في مختلف مجالات الحياة.

ومممـا يدل على أهمية الحسبـة في الأندلس، ويؤكد ارتبــاطها الوثيق بالقضاء قول ابن عبـدون: "والأحتساب أخو القضـاء؛ فلذلك يجب أن يكـون إلا مـن أمثال الناس، وهـو لسـان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفتـه؛ وإن اعتذر القـاضي، فهـو يحكم مكانه فيمـا يليق به وبخطته. ويضرب لـه أجرة من بيت المال تقوم به فينصفـه القـاضي؛ فمن ذلك أن يعضده، ويحميه، ويشده، ويقوم معه، ويمضي أحكامه وأفعاله، ولا يعكس عليه أمـراً ، ولا يسلمـه، ويمنع عليـه جهـده، لأنه يكفي القاضي أمــوراً كثيرة ممـا عسى أن يكـون نظـرها للقاضي؛ فيكفيه التعـب والشغـب والامتهان مـع عـامة الناس وخساسهم والعتاة والجهال من ضروب الصناع والعمال" (٣). كما تتضـح لنا أهمية المحتسب من خلال الاختصـاصات والمهام الموكولة إليه، إذ أنها شملت مختلـف جوانب الحياة الدينية والإجتمـاعية والإقتصادية، والـذي يهمنا هنا هو الجانب الإقتصـادي الذي يتعلق بالحرف والصناعات.

---

(١) ويتـابع ابن خلدون فيقول: "ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصـار نظره عاماً في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية". وأصبح تعيين المحتسب من حق الإدارة المدنية لا من حق القضاء، ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٤٦ - ٧٤٧؛ بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٨٦.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٠.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٠.

كان على المحتسب أن يتفقد الأسواق، ويراقب المكاييل والموازين ويتأكد من دقتها(١)، ويبحث عن اساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أصحاب "الحرف والصنائع" المختلفة، فيراقب الطحانين لئلا يخلطوا القمح الطيب بالرديء(٢)، ويراقب الخناطين لئلا يغشوا بخلط الدقيق الطيب بالرديء، ويأمرهم بتغطية الدقيق بين أيديهم حتى لا يتساقط فيه ما يفسده(٣)، وينهاهم عن غربلة القمح في الأسواق والأماكن الضيقة لما فيه من الإضرار بالناس(٤)، وكان يلزم الخبازين بأن يتخذ كل واحد منهم طابعاً ينقش فيه اسمه ويطبع على خبزه ليتميز خبز كل واحد بطابعه وتقوم الحجة به على صاحبه(٥)، ويطالبهم بإنعام طبخ الخبز(٦)، وبغسل قصاري العجين كل يوم، وجرد الألواح ومسحها(٧)، ويحثهم على غسل مناديلهم، وعلى الإغتسال في أكثر الأوقات وغسل رؤوسهم لا سيما في فصل الصيف، ويمنعهم من العمل قبل الفجر(٨)، وينهاهم عن خلط البارد من الخبز بالحار، وعن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء وبعد الطبخ بالزيت، ويأمرهم أن يفرقوا بين خبزة الرطلين وخبزة الرطل ونصف، وأن لا يعملوا خبزة من خبزتين، وكان المحتسب يلتفت داخل الخبز لئلا يكون معقداً أو مردوفاً أو مقلساً، وكان يختبر الخبز عليهم بالوزن(٩)، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان والأسعار، فقد ذكر المقري أن المحتسب كان "يمشي بنفسه راكباً على الأسواق واعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان، لأن الخبز

---

(١) يحي بن عمر، أحكام السوق، ص ٣٢، ٣٥ - ٤٠؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٩ - ٤٢؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ١١ - ٢٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢١.

(٣) ابن عبد الرؤوف ، في آداب الحسبة ص ٨٨.

(٤) يحي بن عمر، أحكام السوق، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٨٨.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢١.

(٦) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٨٩.

(٧) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٨.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٠.

(٩) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٠.

عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثمن"(١). ولذا نجد المحتسب يأمر باعة الخبز أن يتخذوا موازين على رؤوسهم أو أن تكون معهم في حوانيتهم ليختبروا بها الخبز بالوزن إذا وصلهم، فإن وجدوه مطابقا للوزن باعوه، وإن كان ناقصاً تركوه لمن عمله، ومن باعه منهم واكتشف أمره استحق العقوبة(٢).

وكان على المحتسب أن يمنع الفرانين من حرق ما يحتطب من الأزقة والمواضع القذرة التي لا تؤمن من نجاستها وإضرارها بالمطبوخ، وينهاهم عن كشف الخبز قبل إدخاله في الفرن لئلا يسقط عليه ما يفسده، ويأمرهم بحفظه وتعهده بعد إدخاله في الفرن، وأن يميزوا بين خبز القمح وغيره، وأن ينظفوا البالة التي يفرنون بها، وأن يكنسوا الفرن من الرماد والتراب، ويحرقوا الأحطاب الجبلية كلها(٣).

وكان يشدد على الجزارين بأن "يتولى الذبح من يوثق به ويعلم فضله إن وجد، وإلا جعل أمين عليهم، يقف عليهم ويعلمهم سنة الذبح"، ويأمرهم أن يفرقوا بين لحوم الماعز والضأن، وأن لا يخلطوا بين لحم البطون والرؤوس، وأن يقوموا بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم(٤). وأما باعة اللحم، فيأمرهم بغسل الحصر التي يضعون اللحم عليها، وأن يعرضوا موازينهم في أوجه الحوانيت حتى يتبين للمشتري ما يوزن له، وأن لا يترك أحداً منهم يبيع لحم ضأن وماعز في حانوت واحد حتى لا يلتبس الأمر على الجاهل(٥). ومن الجدير ذكره هنا أن أسعار اللحوم في الأسواق الأندلسية كانت تحدد من قبل المحتسب، فـ"اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة" ومن خالف ذلك تعرض للعقوبة الرادعة المتمثلة، بالضرب والتجريس في الأسواق، ومن ثم النفي من البلد، إن كثر ذلك منه ولم يتب(٦).

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ١١، ٣١.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩١.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣ - ٣٤.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣ - ٣٤.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢١٨ - ٢١٩.

وكان من واجبات المحتسب مراقبة الطباخين، فاشترط في مطابخهم أن تكون مجصصة مسطحة ليتمكن من غسلها في كل الأوقات، وطلب منهم أن يقوموا بعملهم في ضوء "المصباح، وبحيث لا يخفى شيء من أمورهم حتى يشاهد الثقة المقدم عليهم تنظيفهم اللحم وضمه في القدور ورفعها على النار بعد وضع الأبازير فيها وما لا بدّ منه لطبخها"(١) وحثهم على ضرورة تنظيف ابدانهم وملابسهم، وتنظيف الأواني والقدور المستعملة في عملية الطبخ، وتنظيف اللحوم وسائر المأكولات قبل طبخها وتغطيتها بمنديل نظيف(٢). وكان المحتسب يتفقدهم في الصباح والمساء، فأما بالصباح فيقف على اللحم الذي منه يطبخون لئلا يكون لحماً ردياً، وأما بالمساء فلئلا تبقى لهم بقية فيزيدوا عليها غيرها ويخلطوها ثم يعيدوا طبخها، وكان يأمرهم أن يضعوا ما طبخوه في الصحاف والقدور الواسعة ليراه المشتري ولا يخفى عليه منه شيء(٣)، وأن لا يطبخوا في الليل ولا في السحر ولا في الديار الخالية(٤).

وكان على المحتسب أن يتفقد الهرّاسين، والسفّاجين، والقلاّئين والشوّائين، وبائعي العسل والسمن واللبن، وصانعي الكعك والمسمنات وأصناف الحلوى والمجبنات(٥)، ويتفقد العطارين والصيادلة الذين يكثر غشهم ويلحق الناس منهم ضرر بليغ، لأن "الكشف عنهم صعب المرام، وغش مفسديهم لا يكاد يحصر ولا يرام"(٦)، ويراقب الزياتين لئلا يخلطوا الزيت الطيب بالردي، ولا يغشوا فيه بماء أو غيره، ويأمرهم بتجربة الكيل للمشتري، وأن يتصدقوا بما يجتمع في الصحاف من بقايا مكايلهم من الزيت، لأن ذلك من حقوق الناس(٧)، ويمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت(٨).

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٥.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٧؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٦ - ٩٧.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٥.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ٤٢، ٤٥، ٥٥؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٦، ٣٩؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٥؛ ابن الاخوة، معالم القربة، ص ١٣٣-١١٤.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة ص ٤١ - ٤٧؛ ابن عبد الرؤوف، فس آداب الحسبة، ص ٨٦ - ٨٧.

(٧) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٥.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨.

وينبغي على المحتسب أن يتدخل في شؤون الخياطين، فيأمرهم بجودة التفصيل، وأن لا يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم وحوائجهم لأنهم يتضررون بالتردد إليهم، وأن تكون الخياطة درزاً لاشلا، وألا يكون الخيط طويلاً لأن الخياط لا يتمكن من شده لطوله فتكون الخياطة به غير متقنه(١)، ويتفقد تفصيلهم للثياب لأن من "مفسديهم من يفصل الثوب كاملاً ويخرط في الخواصر فيعطي القياس في التربيع وهو ضيق، وقد سرق منه بقدر الخرط، وكذلك يضيقون أكمام أثواب الكساء ويضربون خياطتها طلب التوفير، فإذا لبس الثوب قليلاً تفلتت خياطته وانفصلت أجزاؤه وخسر مشتريه، وكذلك يوسعون أطواق أثواب الكتان لتظهر عند القياس كاملة"(٢). وكان المحتسب يراقب الكتانيين لئلا يرشوا الماء على الكتان ليثقل وزنه، ويأمر بائعي الغزل بتجفيفه تحت الشمس، لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليتحسن وجهه ويزيد في وزنه(٣)، ويتفقد أحوال القطانين، ويأمرهم بتخليص القطن من الشوائب العالقة به(٤)، ويمنع حاكة الديباج وغيرهم من تصبيغ الديباج لئلا يتصفق ويشتد(٥)، ويفرض على الصباغين أن لا ينشروا الثياب المصبوغة المبلولة على الطرقات لكي لا تلحق الضرر بملابس الناس(٦)، وأن يصبغوا المنسوجات القطنية والكتانية باللون السحابي، لأن الألوان الأخرى لا تثبت عليها(٧)، وأن يختاروا الألوان المناسبة للملابس الجاهزة المراد صبغها(٨)، ويلزم القصارين بأن لا يلبسوا ثوباً يعطي للقصارة، ولا يلبسوه أحداً ويحلّفون على ذلك(٩)، وان يكتبوا على كل خرقة اسم صاحبها لئلا تختلط أقمشة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢ - ٦٣؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٣٧.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٨٧.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٤٢.

(٥) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٨٦، ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(٨) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠.

(٩) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٣٩.

الناس ببعضها(١)، والا يستعملوا المفتل لعصر الثياب، وأن لا يقصروها بالمرازب لأن ذلك يضر الثياب ويوهن قوتها(٢) ويمنع الرفائين أن يرفوا خرقا في ثوب لقصار إلا بعد موافقة صاحبه، ويمنع الطرازين أن يغيروا رسم ثوب عند قصار(٣). ويجب عليه أن يحد للحشائين والفرائين أن لا يوسعوا فتح أطواق الثياب كثيراً، ويفرض على الحشائين أن يطولوا مقام (مقادم) المحاشي، وأن يعدلوا القطن فيها(٤)، وينهى الفرائين عن تتريب وجوه الفراء، لأن التتريب يستر عيوبها(٥)، ويوصيهم أن لا يستعملوا الخزف لتخمير الفراء البالية، فإنها دلسة عندهم (٦)، وكان المحتسب يتصدى لعمال المرط* فيأمرهم أن لا يعملوا أفواهها واسعة، وكذلك كان يفرض على اللبّادين أن لا يعملوا اللبود من صوف الميتة(٧)، ويأمرهم بتحسين عملهم لأنهم يعملونها محلولة قليلة الصوف لا ينتفع بها(٨).أما الحصارون، فكان المحتسب يمنعهم من عمل الحلفة القصيرة في كل ما يعمل منها، وينهاهم عن طبخ الحلفة لئلا يوهموا الناس أنها مدبوغة، ويأمرهم بتحسين ما يخيطونه من حصير أو غيره(٩)، إذ لم يسمح لهم ببيع قفف الطين والتراب الا أن تكون مصلبة ومقابضها مطوية الأطراف، وكذلك أقواس الغرابيل يجب أن تكون قوية القصب، مقروضة الأطراف، مشدودة على القرضات(١٠).

وكان المحتسب يأمر صانعي (غرابيل الشعر) بغسل الشعر جيداً، وأن لا يستعملوا شعر الميت فيها(١١)، ويمنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وإنما يبيعونها مدبوغة" للإنتعال والطحين عليها وما كان من منافع البيت، وكذلك الذين يفصلون الجلد الني يمنعون أن يحدوا على موضع القطع بقفا السكين أو بحديدة يتخذونها لهذا الغرض ليخفوا بذلك رقة الجلد، وليظهر غليظاً في رأي العين(١٢)، ولا يسمح للدباغين أن يخلطوا جلد الماعز مع جلد الضأن، وأن يبيعوا جلداً الا ان يكون مدبوغاً(١٣)، ولا يسمح لصناع الأقراق(نوع من النعال) في عمل قرق "الا أن تتصل حاشيتا جلده خرزاً واحداً في ظهره أو بوصل من الجلد صغير لا يبلغ سعة الظهر، ويكون مجموعاً بالخرز لا بالتشبيك"(١٤) ويمنعهم من حشو الخرق البالية والطين داخل أجزاء الحذاء(١٥).

---

(١) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٣٩.
(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.
(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.
(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٨.
(٥) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٣ - ١٠٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٠.
* المرط، كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر، والجمع مروط، والمرط: كل ثوب غير مخيط. ابن منظور، لسان العرب، مج ٧، ص ٤٠١ - ٤٠٢.
(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨ - ٦٩؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٢٩.
(٨) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠.
(٩) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٢.
(١٠) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤.
(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٢٨.
(١٢) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ١٠٢ - ١٠٣.
(١٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(١٥) ابن غبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٩؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٤٩.

وحرص المحتسب على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم، بحيث "يجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة"(١). ومنع الخبازين من مجاورة "أهل الحرف القذرة"، كالسماكين والبياطرة والحجامين وما أشبه ذلك(٢). وكان على الفرانين أن يتخذوا أفرانهم بعيداً عن الطرق لكي لا يلحقوا الضرر بالناس(٣). وطلب من بائعي السمك أن يتخذوا مكانا يكون فيه سوقهم بعيداً عن الطريق، وذلك لما ينشأ عنه من روائح كريهة(٤)، وجعل أسواق الصباغين والدباغين خارج أسوار المدن تفادياً للروائح الكريهة(٥)، كما أمر أن تكون مواضع صناع القراميد والآجر خارج أبواب المدن، حيث تكون هذه المواضع واسعة(٦).

وكان المحتسب يتفقد أهل الترياق والأدهان والأكحال وتختبر عليهم؛ فإن وجدت مغشوشة عوقبوا عليها ومنعوا من الجلوس لبيعها(٧). وكان عليه أن ينهى الجباصين عن خلط التراب بالجبص عند الطبخ، ويأمرهم أن يغربلوا الجبص بالغربال الوسط، وأن يجيدوا طبخه(٨)، وكذلك يأمر الجيارين أن يغربلوا الجير ويخلصوه من الحجارة المختلطة به(٩)، ويلزم عملة الآجر والقراميد أن يصنعوا أنواعاً مختلفة منها، لتلبية رغبات الناس واحتياجاتهم، وأن يحسنوا عملها ويجيدوا طبخها، وأن تكون قوالبهم مصنوعة من خشب صلب لا ينخره السوس، وأن يتقيدوا في أعمالهم بالمواصفات والمقاييس الموضوعة من قبل المحتسب(١٠)، ويفرض على عملة اللبن أن يقللوا من الرمل عند عملها، وأن ينتخبوا التراب الطيب لها (١١)، ويأمر

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٣.

(٢) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٩؛ عز الدين موسى، النشاط الإقتصادي، ص ٢٢٩.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤.

(٧) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

(٩) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤.

(١٠) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤ - ٣٥؛ ابن عبد الرؤوف. في آداب الحسبة، ص ١١٢.

(١١) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

الفخارين بتليين ترابهم وتطيبه، وأن يقللوا من الرمل فيه، وأن يخلطوه جيداً قبل بدء العمل(١)، وكذلك يأمرهم بأن يوسعوا أفواه أقداح الوضوء، وقيعان القلال ويوطئوها بشكل جيد لئلا تقع(٢).

وتركزت رقابة المحتسب على ضرورة توافر الدقة والجودة في أعمال البنائين(٣)، والدهانين(٤)، والرقاقين، والكغادين(٥). وكان يطلب من الكغادين أن يزيدوا في قالب الكاغد وفي دلكه(٦)، وأن يختاروا الخرق الجيدة - من القطن والكتان - ويهتموا بغسلها وتنظيفها من الشوائب العالقة بها(٧).

وكان من واجبات المحتسب أن يمنع الزجاجين من إخراج الزجاج من أفران التبريد إلا بعد يوم وليلة، لكي يكتسب القوة والمتانة(٨)، ويفرض عليهم أن لا يصنعوا آنية مشاكلة لآنية الخمر(٩)، ويختبر عليهم رماد الأفران لئلا يبسطوا التراب في مستوقداتها(١٠). كما يمنع الحدادين من طرق المسامير البالية وبيعها على أنها جديدة، ويأمرهم أن لا يخلطوا المسامير المختلفة الأحجام والأوزان مع بعضها، وأن يجيدوا طبخها لئلا تتكسر عند الإستعمال(١١). ويتقدم المحتسب إلى عملة المفاتيح أن لا يعملوا مفتاحاً على آخر لأي شخص غير موثوق به، ولا على رسم في طين أو عجين(١٢)، ويطلب من عملة الخزائن والأكواب أن تكون وافرة الخشب والحديد، وأن تكون ألواح الطبقات من الخزائن والصناديق على أضلاع مسمرة، وأقفالها متقنة الصنع، ويكون النظر في ذلك إلى رجل مثيل في صناعة النجارة(١٣).

---

(١) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٤.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤ - ٣٥.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨.

(٥) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٤.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٨.

(٧) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٤.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٣.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

(١١) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٦، ٥٩.

ومن مهام المحتسب أيضاً أن يحد لصناع الأمقاص والمساس والقوادم وشبه ذلك، أن لا تصنع إلا مذكرة(١)، وأن يتفقد أسواق الصيارفة، وينهاهم عن الربى، ويمنعهم من ترويج الدراهم والدنانير المزيفة وغش الناس بها(٢)، وعليه أيضاً أن لا يسمح بأن يتداول الناس عملة من غير عملة البلد، لأن اختلاف العملة يكون "داعية الى فساد النقد، والزيادة في الصرف، واختلاف الأحوال، وخروجها عن عادتها"(٣).

واهتم المحتسب بأن يكون للحمالين في كل صنعة موقف خاص بهم(٤)، وأن يكون للحطابين موقف يجتمعون فيه، ولا يدخلون الأسواق، فإنهم يؤذون الناس، وكذلك الأمر بالنسبة لبائعي الفحم والجير وما شابه(٥). وأمر المحتسب بأن يرتب أهل الأسواق منذراً يشعرهم بأوقات الصلاة في كل يوم، وطلب من الكمّادين والصفّارين بالذات أن يتركوا العمل أوقات الصلوات المفروضة(٦).

وكان من واجبات المحتسب النظر في أمور الصناع، ومعرفة أحوال صنائعهم، ومنعهم من المماطلة والتسويف في أعمالهم(٧)، وحثهم على اجتناب الغش والتدليس، ومعاقبة المخالفين منهم؛ بالردع والزجر والتوبيخ والتعزير والضرب والسجن والإخراج من السوق والنفي من البلد(٨) - كما ذكرنا - إذ للمحتسب أن يقدر العقوبة التي يراها مناسبة.

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٩.

(٢) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ٣٣ - ٣٥، ٧٢،٧٧، ٨٥ - ٨٦؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٦، ٥٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٥) المصدر نفسه، ٣٨، ٥٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٢.

(٨) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ٣١ - ٣٢، ٣٨، ٥٧ - ٦٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٢؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٦-١٢٧؛ المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٢١٩.

ولكثرة مسؤوليات المحتسب التي يباشرها، فقد جرت العادة على أن يتخذ له أعواناً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق، وملاحقة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات. فكان المحتسب - كما أشير سابقاً- "يمشي بنفسه راكباً على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانة والذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان"(١). وكان لزاماً أن يتوافر في أولئك الأعوان صفات وخصائص يتميزون بها عن غيرهم، فلا يستعمل المحتسب من الأعوان "من كان غائظاً، ولا شريباً، ولا غضوباً، ولا مهذاراً كثير الكلام واللدد"(٢)، وإنما يستعمل من كان خيراً، عفيفاً، ورعاً، لا يميل ولا يرتشي، مشهوراً بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعته، خبيراً بالجيد والرديء من حرفته(٣). وقد جرى العرف على أن يكون لهؤلاء الأعوان أجرة معلومة يتقاضوها يومياً(٤).

وكان من أهم أعوان المحتسب "العريف"، الذي كان يختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع(٥). فقد جعل المحتسب على كل حرفة عريفاً من صالح أهلها، مشهور بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعته بصيراً بأسرارها(٦) وكان من أهم واجباته أن يبحث عن أخبارهم ويطلع على أسرارهم، وينبههم على غشهم وتدليسهم بالسر والعلانية، ويأمرهم بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم، وأن يطلعوه على خفي أسرارهم وخبيث سرائرهم، حتى "لا يخفى من أمورهم كثير ولا قليل، ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل، فيزول مكرهم، ويرتفع على المسلمين غشهم وضررهم"(٧)، ومن واجباته أيضاً أن يساعد المحتسب في تنظيم طرق العمل بين أهل الحرف(٨) وان يقوم بحل المنازعات والخصومات التي تقع بين الحرفيين، ويحكم بها دون إبلاغها إلى الحاكم، لأن ذلك "أرفق لهم وأستر لا نكشافهم"(٩).

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٢؛ المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٥٥ - ٥٦.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ١١.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩، ٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٣، ٣٥، ٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩، ٣٣ - ٣٤، المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص ٥٦.

(٨) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤٩.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤.

وكان على المحتسب أن لا يعين أحداً من أعوانه للقيام بواجب محدد، كوزن الخبز على الخبازين مثلاً، لئلا يتغاضى عن غشهم وتدليسهم لقاء الرشوة، وعليه أيضاً أن لا يخبر أحداً من أعوانه بموعد خروجه للتفتيش على الأسواق، حتى لا يسارع أحدهم إلى تنبيه أهل الغش ليأخذوا حذرهم(١).

ومما تقدم تبدو لنا أهمية الحسبة ومكانة المحتسب في المجتمع الأندلسي، وأثرهما البالغ في الحياة الاقتصادية. ومما يدل على أهمية المحتسب في الأندلس من الناحية العملية، أن ملوك إسبانيا المسيحيين، كانوا كلما استردوا من المسلمين إقليماً أبقوا فيه المحتسب، ولهذا نجد لفظ المحتسب، يدخل في اللغة القشتالية فيصير "الموتاس" ليدل على الوالي المكلف بضبط الموازين والمكاييل(٢).

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩؛ الفاسي، خطة الحسبة ، ص١١١-١١٢.

(٢) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٨٨.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، حيث تتبع الباحث جميع هذه الحرف والصناعات مبتدئا بخاماتها الأولية، ومناطق انتشارها، وأنواعها، والحالة الاجتماعية للعاملين فيها. وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

١ - يعتبر مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، إذ يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان، بينما الصناعة عمل يرتكز على تحويل المواد الخام الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق الحرفة ، ولذا أطلقنا عليها تجاوزاً اسم "الحرف الصناعية".

٢ - اهتم الأندلسيون بتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعات المختلفة، ولذا برعوا في مجال الزراعة، وقامت على المحاصيل الزراعية بأنواعها المتعددة بعض الصناعات المهمة. كما اهتموا بتربية الحيوانات واستفادوا من لحومها، وأصوافها وجلودها في صناعات عديدة ومتنوعة، ونشطوا في استغلال ثروات البلاد الطبيعية، كالغابات التي وفرت المادة الخام اللازمة من الأخشاب، والثروة المائية إذ استخرجوا الأسماك والعنبر والمرجان واللؤلؤ من مجاري الأنهار ومن سواحل البحار المحيطة بالأندلس. واستغلوا المناجم والمواد المعدنية المنتشرة في الأراضي الأندلسية واحسنوا استثمارها في مجال الصناعة مستفيدين في ذلك من خبرة سكان البلاد ثم مشاركتهم العمل في مختلف المجالات، مما كان له أكبر الأثر على نمو وتطور الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي على مر العصور.

٣ - كانت صناعة المنسوجات من الصناعات الأندلسية المتميزة، والتي حظيت باهتمام ورعاية الأمراء والخلفاء، فازدهرت ازدهاراً كبيراً في عصر الخلافة والطوائف وعصري المرابطين والموحدين، ودولة بني الأحمر. وكانت بجانة وقرطبة ومالقة والمرية وولاية وغرناطة من أهم المراكز التي اهتمت بهذه الصناعة. وقد حظيت صناعة الطراز خاصة باهتمام الأمراء إذ كانت تنسج فيها ثياب الأمراء، والخلفاء وأعيان الدولة من الديباج المختّم المرقوم بالذهب. وانتقلت صناعة المنسوجات من الأندلس الإسلامية إلى بلدان أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وإيطاليا وإنجلترا مما يعكس فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية.

كما اشتهرت الأندلس بالصناعات الجلدية، وتميزت بجودة مصنوعاتها، ومنها انتقلت

هـذه الصناعة إلى ممالك إسبانيـة المسيحية وإلى فرنسا وإنجلترا، وقـد أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلد اسم الجلد القرطبي، مما يدل على أثر الحضارة الأندلسية في الحضارات المجاورة.

٤ - وقـد استفـاد مسلمو الأندلـس مـن خبراتهم في ميدان الكيميـاء وسخـروها لخـدمة الصنـاعة، فبرعوا في صناعة الأصبـاغ، وأنتجوا الألوان المتعـددة، ممـا أكسب ملابسهم الألـوان الزاهية الفاخرة، كمـا برعوا في صناعة الزجاج والخـزف والزيوت والصابون، وصناعة الورق، وكانت الأخيرة من الصناعات المتطورة، حتى أن الأندلسيين توصلوا في عهـدي المرابطين والموحدين إلى صنـاعة الورق الملون وكانت الأندلـس في عهـد الدولة النصـرية هـي الدولة الوحيدة إلى جانب فـاس التي تستعمـل الـورق الإسلامـي، بينما كانت بقية بلدان المغرب تستعمل الورق الرومي. وانتقلت صنـاعة الورق من الأندلس إلى ممالك إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا والمانيا.

٥ - كـانت الصناعات الخشبية مـن بين الصناعات الأندلسية المتطـورة وخاصـة ما يتعلق منهـا بصناعة المنابر والمقصورات الخشبية والآلات الموسيقية والأثاث والأدوات المنزليـة، وكـانت المقصـورات الخشبية في العصـر المـوحدي تصنع بطريقـة فنيـة متطورة إذ كانت تعمل على حركات هندسية وميكانيكة فريدة من نوعها.

٦ - كـان للضـرورة العسكرية أثر بالغ في اهتمـام الـدولة بصنـاعة السفـن والأساطيل الحـربية، فنمـت وتطـورت بالتـدريج، وبلغـت درجة كبيرة مـن التقـدم والازدهـار، حتى تعددت قطع الأسطول الأندلسي وتنوعت من حيث الحجم والـوظيفة، ووصلت البحرية الأندلسية إلى أوج عظمتها وقوتها.

كمـا اهتمت الدولة بصناعـة الأسلحة والمعدات الحربيـة إذ أنتجت معامل الأسلحة كميـات كبيرة، وبلغـت قمة التطـور في هذه الصناعة في القرن الثـامن الهجـري/ الرابع الميلادي، ، إذ توصـل الأندلسيون إلى صناعة الأسلحة النارية واستخـدموها في حروبهم مع النصارى الإسبان.

٧- استخـرج المسلمون كميات وفيرة من معادن الذهب والفضـة واستثمروها في تزيين المسـاجد والقصور، وفي صناعة الحلي والآنيـة والتماثيل والتحـف الفنيـة، مما يدل على الرفاه والرخاء الاقتصادي الذي كان ينعم به أهل الأندلس.

٨ - كـان المسلمون في بداية الفتـح يتعاملون بما يحمل إليهـم مـن دراهم أهل المشرق، إضـافة إلى استعمال النقود المضروبة في إسبانيا قبل الفتح، وفي عهـد الإمارة لم يضربوا

الدنانير، بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس من الفضة، في حين ضربت الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة في عصر الخلافة، وأكدت الدراسة طابع المركزية في سك النقود. وكان من مميزات عصر الطوائف أنه بالرغم من تمزق الأندلس إلى دويلات، وكثرة الأمراء المتغلبين على سائر أجزائها، فإن النقد كان موحداً. وكانت العملة الذهبية والفضية المضروبة في أيام المرابطين مختلفة ومتعددة. وضرب الموحدون الدنانير والدراهم المربعة، وكانت الدراهم تضرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، وكشفت الدراسة عن أنواع العملة المتداولة في الأندلس في القرن الثامن والتاسع الهجري / الرابع والخامس عشر الميلادي، وأكدت أنها كانت تضرب من خالص الذهب والفضة، وأنها مربعة الشكل لا مستديرة.

٩ - يلاحظ بصورة عامة ازدهار الصناعات الأندلسية على اختلاف أنواعها، ووصولها إلى درجة كبيرة من الإتقان والرقي وبخاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. ويعود السبب في ذلك إلى وحدة الدولة وقوتها واستقرارها السياسي، واهتمامها بمظاهر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة، وتشجيع الخلفاء للصناع وحثهم على العمل وضرورة اتقانه، يضاف إلى ذلك اهتمام الدولة بمظاهر الأبهة والترف، وحرصها على تشييد المساجد والقصور وتزيينها بكل مظاهر الروعة والجمال.

كما يلاحظ ازدهار الصناعات في عصر الطوائف نتيجة للتنافس الذي جرى بين ملوكها، إذ بذل كل واحد منهم قصارى جهده لإحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبهاً بما كان يفعله خلفاء قرطبة.

١٠- اتضح أن الحرف والصناعات في الأندلس لم تكن مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وانما كان يتعاطاها الأندلسيون بفئاتهم المتعددة، وشارك فيها العلماء والفقهاء والأدباء والقضاة وغيرهم. وقد التصقت أسماء كثير من الحرف باسماء بعض العائلات المشهورة، إذ تبين أن الحرف كانت تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الابناء، كما لا حظنا أن التماسك بين أهل الحرف قد بلغ حد العصبية للحرفة والاعتزاز بها. وقد أكد كل ذلك على نظرة المجتمع الإيجابية للعاملين في الحرف والصناعات.

١١- بينت الدراسة مدى اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها على أساس التخصص الحرفي، إذ نجد لأهل كل حرفة سوقاً خاصة بهم. كما اهتمت الدولة بإقامة الأسواق الجامعة الأسبوعية والدائمة لتشجيع الصناع والتجار على بيع منتجاتهم وبضائعهم، وبالتالي تنشيط الحركة الاقتصادية.

١٢- كـان التنظيم الإداري للحـرف والصناعات في غاية الدقـة والإتقـان؛ إذ نجد في كل صنـاعة مـا يسمى بـ "الأمين" و "العـريف"، كما نجد المعلم، والعـامل المـدرَّب، والمتعلم.

١٣- أوجدت الـدولة جهـازاً خاصـاً للإشراف والرقابة على الأسـواق، كـان يطلق عليه اسـم الحسبة، وكان يرأسه موظف خاص يدعى "صاحب الحسبـة" أو "المحتسب"، وكان عليـه أن يبحث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسهـا أهل الحرف والصناعات ويقـومها، وان يراقب الدقة والجـودة في الصناعة، وأن يحث الصنّـاع على نظـافة المنتج وأدوات الإنتـاج. وكان له اختصـاصات ومهام كثيرة ومتنوعـة، ولـذا جرت العادة على أن يتخـذ له اعواناً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق وملاحقـة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات ومعاقبتهم. ومما يدل على أهمية المحتسب في المجتمع الأندلسي، أن الإسبان، كانوا كلما احتلوا إقليما أبقوا فيه المحتسب.

١٤- أكـدت الدراسة على نظرة المجتمـع الإيجابية للعاملين في الحـرف والصناعات، وعلى سعـة الطبقـة العاملة، وكثرة الصنـاع في المجتمـع الأندلسـي، وبينـت أن وضع الصناع بصـورة عـامة لم يكـن جيـداً، إذ كـانت أجورهـم قليلـة، ومستـواهم المعيشـي متـدنيا.

الخرائط

خارطة رقم (١):
تسميات المدن والمناطق في الأندلس.

خارطة رقم (٢):
المعادن، مناطق توزيعها وانتشارها.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

أ - المخطوطات:

- ابن السباهي، محمد بن علي زادة (ت٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م):
أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط رقم (٥٥٩).
- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحي شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط رقم (٢١٣٧).
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٥، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط، رقم (١٠٣٨).

ب - المصادر المطبوعة:-

- ابن الأبار،، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)
التكملة لكتاب الصلة، جزآن، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٦م.
الحلة السيراء، ط ١، جزآن، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق:إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- إخوان الصفاء:
رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ٤ مجلدات، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م):
معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه: روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧م.
- الإدريسي، عبد الله بن محمد الحسيني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م):
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٨ أجزاء، تحقيق: شيرولي وآخرون، نابولي، بروستات ابود ي. ج، بريل، لوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥م.

- الإدريسي، محمد بن علي السنوسي الخطابي (ت١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م):
الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨م.
- الأزدي، جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر(ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):
بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الأزهري، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م):
تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله درويش، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
- الإشبيلي، الشيخ بكر بن إبراهيم (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م):
كتاب التيسير في صناعة التسفير، تقديم: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ج ٧ - ٨، ١٩٥٩ - ١٩٦٠م.
- الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفي في النصف الأول من ق ٤ هـ/ ١٠م)
كتاب الأقاليم، Edidit, Dr. J. H. Moeller Gothae مكتبة المثنى بغداد (د.ت).
مسالك الممالك، Edidit, M.J. Degoeje لوجدوني باتا فورم، ابود ي، ج، بريل، ١٩٢٧م.
- الأصفهاني، العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م):
خريدة القصر وجريدة العصر "قسم شعراء المغرب والأندلس"، ٣ أجزاء، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- أورسيوس باولوس (ولد بين ٣٧٥ - ٣٨٠م):
تاريخ العالم، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.
- الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (عاش في ق٩هـ/ ١٥م):
كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه: ضياء الدين ابن موسى بوبناتوف، منشورات دار العلم، إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٧١م

. - ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م):
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط٢، ٤أقسام، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م):
كتاب الصلة، قسمان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ابن بصال، عبد الله محمد بن إبراهيم (عاش في ق ٥هـ/ ١١م):
كتاب الفلاحة، عني بنشره: خوسيه مارية مياس بييكروسا، ومحمد عزيمان معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):
رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، ط١، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ٣ أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد على الباجي، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م. ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٦٤م):
جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ط ١، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت في النصف الأول من ق ٦هـ/١٠م)
رسالة في الحسبة، منشورضمن "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.
- ابن جُلجُل، أبو داود بن سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٧٧هـ/ ١٩٨٧م).
طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م).
الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ط٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

- ابن حجـــاج الإشبيلي، أبو عمـــر أحمـــد بن محمـــد (عـــاش في ق ٥هـ /١١م):
المقنع في الفلاحة ، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):
رسـائل ابن حزم الأندلسـي، ط١، ٤ أجزاء، تحقيـق: إحسـان عباس، المؤسسة العـربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ١٩٨٣م.
طـوق الحمامة في الألفة والألّاف، تحقيـق: صلاح الدين القاسمي، دار الشـؤون الثقافية العامة "آفاق عربية". الدار التونسية للنشر، بغداد، العراق، (د.ت).
- ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد (د.ت)
مفيـد العلوم ومبيد الهمـوم "جمعـت من كتاب الطب المنصوري لأبي بكـر محمد ابن زكريا الرازي"، مع مقدمة فرنسية، (د.ت).
- الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م).
الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م):
جذوة المقتبس في تاريخ علمـاء الأندلس، ط٢، قسمـان، تحقيـق: إبراهيم الأبيـاري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.
-الحميري، محمد بن عبد المنعم (عاش في ق ٩هـ/ ١٥م):
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ودار القلم للطبـاعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، عني بنشره، ليفى بروفنسـال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م).
صورة الأرض ، قسمان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- ابن حيـان، أبو مـروان حيـان بن خلـف بن حسين القـرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م)
المقتبـس، ج ٥، اعتنى بنشـره: ب. شـالميتا، ف، كـورينطي وم صبـح وغيرهمـا، المعهـد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.
المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود على مكي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، ق٣، ملشورم. أنطونية، باريس، ١٩٣٥م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)
قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،ط ١، ٤ أجزاء، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ابن الخرّاط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٦م)
كتاب إختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.
- الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م):
تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، ط ١، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، ط٢، ٤ مجلدات، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ١٩٧٤، ١٩٧٥م، ١٩٧٧. وطبعة دار المعارف، مصر، (د.ت).
تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م.
ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ط ١، مجلدان، المطبعة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ١٩٨١م.
الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.
اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط٢، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس "مجموعة من رسائله"، نشر وتحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من

ذوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

مقدمة ابن خلدون، ط١،ط٢، ٤ أجزاء، تحقيق: عبد الواحد وافي، وعلي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ١٩٦٠م، ١٩٦٥م. ١٩٦٦م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- أبو الخير الأندلسي (عاش في ق٥هـ/ ١١م)

كتاب في الفلاحة، ط١، طبع بالمطبعة الجديدة بشارع الطالعة، ع ٦٤، فاس، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)

المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق:إبراهيم الأبياري وآخرون، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع، (د.ت).

- الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م.)

كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، منشور ضمن كتاب "دارسة في الفكر الاقتصادي العربي للسيد محمد عاشور"، ط١، دار الإتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٣م.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م)

قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات، عني بنشره: ب. لوين، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٥٣م.

كتاب النبات، القسم الثاني من القاموس النباتي، اعتنى بجمعها: محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣م.

كتاب النبات، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق، برنهارد لفين، منشورات فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م.

- الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).

كتاب اقتباس الأنوار ، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)

فتاوى ابن رشد، ط١، ٣ أسفار، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)
كتاب لحن العوام ، ط١، تحقيق: رمضان عبد التواب، ١٩٦٤م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٧٩١م)
تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مراجعة: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م.
- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)
كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، (د.ت).
- الزجالي، أبو يحي عبيد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)
أمثال العوام في الأندلس، قسمان، دراسة: محمد بن شريف، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)
كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدرسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨م.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ط٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: أخوان قرنيط خينيس، معهد مولاي حسن، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، ١٩٥٨م.
كتاب الجغرافيا، ط ١، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
المغرب في حلى المغرب، ط١، جزآن، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
- السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (ت في نهاية ق ٥ هـ/١١م أو أوائل ٦هـ/١٢م):
في آداب الحسبة ، باعتناء:كون وليفي بروفنسال، باريز، ١٩٣١م.

- ابن سيدة، أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
المخصص، ٥ مجلدات، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت).
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جزآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ت).
تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م.
- ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)
فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم وابن سعيد والشقندي، ط١، نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري الدمشقي، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):
كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.
PUBl, Par,A. Mehren ١٩٢٣.
- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد (ت٥٩٤هـ/١١٩٨م)
المنّ بالإمامة "تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين"، ط٢، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
- الصنهاجي، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن مناد (ت بعد ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)
مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب "التبيان"، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.
- الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م).
سراج الملوك، ط١، المكتبة العربية ومطبعتها، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
- ابن عاصم الغرناطي، أبو يحي محمد (ت ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م).
جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٣ مجلدات، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير

للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ابن عبد الرؤوف،أحمد بن عبد الله(ت في النصف الأول من ق ٦هـ/١٢م) رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، منشور ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت في النصف الأول من ق٦هـ/١٢م) رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، ٣ أجزاء، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "قطعة من تاريخ المرابطين"، ج٤، كتب التعليقات: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
- العذري، أبو العباس أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق:عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.
- ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)
كتاب الوثائق والسجلات ، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب. شالميتا، وف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.
- ابن العوام، أبو زكريا يحي بن محمد بن أحمد (عاش في ق ٦هـ/١٢م) كتاب الفلاحة ، مدريد، ١٨٠٢م.
- ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (عاش في ق ٦هـ / ١٢م) قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢،، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/ نوفمبر ١٩٥٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ /١١١١م).
إحياء علوم الدين، ٦ أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ت)

- الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)
رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تحقيق: الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، ١٩٤٠م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه" رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م).
الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)
تاريخ علماء الأندلس، قسمان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)
مختصر كتاب البلدان ، مطبع بريل، ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)
- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)
ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ط١، جزآن، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ٤ أجزاء، تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د.ت).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م):
كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨م.
- القرطبي، عريب بن سعد ت (٣٦٩هـ / ٩٧٩م)
تقويم قرطبة، نشره مع ترجمة فرنسية: رينهارت دوزي، الطبعة الجديدة، بريل، ليدن، ١٩٦١م.
- القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ٤، تحقيق: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، ١٤ جزءاً، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

- الكتاني، الشيخ أبو عبد الله محمد الطيب (ت حوالي ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش في آواخر ق٦هـ/١٢م)

قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

- المالقي، أبو القاسم بن رضوان (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)

الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ط١، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- مجهول المؤلف (عاش في ق ٤هـ/ ١٠م)

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبع ربدنير، مجريط، ١٨٦٧م.

- مجهول المؤلف (من رجال ق ٩هـ/ ١٥م)

آخر أيام غرناطة، وهو كتاب نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، لمؤلف أندلسي من رجال القرن التاسع الهجري، معاصر لسقوط غرناطة، ط١، تحقيق محمد رضوان الداية، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤.

- مجهول المؤلف (من أهل ق ٨هـ/ ١٥م)

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري، ط١، تحقيق: سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- مجهول المؤلف

كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم أو "بيوتات فاس الكبري"، تحقيق، عبد

القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ع٣، السنة الأولى، ع ٤ -٥، السنة الثانية، ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

- مجهول المؤلف (عاش في ق٧ هـ / ١٣م):

كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٩-١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م.

- مجهول المؤلف.

وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تقديم: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدرسات الإسلامية، مدريد، مج١٣، ١٩٦٥-١٩٦٦م.

- المجيلدي، أحمد بن سعيد (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٢م)

كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م.

- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م):

كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر ٤، والسفر ٥،ق١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،١٩٦٥.

- المراكشي، محي الدين بن محمدبن عبد الواحد بن علي التميمي (عاش في ق٧هـ/ ١٣م)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بهذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب، ط١، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

- المسعودي علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٦ أجزاء، تحقيق: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م. ١٩٦٦م، ١٩٧٠م، ١٩٧٤، ١٩٧٥.

- ابن مطروح السرقسطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):

روضة المحاسن وعمدة المحاسن ديوان أبي بكر يحي بن محمد المعروف بـ "الجزار السرقسطي" وفصول من كتاب بادرة العصر وفائدة المصر، تحقيق ودراسة: منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨.

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م.

- المقّري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م):
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
أزهار الرياض في أخبار عياض، ٣ أجزاء، تحقيق" مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ١٩٤٠م، ١٩٤٣م.
- المكناسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢١٤هـ /١٨٠٠م)
الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
لسان العرب، ١٦ مجلداً ، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م):
تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط "إفريقية والمغرب، والأندلس، وصقلية وأقريطش" (٢٧-٧١٩هـ/٦٤٧ - ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية والدار البيضاء، (د.ت).
- ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)
المدخل إلى تقويم اللسان، مجلدان، دراسة وتحقيق: خوسيه بيريث لاثارو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.
- وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تحقيق: لويس سيكودى لوثينا، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- الونشريسي، أحمد بن يحي (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ١٣ جزءاً، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- يحي بن عمر، أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف الكناني (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) أحكام السوق، تحقيق، حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م.

ثانياً- المراجع الحديثة:

- أرسلان، شكيب

تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر الأبيض المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.(د.ت).

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ٣ أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

- باشا، نجاة.

التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٧٦م.

- بدر، أحمد

الحضارة العربية الإسلامية ، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢م.

- بدوي، عبد الرحمن

دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

- البرقوقي، عبد الرحمن

حضارة العرب في الأندلس ، المكتبة التجارية، مصر ١٩٢٣م.

بروفنسال، ليفي

حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط١، دار المعارف، القاهرة، محرم ١٣٩٩هـ/ ديسمبر ١٩٧٩م.

سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة، محمد عبد الهادي شعيرة، وعبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.

الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث

العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، تطوان ١٩٥١م.

- الجارم، علي

قصة العرب في إسبانيا، مترجم عن Stanley Lane - Poole، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.

- الجراري، عبد الله بن العباس:

تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦١م.

- جواد علي:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٢م.

- حتامله، محمد عبده

ملامح حضارية في الأندلس، منشور ضمن كتاب "بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة، بمناسبة بلوغه الخامسة والستين"، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

- حسين بك، طه

آراء حرة، عني بنشره قسم الخدمات العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، المطبعة العصرية، (د.ت).

- حمدي، عبد المنعم

تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- حمودة، علي محمد

تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط١، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧م.

- دورثي

إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة: طارق فوده، مراجعة وتقديم: عز الدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ديسمبر، ١٩٦٥م.

- الدوري، عبد العزيز

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مستل من مجلة كلية الآداب ببغداد، ع١، حزيران

١٩٥٩م.
- دوزي، رينهارت
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- رسيلر، جاك س
الحضارة العربيـة ، ترجمة: غنيم عبدون، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
- الرفاعي، أنور
الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، دار الفكر، ١٩٨٢م.
- أبو رميلة، هشام
علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.
- سالم، السيد عبد العزيز
تاريخ مدينة المرية الإسلامية "قاعدة أسطول الأندلس" مؤسسةشباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس "دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، جزآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م. وطبعة مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية، ١٩٨٤م.
- شاكر مصطفى
الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م.
- شبانة، محمد كمال
يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، لجنة البيان العربي، ١٩٦٩م.
- الشيخلي، صباح إبراهيم
الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.

- طرخان، إبراهيم علي
المسلمـون في أوروبا في العصـور الـوسطى، مـؤسسة سجـل العـرب، ١٩٦٦م.
- الطيبي، أمين
الإسلام في الأندلـس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوروبيـة، ط١، منشـورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٦م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
المدنية الإسلاميـة، وأثرهـا في الحضارة الأوروبية، ط٢، مكتبة الأنجلـو المصرية، ١٩٨٢م.
- العبادي، أحمد مختار، والسيد عبد العزيز سالم
تاريخ البحـرية الإسلاميـة في حوض البحر الأبيـض المتـوسط، جزآن، مـؤسسة شبــاب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).
الحياة الاقتصادية في الدولـة الإسلامية، منشور ضمن كتاب "دراسات في تاريخ الحضـارة الإسلامية"،ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدرسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٣م.
- عباس، إحسان
تاريخ الأدب الأندلســـــي، عصـر الطـوائف والمـرابطين، ط١، دار الثقــافة، ١٩٦٢م.
- عباس، فائزة حمزة
دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهـاية الخلافة الأموية، (٩٢ - ٤٢٢ هـ / ٧١١ - ١٠٣١م)، رسـالة مـاجستير غير منشـورة، جامعة المـوصل، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩.
- عبد الحليم رجب، محمد
العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتـب الإسلامية، دار الكتـاب المصري، القاهرة، دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت، (د. ت).
- عبد الوهاب، حسن حسني
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ط٢، جزآن، مكتبة المنار، تونس (د.ت).
- عجيل، كريم
الحياة العلمية في مدينة بلنسيـة الإسلامية، (٩٢ - ٤٩٤هـ/ ٧١١ - ١١٠٢م) ط١، مـؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- عز الدين موسى

النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- عنان، محمد عبد الله

الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية مرتبة على حروف المعجم، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٦م.

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين "وهو العصر الرابع من كتاب الإسلام في الأندلس"، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

- الفاسي، عبد الرحمن

خطة الحسبة في النظرية والتطبيق والتدوين، دار الثقافة، والدار البيضاء، المغرب، (د.ت).

- فالترهنتس:

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ط٢، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، آب، ١٩٧٠م.

- فراج، عز الدين

فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، (د.ت).

- فرحات، يوسف شكري

غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- أبو الفضل، محمد أحمد

تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، (٣٤٤ - ٤٨٤هـ / ٩٩٥ - ١٠٩١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

- فكري، أحمد علي

قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د.ت).

- الفنجري،، أحمد شوقي

العلوم الإسلامية، ط١، ٣ أجزاء، إشراف صالح جاسم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ١٩٨٥م.

- كب، ستانوود

المسلمون في تأريخ الحضارة، ط٢، ترجمة: محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

- كرد علي، محمد
الإسلام والحضارة العربية، ط٣، جزآن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

- كولان، ج. س
الأندلس ، ط١، لجنة ترجمة: دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم: خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م.

- كيب، جوزيف ماك
مدنية المسلمين في إسبانيا، ط٢. ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- منى محمود
المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

مؤنس، حسين
تاريخ الجغرافية الجغرافيين في الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م.
فجر الأندلس، (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية)، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥م.

- مورنيو، مانويل جوميث
الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة:لطفي عبد البديع، السيد محمود عبد العزيز، مراجعة: جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

- النخيلي، درويش
السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٩م.

- هياجنة، محمود حسين شبيب
الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، محرم ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

ثالثا- الدوريات

- برثي، بول
قصب السكر وصناعة السكر في المغرب القديم، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع١، السنة الأولى، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

- بولنس، لويس
الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة، (القرن ٦ - ٧هـ / ١١ - ١٣م)، مجلة دراسات أندلسية، ع ٦، تونس، ١٩٩١م.

- التهامي الراجحي
نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من خلال "المقتبس لابن حيان"، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية الرباط، المغرب، ع ٢٩، السنة الحادية عشرة، مارس ٩٨٤م.

- خايمه لويس
ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية بالإندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج٤، ع ١ - ٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

- ذنون طه، عبد الواحد
تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة المورد، مج ١٧، ع١، بغداد، ١٩٨٨م.

- ريبيرا، خوليان
المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، جزآن، ترجمة: جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، مج٥، ج١، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م.

- زكي، عبد الرحمن
صناعة السيف الإسلامي، ومشاهير الصناع في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٢٠، ١٩٧٩ - ١٩٨٠م.

- زمامة، عبد القادر
أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٨، ج١، ذو القعدة ١٣٩٢هـ/ كانون الثاني "يناير". ١٩٧٣م.

فاس وصناعاتهاالتقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، ع ٤ - ٥، ١٩٨٠م-١٩٨١م.

- السامرائي، إبراهيم خليل
أثر العراق الحضاري على الأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة، (١٠١ - ٣٠٠هـ / ٧٢٠ - ٩١٢م)، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٧، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦م.

- الشويري، ظاهر خير الله
الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف ، مج٢٩، ج١،، يناير، ١٩٠٤م.

عباس، إحسان:

اتحاد البحريين في بجانة الأندلس، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج١، السنة ٢٣، كانون الأول، ١٩٧٠م.

نوازل ابن رشد، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت، ج١ - ٤، السنة ٢٢، كانون أول، ١٩٦٩م.

أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، (١٣٨ - ٥٣٩هـ)، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت، ج١، السنة ١٦، آذار، ١٩٦٣م.

- عِنان، محمد عبد الله

من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي، كتاب العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ١٦، ١٩٧١م.

- أبو الفضل، محمد أحمد

التأثيرات الشامية في حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، (١٣٨ - ١٧٢هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨م)، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٦، السنة ١٤، ١٩٨٨م.

- كوركيس عواد

الورق أو الكاغد صناعتة في العصور الوسطى، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢٣، ج٣، تموز، ١٩٨٤م.

- محرز، جمال محمد

السجاد الإسلامي ومشتقاته في إسبانيا، المجلة التاريخية المصرية، مج ١١، ١٩٦٣م.

فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، مجلة "المجلة" مج ٢، ع١١، ربيع الثاني، ١٣٧٧هـ / نوفمبر ١٩٥٧م.

- مرزوق، محمد عبد العزيز

صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس، التحف المصنوعة من العاج، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٧، ج٢، ديسمبر، ١٩٥٥م.

- المنجد، صلاح الدين

معجم أشهر المدن الأندلسية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٧، ج٢ نيسان "أبريل" ١٩٧٢م.

- الودغيري، عبد العلي

ملامح من المجتمع الأندلسي من خلال نصوص لحن العامة "مقارنة سوسيو لغوية"، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع ٣٧، ١٩٨٧م.

- المراجع الأجنبية

- Imamuddin, S.M.

The Economic History of spain under the Umayyads (711-1031. A.C), Published by: Asiatic Society of Pakistan, Dacca, 1963.

- Grenville, Freeman

The Muslim and Christian Calendars, London, Oxford University, Press, New York, 1963.

-Shatzmiller, Maya

Professions and Ethnic origin of Urban Laboures in Muslim Spain: Evidence from Amoroccan Source.

مجلة أوراق، ع ٥ - ٦، ١٩٨٢ - ١٩٨٣م.

- Williams, Leonard

The Arts and Crafts of Older spain, 3 parts،

Chicago, 1908

ABSTRACT

The crafts and Industries in Al-Andalus From the Islamic Conquest Until the Decline of Granada. 92-897A.H-711-1492A.C

Prepared by

Jehad Ghaleb Mustafa Al-ZGhool

supervised by

prof.Dr. Mohmmade Abdu Htamlh

The study investigated an important aspect of the economic life of the Andalusian society it aimed at elaborating the significance of vocations and industries in that the society and the role that these vocations played in promoting economy and establishing a prosperous and stable life

The study also specified the raw materials used in Andalusian industries and their distribution including agriculture crops forests animals and water resources, minerals, marble and stone quarries. It was found that the Andalu-sites invested and utilized these resources very well in all types of industries.

The development of vocations and industries in the Andalusian society from the conquest to the fall- of Granada was traced in this research.

The study investigated textile, industries such as, silk, cotton, wool, linen. fur, embroidery and carpet. Other industries were also investigated including hides industry, carpentry, wood work, ship manufacturing, and jewelry (gold,

silver, copper, bronze), as well as blacksmithing, food industries, chemical industries (dyes, paper, glass, oils, soap), china, weapon industry, coin mitage, ivory and marble.

The study also dealt with the social conditions of the workers in vocations and industries and indicated workers formed organizations similar to what is known today as unions. Those organizations played an important role in society. Further more, these organizations were considered vocational and industrial. The numbers, wages and dress in these vocations and industries were also discussed.

The study revealed the positive attitude of the community towards the workers in these vocations and industries.

The relationship between the government and the owners of these vocations and industries was investigated, and it was shown that the government paid attention to establishing and organizing markets, taking into consideration vocational specialization, which reached a high level of perfection even among specialists in the some profession.

The study also dealt with shopping centres and vocational unions which were highly organized. On the other hand, the government established a control and supervision department named "AL-Hisba" and run by on official called "AL-Muhtasib". A separate section was devoted to the functions, and role of "AL-Muhtasib" in organizing markets and penalizing violators.